

وصف مصر
الترجمة الكاملة

وصف مصر

الحياة الاقتصادية في مصر
في القرن الثامن عشر

النظام المالي والإداري في مصر العثمانية



ترجمة
عمر الشايب

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque Manassieh

تأليف
علاء السحمة الفرنسية

دار الشايب للنشر

١٠ ش سليمان الحلبي - التوفيقية
ت: ٥٧٤١٣٧١ - ٥٧٢٦٨٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا هو المجلد الخامس من الترجمة العربية الكاملة لكتاب وصف مصر ، وهو فى الوقت نفسه الجزء الثانى مما أسميته « الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر » ، وهذا التبويب أو التصنيف الجديد لموسوعة وصف مصر هو اجتهاد خاص بالترجمة العربية أرجو أن أكون قد وفقت فيه ، مع العلم بأننى قد وجدت ذلك ضروريا للغاية ، ولأسباب عديدة ، على نحو ما أوضحت فى مقدمات المجلدات الأربعة السابقة .

ويضم المجلد الذى بين أيدينا أبوابا ثلاثة ، آثرت أن أطلق على كل منها اسم كتاب تيسيرا على القارئ من جهة ، ولكى أسهل على نفسى من جهة أخرى تقديمه فى ترتيب واضح ، وحرصا منى على عدم تداخل مدلولات الفاظ فى التبويب مستقرة ، وإن كنت أرجو ألا أكون بسعياً وراء ذلك قد فعلت فى سبيل تحقيقه ، عكس ماكنت أبغى .

أما الكتاب الأول من هذا المجلد فيضم دراسة عن نظام الضرائب على الأقطان الزراعية التى كانت الأرض ، أو بمعنى أدق كان الفلاح ملزما بسدادها كل عام . ومؤلف هذه الدراسة هو لانكويه المولود فى عام ١٧٧٤ والمتوفى فى عام ١٨٠٧ ، وهو كما يذكر المؤرخ المصرى الكبير عبد الرحمن الرافعى فى الجزء الأول من موسوعته « تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر » من علماء الرياضيات ، ومن مهندسى القناطر والجسور ومن علماء الآثار ، وله أبحاث مستفيضة عن آثار الوجه القبلى نشرت فى وصف مصر ، كما أن له بحثا جغرافيا عن الفرع الكانوبى من فروع النيل القديمة ، وقد تولى العمل فى اللجنة المسكونة لنشر وصف مصر فى عام ١٨٠٥ .

ويضم الكتاب الثانى دراسة هامة عن موارد الخزينة المصرية وإنفاقها ، ولتغطية ذلك كله قامت الدراسة بمسح شامل للنظام الإدارى فى مصر فى العصر العثمانى ، وهذه الدراسة من وضع الكونت استيف مدير خزانة الحملة فى البداية ثم مدير الشؤون المالية لمصر فى أواخر هذه الحملة الفرنسية ، ويمكن القول بأنها وضعت على أساس ما جاء بسجلاته وأوراقه ، بمعنى أنه ليس كاتبها كما نلمس ذلك من مقدمة مؤرييه انى نشرناها فى المجلد الأول فى طبعته الثانية .

ويحوى الكتاب الثالث ثلاث دراسات قصيرة عن بعض الصناعات المصرية التى اكتفى المسيو جيرار فى دراسته عن الزراعة والصناعات والحرف والتجارة فى مصر بأن يشير إليها إشارة عابرة أو بأن يقدم موجزا مركزا عنها محيلا الى الدراسات الثلاث التى نشرتها هنا ، وكنت أزمع أن أنشرها ملاحق لدراسة جيرار (وهى المجلد الرابع من الطبعة العربية) لكننى خشيت أن يزيد حجم المجلد الرابع أكثر مما ينبغى ، ولذلك فإننى أقدمها هنا مشبرا فى الوقت نفسه الى موضعها فى دراسة جيرار استكمالا للفائدة . أما هذه الدراسات الثلاث فهى : دراسة عن معامل التفريخ وهى تنقسم بدورها الى قسمين ، قسم كتبه روزير ، وهو مهندس مناجم له أبحاث مستفيضة عن أحجار مصر ومعادنها وجيولوجيتها ، كما قام برسم أحجارها وصخورها ومعادنها ، ونشر ذلك كله فى وصف مصر ، أما القسم الثانى فسكتبه الكيمايى الصيدلى روبيه ، ثم دراسة عن طريقة صنع ملح النوشادر، وهى من تأليف ديكوتيل، وهو كيميائى عين بعد انتهاء الحملة كبيرا لمهندسى المناجم فى فرنسا وكان عضوا بالمجمع العلمى المصرى شعبة الطبيعيات ، أما الدراسة الثالثة فهى من وضع بوديه كبير صيادلة جيش مصر ، وعضو المجمع العلمى المصرى (طبقا لما جاء بوصف مصر) والحائز على وسام الشرف .

وسوف نلاحظ القارئ بعض التكرار فى « الكتابين » الأول والثانى ولكنه تكرار تقتضيه طبيعة المعالجة لموضوع واحد ، وإن كانت وجهة كل من الدراستين مختلفة كما أن منهجيهما يختلفان .

وبمضى علينا بعد ذلك لى تكمل ما أسسميته « موسوعة » الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر « أن أقدم دراسيتين أخريين

لها دراسة عن الموازين العربية فى مصر ، ودراسة أخرى عن النقود العربية فى مصر وكلناهما من تأليف صامويل برنار ، وهما معا تكوينان المجلد السادس من هذه الترجمة العربية ، وكنت أود أن ألحق بهما دراسة جيران عن المقاييس فى مصر القديمة ، وهى دراسة تقع فى مجلدات وصف مصر عن العصور القديمة (لمصر) ، باعتبار أن هذه المقاييس كما ذكر جيران نفسه فى المجلد الرابع (من الترجمة العربية) تكاد تكون هى المقاييس نفسها التى كانت لاتزال تستخدم فى مصر عند مجيء الحملة الفرنسية ، لولا أننى أخشى ألا يكون الجمع بين دراسات تتناول الدولة أو الحالة الحديثة فى مصر وتلك التى تتناول عصور مصر القديمة أمرا موفقا ، أو أنه قد يصيب ببعض البلبلة لدى القارئ .

ولقد واجهت صعوبات عدة فى تحقيق أسماء بعض الأماكن والوظائف التى جاءت فى دراسة السكونت استيف عن النظام المالى والإدارى لمصر ، كما لابد أن أشير كذلك لصعوبة تحقيق أسماء بعض القرى والقبائل ، بل وأحيانا بعض الجهات (أو أجزاء القرى أو الأحياء) وكذلك بعض أسماء الأفراد المستفيدين من المخصصات أو الصدقات أو نحو ذلك — وقد يكون ذلك أمرا جانبيا أو ثانويا لا يؤثر مطلقا فى سياق الدراسة ، لكن له أهميته القصوى فى نظرى ، وبخاصة كما تبين أننى قد يكون على جانب أكبر من الأهمية لبعض دارسين سيتناولون هذه الأمور نفسها ولكن فى مجال مختلف ، ولذلك فقد أنفقت فيها وقتا طويلا ومشقة أكبر وأرجو أن أكون قد ابتعدت كثيرا عن مواطن الخطأ .

كما استميج القارئ عذرا لأننى أدخلت بعض تعديلات وجنتها ضرورية فى تنسيق الجداول الكثيرة فى دراسة استيف لتصبح أكثر وضوحا — هكذا نصورت — عند قراءتها .

وبمع أننى واحد ممن يماون التكرار إلا أننى لا أمل مطلقا من اسداء الشكر لسلك من آذروا هذا العمل وأخذوا بيده منذ كان مجرد فكرة وحتى الآن بعد أن قطع هذا الشوط وفى مقدمة هؤلاء الأخ الدكتور عبد العزيز الدسوقي رئيس تحرير مجلة الثقافة الذى لا يفتأ يقدم من الجهات لهذا العمل ما يؤكد صحة قولى حين اعتبره — ومجلة الثقافة —

شريكين حقيقيين فى انجاز هذا العمل ، ولابد كذلك أن أوجه شكرى لكل الاقلام الجادة والمسئولة التى رحبت بالعمل ، وفى احيان كثيرة دون صلة شخصية تربطنى بهم من أى نوع ، وهو الأمر الذى شرفنى بحق وزاد من إيمانى وثقتى بأن كل الاقلام وكل النفوس الشريفة — ايا كانت مشاربها — تنبض بحب مصر ، التى لا اجد سواها وسوى إخوتى فى الوطن ، المصريين ، لأتوجه بعملى هذا .

ولابد من توجيه شكر خاص للمؤرخ الكبير الدكتور عبد الرحمن زكى ، وللأخ الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، وللابستاذ رينيه خورى ، وللسيدة زوجتى التى ساندتنى بكل ماتستطيع ، فى الظروف العصيبة التى كدت أن أفصل فيها من عملى بسبب إصرارى على إتمام ترجمة هذا السفر الكبير .

كما لابد لى أن اظل أذكر بالخير كل من عاون بالنصح أو التوجيه أو الإرشاد أو حتى بكلمة طيبة ، وكل من عاون فى إخراج هذا العمل إلى حيز الوجود بدءاً ممن اتاحوا لى فرصة الحصول على الأصل الفرنسى إلى عمال الطباعة إلى مكتبة الخانجى التى أسهمت فى الإنفاق على هذا العمل الى الموزع الذى اتاح وصول هذا العمل إلى يد القارئ الكريم . كما لابد أن أوجه شكراً خاصاً للجنة التفرغ بوزارة الثقافة التى تحملت مشكورة عبء تفرغى لاتمام هذا العمل الكبير ، ولابد من توجيه شكر واجب للجنة المختصة فى المجلس الأعلى للفنون والآداب التى قررت منحى جائزة الدولة التشجيعية عن ترجمة المجلدات الأربعة السابقة وأوصت مشكورة وبعبارات طيبة للغاية بضرورة تشجيع هذا الجهد .

والله سبحانه وتعالى أسأل التوفيق والعون والسداد .

زهير الشايب

القاهرة ، سبتمبر ١٩٧٩

فهرس

صفحة

المقدمة

الكتاب الاول :

- الريف المصرى فى عصر المالك العثمانيين تأليف لانكريه ٩ ٤٨
١ - الوسائل المختلفة التى تملك بها الأرض . . ١٤
٢ - ادارة الاراضى ٢١
٣ - بعض العادات الخاصة بصعيد مصر . . ٢٩
٤ - من مال الكشوفية او ضريبة الكاشف . ٣٣
٥ - عن الميرى وعن الافندية ٣٨

الكتاب الثانى :

- النظام المالى والادارى فى مصر العثمانية تأليف لستيف ٤٩ ٢٦٢
مقدمة : عن الحكومة - عن الملكية ٥١ - ٦٠
الباب الاول : الضرائب العامة ٦١ - ٢١٠
الفصل الاول : الضرائب على الاراضى ، أولا : عن
المال الحر ، ثانيا : إدارة القرى ، ثالثا : جباية
الضرائب ، رابعا : عن مصر العليا ، خامسا : عن
الأوقاف ٦١ - ١١٣
الفصل الثانى : الضرائب على الوظائف . . ١١٤ - ١٢٢
الفصل الثالث : الضرائب العامة على الصناعة
والتجارة ، أولا : الجمارك ، ثانيا : رسوم متفرقة . ١٢٢ - ٢٠٧
الفصل الرابع : الضرائب على الاشخاص . . ٢٠٧ - ٢١٠
الفصل الخامس : موجز دخول السلطان . . ٢١٠ - ٢١٣

صفحة

٢٥٥-٢١٤	الباب الثاني : الإنفاقات المصامة
	الفصل الاول : إنفاقات تقع على عاتق السلطان ،
	أولا: رواتب قررها السلطان لمتفرقين ، ثانيا: مصروفات
	الجيش ، ثالثا : مصروفات عامة ، رابعا : المعاشات
	والمرتبات ، خامسا : الأعمال و المنشآت الخيرية ،
٢٤٦-٢١٤	سادسا : محتل مكة
	الفصل الثاني : الإنفاقات التي تقع على عاتق
	أصحاب المناصب أولا : الإنفاقات التي تقع على عاتق
	الباشا ، ثانيا : الإنفاقات التي تقع على عاتق حكام
٢٥٢-٢٤٧	الأقاليم
	الفصل الثالث : موجزا لإنفاقات التي تقع على عاتق
٢٥٥-٢٥٢	السلطان
٢٦١-٢٥٦	الباب الثالث : محصلة موارد وإنفاقات السلطان .

الكتاب الثالث :

٢٨٨-٢٦٥	الدراسة الأولى : معامل التفريخ تأليف : روزبير ورويه
	الدراسة الثانية : صناعة ملح النوشادر تأليف : كوليه
٣١٢-٢٨٩	ديكوتيل
٣٢٦-٣١٣	الدراسة الثالثة : صناعة دبغ الجلود ، تأليف : بوديه

الكتاب الأول

الريف المصري في عصر المماليك العثمانيين

تأليف : لانكريد

العنوان الأصلي للدراسة :

« دراسة في نظام الضرائب على
الأطيان ، وفي الإدارة الإقليمية في مصر ،
في السنوات الأخيرة من حكم المماليك »

تشكل حكومة الممالك (١) فى التاريخ المصرى فصلا شاذا لدرجة يبدو معها أن من المفيد أن نجمع كل ملامحه وأن نحفظها بعناية فى ذاكرتنا ، كما يحتفظ علماء الطبيعة من بين كل معطيات الطبيعة الجميلة بغرائب المخلوقات وشواذها .

وليس ثمة واحد من الرحالة الذين سبقونا قد أولى عنايته بدراسة نظام الملكية والادارة فى الريف ، ومع ذلك فإن هذه الأمور التى كان من العسير عليهم أن يدرسوها أبان زيارتهم للبلاد ، تشكل فى كل الدول جزءا أساسيا من نظام الحكم ، يستحق الدراسة .

ولقد كان الجنرال كافاريلى قد جمع حول هذا الموضوع عددا كبيرا من المعلومات ، فلقد كان يحب هذا النوع من الاهتمامات ، ولم يكن ثمة من يستطيع أكثر منه الإلمام بسهولة بتفاصيل التشريع ، وبالخيط الذى يربط بينها جميعا ، لكنه رحل عنا واختفت معه معظم المعلومات التى جمعها ، وكم تجعلنا الملاحظات التى أمكننا العثور عليها فى أوراقه والتى تمس هذا الموضوع نشعر بالأسف لأنه لم يتم عمله . اتنى أبعد ما أكون عن القدرة على أن أحل محله ، لكننى سوف أحاول على الأقل أن أقدم بعض المعلومات المفيدة لمن يرغبون أن يأخذوا على عاتقهم مثل هذه الدراسات .

وقبل الدخول فى الموضوع ، سوف أقدم بعض الأفكار العامة عن صعوبة الرجوع الى أصل غالبية العادات السائدة فى مصر .

ليس ثمة سوى قليل من البلدان التى خضعت على الدوام لحكم الغير يمكن القول بأنها قد خضعت لهذا العدد من السادة الأجانب الذى خضعت له مصر ، وفى مقابل ذلك فليس ثمة بلد استطاع بفضل سطوة طباعه وتقاليده أن يسجل مثل هذه الانتصارات الكثيرة على غزاته وأن يقوم

(١) قرئ هذا البحث فى المعهد العلمى المصرى فى الأول من فريمبر من العام التاسع (٢٢ نوفمبر ١٨٠٠) .

وبالاضافة لذلك ، فربما هي نفس المادة التي وجدناها في بعض النسخ القديمة ، ذلك أقل غرورا ، فربما هي عبارة عن نسخة من النسخ التي كانت موجودة في القرون الأولى ، إن لم يكن ذلك ، فمن الممكن أن تكون تلك النسخ التي كانت موجودة في القرون الأولى ، قد تكونت من نسخة واحدة ، فربما كانت في نسخة من النسخ التي كانت موجودة في القرون الأولى ، عند العبريين ، الذين تم العثور على النسخة في نسخة من النسخ التي كانت موجودة في القرون الأولى .

وأخيرا فإن الرمز الذي هو كيهوف في النسخة الأولى ، والذي كان في النسخة الأولى ، الموجود في كيهوف ، فربما كان ذلك النسخة الأولى ، الذي كان في النسخة الأولى ، في بعض النسخة والأدوات ، ومن الممكن أن تكون النسخة الأولى ، والتي كانت في النسخة الأولى ، عند شعوب مصر الحديثة ، فربما كانت في النسخة الأولى ، والتي كانت في النسخة الأولى ، من الحليين الأقدمين ، والتي كانت في النسخة الأولى ، والتي كانت في النسخة الأولى ، الذي كان عليه وقت رجب عليه بل وما كان في النسخة الأولى ، والذي كان في النسخة الأولى .

وتبدو هذه التفسيرات التي ذكرتها ، في النسخة الأولى ، في النسخة الأولى ، كي نجعلني اعتقد أن أصلهم من النسخة الأولى ، والتي كانت في النسخة الأولى ، عند شعوب مصر الحديثة ، فربما كانت في النسخة الأولى ، والتي كانت في النسخة الأولى ، مستقبل غير مرئي .

ومع ذلك ، فربما قد يكون ذلك ، فربما كان ذلك ، في النسخة الأولى ، في النسخة الأولى ، في صنع أصل (لقد النسخة الأولى ، والتي كانت في النسخة الأولى ، في النسخة الأولى ، وفي الواقع فإنه بالأحرى أن النسخة الأولى ، والتي كانت في النسخة الأولى ، أن يقوموا بها حول أصل من النسخة الأولى ، والتي كانت في النسخة الأولى ، على وجه التقريب --- لا بد من عدم السماح ، والتي كانت في النسخة الأولى ، في النسخة الأولى ، العامة كل القوانين التي يعمل بها حاليا في النسخة الأولى ، والتي كانت في النسخة الأولى ، الأستاذ فوربيه Fourier ، أن النسخة الأولى ، والتي كانت في النسخة الأولى ، أنه لم يكن مستطوع أن يفعل ذلك ، كما أثبت أن النسخة الأولى ، والتي كانت في النسخة الأولى ، أنها من وضع سليمان المست إلا من وضع خلفه سليمان الأول ، والتي كانت في النسخة الأولى ، الذين حكموا مصر نيابة عنه ، كما فسر النسخة الأولى ، والتي كانت في النسخة الأولى ، العامة حين بين أن سليمان كان يتصرف على الدوام باسم والده سليمان .

(١) رأيت ومعى كثيرون من أعضاء لجنة العلوم والفنون هذه النسخة في الأقصر .
(*) الكاب حاليا .

وهو الرجل الذى حفرت انتصاراته الكبيرة ذكريات عميقة فى عقل الشعب المصرى .

ولقد قدم لنا المسيو فوربيه — بينما هو يواصل قراءاته عن الثورات التى قامت بها مصر وعن تقاليد مختلف طبقات سكانها — كل ما أمكنه جمعه، ماسا بنظام إدارة الأراضى التى تعود فى معظم تفاصيلها الى مثابرة الأقباط . كما قدم لنا المسيو فوربيه لمحة عامة عن ظروف الفلاحين وعن نظام الملكية (١) .

إن الغاية التى وضعها على عاتقى هنا هى أن آخذ هذا الجزء من اللوحة التى رسمها وأن أنميتها بكل العناية التى تقتضيها ، وبذلك أصل الى عرض لنظام ادارة الأرض الزراعية .

وسوف لا أعتبر الممالك فى البداية الا كمجرد ملاك للأرض، وسوف نرى بعد ذلك مقدار الضرائب التى كانوا يحصلونها كحكام (٢) .

١ — الوسائل المختلفة التى تملك بها الأرض أنواع الملكية : الضرائب الرئيسية

يوجد فى مصر ثلاث طبقات من ملاك الأراضى الزراعية : الفلاحون (فلاح) ، الملتزمون (ملتزم) أو السادة ، وأخيرا المساجد أو ملاك الأراضى الموقوفة .

أن معظم الفلاحين فى أية قرية هم ملاك أراضيها ، أى ملاكها الحقيقيون، بمعنى أنهم يستطيعون أن يهبوها أو يبيعوها الى فلاحين آخرين (٣)

(١) انظر مقدمة المسيو فوربيه سكرتير المجمع العلمى المصرى للوحات وصف مصر التى نشرت مقدمة للطبعة الثانية من المؤلف الضخم والتى نشرناها نحن ملحقه بالمجلد الأول من الترجمة العربية فى طبعته الثانية تحت عنوان مصر والحمة الفرنسية . (المترجم)

(٢) ينبغى أن أوضح اننى سأفترض فيما يلى أن مختلف القوانين والعادات ماتزال سارية بأكملها، ذلك لأن هدفى هو أن أبين حالة الأمور كما كانت قبل مجيء الفرنسيين الى مصر .

(٣) نادرا ما يبيع الفلاحون أرضهم لأن الأراضى عادة بخسة القيمة ، وإذا ما أصبح فلاح ما حائزا على وسائل الزراعة فإنه يحصل على الأرض دون شرائها . وفى نفس الوقت فإنه من المؤكد أن الفلاحين كان حق بيعها، ولن نعدم أمثلة على ذلك .

ومهم ما كانت التغييرات التى تصيبها ، تبقى على الدوام مقيّدة بضريبة ، ويحمل الشخص الذى تؤدى إليه هذه الضريبة اسم : ملتزم أو سيد . وهو فى الواقع سيد هذه الأراضى اذ هو يستطيع أن يزيد أو ينقص من قدر الضريبة التى يحصلها من هذه الأراضى (١) ، كما أنه يستطيع أن يعطيها أو يبيعها للتمزم آخر ، كما أن هذه الأرض تصبح من بعده ملكا لأبنائه، ثم انه فى النهاية يضمها الى ملكه الخاص اذا ما مات الفلاح المالك دون وريث، وهو الأمر الذى لا يحدث بخصوص أنواع الملكيات الأخرى التى يمتلكها الفلاح حيث إن منزل الفلاح وأثاثه وقطعانه تؤل فى حالة موته الى بيت المال وليس إلى الملتزم .

وعندما يموت الملتزم ، ينبغى على أولاده ، حتى يحصلوا على حق ارث أملاكه ، أن يحوزوا موافقة الباشا ، وكانوا يحصلون على هذه الموافقة بأن يدفعوا له ضريبة محددة ، كان الاتراك ينظرون إليها — أى الى هذه الضريبة — باعتبارها شكلا من إعادة الشراء للأرض وبدون ذلك تعود الأرض لتصبح من حق بيت المال . واذا ما مات مالك دون أن يخلف أبناء أو يكتب وصية فإن ممتلكاته تؤل الى بيت المال ، ولكن اذا ما كتبت وصية فإن تنفيذها يقع على عاتق من كتبت لصالحهم أيا كانوا، وبذا يكون عليهم أن يدفعوا الضريبة الى الباشا .

ولست أود هنا وأنا اتحدث بشأن المواريث أن أحاول التعريف بها لايضاح كيفية اكتساب الناس حق ملكيتها ، فسوف تواتينا الفرصة للعودة الى هذا الموضوع نفسه عند الحديث عن وظائف الأمندية (أمندى) .

وعندما يجد فلاح ما نفسه عاجزا لحد لا يستطيع معه أن يزرع كل أراضيه فإنه يقوم برهن جزء منها نظير مبلغ معين يستغله فى زراعة الجزء من الأرض الذى احتفظ به، وعندما يستطيع أن يرد المبلغ الذى حصل عليه فإن الرهن يتوقف وتعود الأرض التى رهنها الى حوزته : ويسمى هذا النوع من الرهن : الغروقة .

ولا يستطيع الملتزم أن ينزع من الفلاح الأرض التى يزرعها مادام —

(١) ربما لم تكن هذه الزيادات سوى انتهابات ، لكن هذه الانتهابات ظلت تمارس لوقت طويل لدرجة أن حق فرضها لم يعد يلتقى مجرد الممانعة أو الاستنكار .

على الأقل — لم يلمس أن الفلاح غير قادر على زراعتها — فى الحالة المخالفة — وما دام الفلاح ننتيجة لذلك يقوم بدفع الضرائب المقررة ، لكن الفلاح يحتفظ بحق العودة الى أرضه اذا ما تملك الوسائل التى تمكنه من سداد ما عليه من ديون متأخرة الى الملتزم (١) ، وبمعنى آخر فان الفلاحين ينتمون بكل الحرية فى اختيار نوع المحاصيل التى يريدون أن يزرعوها فى أراضيهم فهم يستطيعون أن ييذروها بالقمح أو الأرز أو الذرة حسبما يترأى لهم بشرط أن يدفعوا الضريبة للملتزم وليس للاخير أن يرغمهم على شىء .

والضريبة التى ينبغى على الفلاح أن يدفعها عن أرضه للملتزم هى ما يطلق عليه اسم المال الحر ، وهى على الدوام أكبر من ضريبة المسال الميرى ، وتسدّد من ضريبة المال الحر هذه الضريبة المقررة للسلطان (الميرى) وما يتبقى بعد تسديد هذا الميرى يكون من حق الملتزم ويحمل اسم الفايز (الفايز) .

وقد تقررت ضريبة الميرى على يد السلطان سليم أو بالآخرى على يد خليفته حسب الملاحظة التى سبق أن قدمناها . ويبدو أن الأتراك بعد غزوهم لمصر قد وجدوا — عندما أرادوا أن يفرضوا ضريبة على الأراضى لصالح سلاطين القسطنطينية — أن سجلات الضرائب كانت قد أحرقت ، واستوجب الأمر عندئذ أن يلجئوا الى المعلومات التى كانت لدى أوجاق الجاوشية حول هذا الموضوع، وتبعاً لذلك فقد قرروا الميرى لبس بحسب فدان الأرض ولكن بالنسبة للقرية وحدة واحدة، ثم اقتسم الملتزمون فيما بينهم هذه المهمة بحسب مساحة ممتلكاتهم . وهذا التقسيم المبدئى للميرى بحسب القرى هو الذى استمر العمل به حتى اليوم . وقد كان الأمر بالغ الحيف حتى أن نسبة من المال الحر تبلغ ٥٠ مدينى كان يخصص منها من الميرى ما يتراوح فقط بين ٢ الى ٢٠ مدينى .

وقد قرر سليمان — كذلك — فى بلاد الصعيد نظام دفع الميرى عينا أى بمواد غذائية حتى يتسنى تأمين طعام جنود فرق الأوجاق ، التى أعاد تنظيمها . وما تزال لدى بعض التفصيلات حول جمع واستخدام الميرى سوف أعرضها عليكم عندما يحين وقت الحديث عن الإدارة المختصة بانفاق الميرى .

(١) يتوقف هذا كثيراً على ارادة الملتزم الخاصة .

ولقد استقر نظام المال الحر حسب عادة قديمة من عادات البلاد
والتي أتاح لها السلاطين العثمانيون أن تستمر بعد أن أقروها بدورهم .
ويبدو للوهلة الأولى أن هذه الضريبة كانت الضريبة الوحيدة التي كان يحق
للملتزمين تحصيلها بشكل قانوني ، لكنهم بعد ذلك وبالتدريج أخذوا يرغبون
الفلاحين تحت ادعاءات مختلفة على زيادة نسبة هذه الضريبة ثم فرضوا
عليهم ضريبتين جديدتين : الأولى ، ويبدو أنها لم تقرر إلا منذ حوالي مائة
عام وتسمى المضاف ، والثانية ، وهي لم تكن في البداية إلا نوعاً من الهدايا
التي كان يقدمها الفلاحون إلى الملتزم ، لكنها نأكدت بالتدريج وزادت حتى
أصبحت في بعض الجهات تدر أكبر مما يدره الفايض (الفايظ) ، ولكنها لم
تتقرر بشكل منتظم إلا منذ حوالي خمسين عاماً ، وكانت تعرف باسم : البراني ،
أي الضريبة غير الاعتيادية .

وفي النهاية ، فإن هاتين الضريبتين — حيث إنها يعودان لنفس
الأصل — كانتا تختلطان عادة بحيث أصبحتا ضريبة واحدة تحمل تبعاً لاختلاف
البلاد ولكن بدون اختلاف في المعنى — اسم : المضاف أو البراني .

وقد استقرت هاتان الضريبتان الجديدتان على وجه الخصوص في
عهد علي بك . إذ استولى هذا المملوك — بعد أن قضى قضاء شبه تام على
فرقة الأوجاقلو ، والتي كان معظم أفرادها من كبار الملاك — استولى على
القرى التي كانوا يمتلكونها ووزعها على أتباعه ، وزاد كثيراً من أعباء الفلاح
وسار على نهجه في ذلك كل الملتزمين الذين كانوا يدينون له ببعض الديون
وذلك بأن فرضوا ضرائب جديدة وجائرة . وبعد عهده هذا ، جاء نظام محمد
بك ، وبخاصة في عهد إبراهيم بك ، ل يتيح زيادات جديدة في دخول
الملتزمين ، ومع ذلك فقد بقي نفر قليل للغاية من هؤلاء الملتزمين ، من أولئك
الذين كانوا يرون أن هذه الضرائب الجديدة ظالمة أو أولئك
الذين لم يكن بمقدورهم تحصيلها — يكتفون بتحصيل المال الحر . وبهذا ،
ومع استبعاد هذه الاستثناءات — وصل جشع الملتزمين ، وبخاصة المباليك
منهم ، إلى مداه .

انتهيت الآن من شرح الطريقة التي كان الفلاحون يملكون بها الأرض
وكيف كانت ملكيتها تقسم بينهم وبين الملتزمين ، وسأحدث الآن عن جزء آخر
من الملكية كان في حوزة هؤلاء الملتزمين ، وهو يشمل على الأراضي التي تتبعهم
كلية والتي لم تكن تدفع من ضرائب الا ضريبة الميري . وهذه الأراضي التي
(وصف مصر — م ٢)

كانت تعتبر ملكية خاصة للمتزمين كانت تسمى أرض الوسية أو أرض الملاك . ولم يكن هذا النوع من الملكية موجودا فى الصعيد بعد النيا ، ولكن يمكن القول عامة أن أراضي الوسية فى مصر السفلى ، كانت تبلغ حوالى ١/٨ من أراضي الفلاحين (١٠) .

وقد حاول الأتراك دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الرجوع الى أصل نظام الملكية تفسير ذلك بأيسر السبل ، فظن الكثيرون أن المتزمين هم مجرد فلاحين عند المالك الأكبر (السلطان) ، وأن ايجار الأرض هو ما يدفع تحت اسم الميرى وأن فائدة هؤلاء المتزمين تتكون من : ١ — الفايز ٢ — اجمالى دخل أراضي الوسية . وعلى هذا النحو كذلك فسروا ضرورة قيام المتزمين بدفع ضريبة الارث الى المالك الكبير (الوالى — السلطان) . لكن هذا التفسير ليس صحيحا . واليك ما يمكن أن نستنتجه من فحص السجلات القبطية وما يعرفه كذلك الشيوخ المتعلمون وهو ما سوف نقدمه كملخص لكل ما قلناه للتو .

تقدر الضريبة المسماة : المال الحر على مجموع أراضي القرية . ويحوز الفلاحون جزءا من هذه الاراضى يسددون عنه للمتزم المال الحر . أما الجزء الثانى فيزرعه المتزم بنفسه أو يؤجره ويعود اليه كل ناتج هذا الجزء . ومن المال الناتج عن هذين الجزئين يدفع المتزم الميرى المقرر على قريته من قبل الحاكم ، أما البرانى فهو ضريبة مستحدثة أضافها المتزمون .

نتحدث الآن عن النوع الثالث من الملاك، وهم كما سبق أن بينت ملاك الأوقاف وملكيات المساجد .

كل ملكيات المساجد قد وهبت اليها فى فترات مختلفة ، وقد تمت معظم هذه الهبات قبل مجيء سليم بوقت طويل ، بل ومنذ الأوقات الأولى لاستقرار الاسلام فى مصر . وعندما تقررت ضريبة الميرى لم تخضع ملكيات المساجد

(١٠) يذكر الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن فى كتاب الريف المصرى فى القرن الثامن عشر أن هذه النسبة لم تكن ثابتة كما انها كانت اكبر من ذلك عادة فكانت تبلغ النصف أو الثلث أو الربع وأحيانا كانت تتجاوز النصف كما حدث فى قرية ميت بشار . (المترجم)

لهذه الضريبة مطلقا ، وظلت حرة تماما من أية ضريبة كما كانت من قبل وكما ظلت حتى اليوم .

وتحمل المخصصات الدينية بالغلة العربية عادة اسم الأوقاف، ومعناه ما ينبغي أن يترك وما ينبغي أن يظل هكذا الى الأبد . ولعطاءات الأراضي اسم خاص هو الرزقة أو الإحسان ، لكن هذا العطاء لا يمكن أن يتم قبل الحصول على موافقة الباشا، وهي موافقة قلما كانت ترفض ، لأن هذه العطاءات ، وكل الأوقاف على وجه العموم ، كانت لها على الدوام أغراض دينية أو خيرية ، كما كان بعضها يخصص لصالح المدينتين المقدستين (مكة والمدينة) ، أو للمستشفيات والمدارس . . الخ. كما كان يخصص بعضها لصالح بعض العبيد أو لبعض العائلات وأحيانا لعائلة مؤسس الوقف نفسه .

وقد بدأ تأسيس هذا النوع الأخير من الأوقاف ليتفادى الناس على وجه الخصوص اغتصاب المالك ، فعندما كان يريد مالك ما أن يؤمن لخلفه جزءا من ثروته ، فقد كان يجعل منها وقفا لصالحهم ، وبهذه الطريقة كان خلفاؤه يحصلون على فائدة أخرى وهي أعفائهم من دفع ضريبة الوراثة للمالك الكبير ، ولهذا السبب فنحن ندهش من أن كثيرا من الملاك لم يجعلوا من ممتلكاتهم أوقافا . ومع ذلك فقد كان ثمة ما يمنعه من ذلك وهو أن الأوقاف ليست قابلة للبيع والشراء ، فهم بوقفها ينزعون عن أنفسهم ، وكذلك عن خلفهم ، الى الأبد، حق بيع هذه الثروات حتى في حالة ما إذا احتاجوا لذلك، ومن جهة أخرى فمن المحتمل أن الحكومة — عندما سمحت بإنشاء بعض الأوقاف — لم تشأ أن تحول كل الملكيات على هذا النحو ، لذا فقد كان على المتزيمين عندما كانوا يريدون إنشاء مثل هذا النوع من العطاءات ، وحتى يحصلوا على موافقة المختصين أن يخصصوا جزءا من هذه العطاءات لمنشآت دينية على أن يؤول ما يتبقى من هذا العطاء الى المنشآت الدينية كذلك في حالة انقراض ذريتهم .

وهي العادة ، عندما كان ينشئ ملتزم ما رزقه ، فإنه كان يأخذ الأراضي التي خصصها لذلك من أراضي الوسية ونادرا ما كان يأخذها من أراضي الفلاحين الذين يدفعون له الضريبة ، ومع ذلك ، فقد كان في كلتا الحالتين يتنازل عن كل الضرائب التي كان يحصلها منها بل وكان يعفيها أيضا من ضريبة الميرى وذلك بأن يتكفل هو بأن يسدد ما عليها من ضريبة من بقية دخله . وعلى الرغم من ذلك — وهذا في الحقيقة أمر نادر الحدوث — فإنه

إذا ما قام أحد المتزمين بايتاف جزء كبير من ممتلكاته على مسجد ما أو أوقف عليه قرية بأكملها فإن المسجد فى هذه الحالة يصبح ملزما ويكون مكلفا بدفع الميرى المفروض على أراضى هذه القرية ، وتلك هى الحالة الوحيدة التى تكون فيها الأراضى المملوكة للمساجد خاضعة لهذه الضريبة المستحقة للمالك الكبير ، اذن فبمكنا أن نقول على وجه العموم أن الممتلكات العقارية الخاصة بالمساجد و المنشآت الدينية الأخرى كانت معفاة من كل أنواع الضرائب ، وكان كثير من ملاك هذه المنشآت حتى يحصلوا على حماية الباشا فى عملية جمع دخولهم يدفعون له ضريبة صغيرة تسمى : مال حماية .

وكما قلت فإنه لا المساجد ولا ملاك الأوقاف الآخرون كان لهم حق بيع هذه الأراضى ، لكنهم كانوا يستطيعون أن يهيئوا لها نوعا من التنازل يسمى : المدة الطويلة — وكانت هذه المدة تستمر فى العادة تسعين سنة . وكان هؤلاء الملاك يحصلون من هذا البيع المؤقت على مبلغ معين يدفع دفعة واحدة ثم على ايجار سنوى يسمى : أجر وهو يستخدم على نحو ما كحفظ لحق الملكية فى هذه الأراضى أو العقارات . وإذا ما حدث بعد مضى هذه التسعين عاما أن ظلت الأراضى أو المنازل التى بيعت بهذه الطريقة على نفس الحالة التى كانت عليها من قبل فإنه يكون من حق المالك أن يستعيدها . إما إذا كانت الأرض قد زرعت بالأشجار ، أو إذا كانت قد أذخات تحسينات على المنزل ، فإن العقار يظل فى حوزة الشخص الذى أدخل هذه التحسينات بشرط أن يظل يدفع على الدوام الإيجار السنوى الى المالك الأصلي، وإذا ما نشأت منازعات بين الطرفين فإن القاضى يقوم بالفصل فيها .

ولم تكن المساجد تستغل عائد مثل هذا البيع الا لى تشتري عقارات أخرى ، كما أن هذا التحويل لم يكن يسمح به الا للممتلكات التى تكون فى حالة سبئة . ومع ذلك فيمكن لنا أن نستنتج أن كثيرا من ملاك الأوقاف كانوا يبيعون فى معظم الأحيان بهذه الطريقة عقارات ذات قيمة عالية ، ولا يمكن تصور ذلك الا على أنه وسيلة للافلات من القانون، حيث إن مثل هذا البيع لم يصبح امرا معتادا الا بالنسبة للأوقاف التى لم تكن بحكم اسمها ونظامها لبسبح بالتصرف فيها .

كان لكل وقف ناظر أو مدير ، وهو فى العادة واحد من نسل مؤسس الوقف ، وكان هذا الناظر يقوم عادة بجمع ريع الوقف ويقوم كذلك بتوزيعه حسب ارادة مؤسسه كما سجلها فى حجة الوقف .

وكانت كل الرزق تسجل بمعرفة أفندى مكلف خصيصا بهذا الأمر ولم يكن هذا الأفندى عضواً فى هيئة أفندية الميرى الذين سأئناولهم بالحديث فيما بعد . ولكن قبل أن أنتقل الى فقرة أخرى سأؤوقف قليلا كى أقدم ملاحظة تبدو لى ذات فائدة جمة .

نستطيع أن نسننتج أن مختلف الملاك ، فى ظل نظام قمع كهذا الذى كان موجودا فى مصر منذ وقت طويل لم يكونوا ليستشاروا فى وضع الضرائب — برغم أن كل واحد منهم كان سيداً فى دائرته — بحيث تكون الضرائب منمائلة والعادات (عادات) موحدة فى كل أنحاء الدولة . لذا فقد كانت هناك اختلافات كثيرة بهذا الخصوص من منطقة لأخرى . ومع ذلك فقد كانت معظم العادات الخاصة بكل قرية مدونة فى سجلات بالغة القدم يسبرون حسب ما جاء بها أو يبتعدون عنها قليلا أو كثيراً بحسب الظروف .

ومن بين معظم المعلومات التى جمعتها ، اخترت أكثرها عمومية وهى التى تشكل نظام الملكية والضرائب ، وسوف أوصل على هذا النحو فى كل ما سيلي ذلك دون أن أهمل الأمور الخارجة عن الملف إذا ما كانت هامة ويعمل بها فى أماكن كثيرة ، وحيث إن الكثير من هذه الأمور غير المسألوفة كان يعمل بها فى صعيد مصر فسوف أخصص لها فقرة خاصة .

٢ — إدارة الأراضى

كانت أراضى الفلاحين وكذلك أراضى الوسية فى كل قرية مقسمة كل منها الى ٢٤ جزءا . وكانت هذه الـ ٢٤ جزءا تعود الى ملتزم واحد أو الى عدة ملتزمين . وكان يبلغ نصيب قرية فى بعض الأحيان عشرين ملتزما . ويتملك الملتزم على الدوام من قرايط وأجزاء من قيراط من أراضى الوسية بقدر عدد القرايط أو أجزاء القيراط التى يمتلكها من أراضى الفلاحين . وقد استقرت هذه العادة لحد أن الملتزم لم يكن يستطيع مطلقاً أن يبيع جزءاً من أراضى الفلاحين دون أن يبيع جزءاً مساوياً من القرايط من أرض الوسية .

ومن السهل أن نعثر على سبب هذه العادة وأن ندرك كيف كانت هذه

(ع) نوع من الاتاوات وكان يحصلها الملتزمون وفئات أخرى من رجال السلطة كما سيتضح فيما بعد .
المترجم

المساعدة مفيدة لكل من الفلاحين والملتزمين على حد سواء . ولا يمكن كيف
امكنى استنتاج ذلك .

حيث إن عائد اراضى الوسيية هو نسبيا الأهم والأكبر بالنسبة للملتزم
بينما زراعتها تشكل عبئا باهظا على الفلاحين فى بعض الأحيان حيث هم فى
بعض المناطق يرغمون على زراعتها بطريق السخرة . وحيث إن اراضى
الفلاحين فى مقابل ذلك هى الأكثر نفعا لهؤلاء ، فنحن من هنا نستطيع أن
نرى كيف يهتم الملتزمون أن يملكوا بقدر الامكان ما يستطيعون من اراضى
الوسيية ، وكيف يهتم الفلاحون فى نفس الوقت وب نفس القدر ألا يدعوا
الملتزمين يملكون الا أقل ما يستطيعون من هذه الأراضى . وهكذا ينشأ
توازن يحفظ حقوق الطرفين . لكن هذا التوازن سوف يزول اذا لم يرغب
الملتزمون انفسهم فى الاحتفاظ بهذا الحق فى العقود التى يبرمونها فيما
بينهم . وفى واقع الأمر ، فإذا كان البائع لا يريد أن يبيع سوى اراضى
الفلاحين ، فإن المشتري فى المقابل لا يريد أن يشتري الا اراضى الوسيية .
ومن اختلاف المصالح هذا ينتج بالطبع الحل الوسط وهو الذى يقضى بأن
يلحق دائما بعدد معين من قراريط ارض الوسيية عددا مساويا من قراريط
ارض الفلاحين .

من هذا الشرح نستطيع ان نرى ان الملتزم لا ينبغي أن يملك اراضى
الوسيية فقط . ولسنا نعدم أمثلة لتأكيد ذلك وان كنا نجد من جهة أخرى أن
اراضى بعض القرى لا تشتمل على اراضى وسيية .

أعود الآن الى ادارة الاراضى وسوف أتحدث على التوالى عن اراضى
الفلاحين ، وارضى الوسيية ، وارضى المساجد .

يختار كل ملتزم من بين الفلاحين الذين يملكون الاراضى التى يدفع
عنها حصته فى الضرائب ، مزارعا رئيسيا ليصبح رئيسا للآخرين ويحمل
اسم شيخ البلد . ويحدث أيضا أن تكون ممتلكات الملتزم فى قرية واحدة
بالغة الاتساع ، وعندئذ يقوم هو بتقسيمها حسبما يترأى له الى أجزاء عديدة
ويعطى رياستها لعدد مساو من المشايخ المختلفين مما يؤدى إلى أن يوجد فى
بعض القرى - سواء كانت اراضيها تتبع ملتزما واحدا أو عدة ملتزمين - عدد
كبير من مشايخ البلد يبلغ فى العادة من ٨ - ١٠ مشايخ ، وليس من النادر
أن نرى هذا العدد يرتفع ليصل الى ما فوق العشرين .

ويمارس شيخ البلد مهمة الادارة (البوليس) على الفلاحين الذين

يزرعون جزء الاراضى الذى يثثرفون عليه ، ومنه وحده يطلب الملتزم عائد الضريبة حيث قد ترك له مهمة جمعها من ايدى الفلاحين . ونتيجة لذلك فللشيخ الحق فى أن يأمر بضربهم بالعصى أو بحبسهم فى منزل ارض الوسنية(١) حتى يسددوا ما عليهم من ضرائب ، ومن جهة أخرى فان الشيوخ بدورهم أكثر حرصا على ألا يهملوا أية وسيلة تؤدى بالفلاحين أن يدفعوا ما عليهم، ذلك أن الملتزم سوف يوقع جزاءه عليهم اذا ما أحس منهم بأى تراخ فى تحصيل الضرائب .

وعندما يموت أحد مشايخ البلد فان الملتزم يختار عادة خلفا له واحدا من أبنائه يطلع عليه « شال وبنيش » ، ويقدم له الشيخ الجديد بدوره كى يشكره هدبه تسمى : تقدمه، وهى عبارة عن حبوب ونقود فضية بل وتقدم أحيانا فى شكل حصان ، وزيادة على ذلك فثمة قرى يلزم مشايخها بأن يعطوا للملتزمين عددا معينا من البوطاقات(٢) ، وفى قرى أخرى لا تقدم مثل هذه العطاءات الا مرة كل ثلاثة أو أربعة أعوام ، وفى بعض القرى لا تسرى مثل هذه العادة .

وبخلاف ذلك فلكل من المشايخ وكبار الملتزمين-مثل البكوات وكبار المالكين-مباشر أو وكيل يختارونه كما يترأى لهم من بين الأقباط ، وكانت وظيفة المباشر الأساسية أن يشرف على الصرافين فى دائرته وأن يمسك بدفاتر لتسجيل الدخول بمجرد تسديدها وكانت تودع لديه سجلات المسيرى وواحد من كل من سجلات المال الحر^(٣) والبرانى الخاصة بكل قرية ، وبالإضافة الى ذلك فهناك سجلان لهاتين الضريبتين الأخيرتين : واحد فى يد الصراف ويودع الآخر وهو الخاص بالفلاحين لدى الشاهد (✽) .

وفى العادة لم يكن لكل قرية سوى صراف واحد يختاره المباشري القبطى ، والصراف هو الآخر وعلى الدوام قبطى ، وكانت مهمته تحصيل الدخول والتأكد من قطع النقد وهو مسئول عن قيمتها ، وكان الصراف فى ضمانته المباشر، فهو مسئول عن تسديد ما قد يتبين من خطأ أو نقص فى الأيراد . ويعمل تحت رئاسة المباشري القبطى كذلك عدد من الكتبة بحسب حجم مسئولياته .

(١) حيث يقيم حكام القرية من المالك

(٢) تساوى البوطاقة ٩٠ مدينى — وكل ٨٠ مدينى = فرنك واحد .

(✽) ستوضح فيما بعد وظيفة الشاهد — المترجم .

(٣) لم يكن هناك سجل عام للمال الحر فى مصر .

وعندما لا يكون للملتزم مباشر فانه يقوم بنفسه بتعيين صرافيه .

والشاهد على الدوام واحد من فلاحى القرية ، ويشترط فيه أن يعرف الكتابة والحساب ، وهو على نحو ما رجل الفلاحين فهو الذى يسيّر مصالحهم ، وهو يمسك كشفا بالأموال التى دفعها الفلاحون على مدار العام لكى تخصم عند تحصيل الضريبة ، وليس للقرية الا شاهد واحد ويختار من قبل الفلاحين . وينبغى أن يحوز قبول الملتزمين أو اكبر هؤلاء الملتزمين نفوذا .

وأذا حدث أن بعض قطع الأرض لم تصلها مياه الري فان الملتزم يأمر بقياسها حتى لا يكلف الفلاحون الا بدفع الضريبة التى تتناسب مع مساحة الأرض التى يمكن لهم زراعتها ، وفى بعض الأحيان يرسل لهذا الغرض مساحا قبطيا ، ولكن هناك فى معظم الأحيان واحدا من أهالى القرية، مكلفا بإدارة زراعة أراضى الملتزم ويسمى : الخولى ، وهو الذى يقوم بمساحة الأرض بقياسها بينما الصراف يدون ويحسب . ويشهد هذه العملية شيخ البلد الذى تنبعه هذه القطعة من الأرض ، ويشهد هذه العملية أيضا القائمقام فى حالة كون قطعة الأرض التى لم ترو كبيرة المساحة .

وفى القرية التى يكون بها عدد من الملتزمين وبالتالى عديد من الخولة فان الخولى الأكثر نعلبها والأكثر نفوذا يكلف بالتمييز بين الملكيات الخاصة للزراع فى حالة ما إذا كانت سببا فى تفاقم النزاعات بينهم ، والخولى فى معظم الأحيان لا يعرف لا القراءة ولا الكتابة ويحفظ بمعلوماته فى ذاكرته وحدها ، لذلك كان المعتاد أن يخلف الابن أباه فى وظيفة المساحة ، وفى نفس الوقت ، فانه اذا حدث أن ارتكب الخولى بعض الأخطاء فى قياسه فان شيوخ البلد يبلغون أمره الى أقوى الملتزمين نفوذا ويرشحون له فى نفس الوقت رجلا قادرا على أن يحل محله ، عندئذ يعزل الملتزم الخولى الخطيء ويعين الرجل الذى رشحه الشيوخ خوليا بدلا منه .

وتدفع الأراضى المنزرعة نخيلا فى بعض البلاد بحسب مساحة الزرع وفى بلاد أخرى تحدد الضريبة على هذه الأراضى بعدد النخلات .

وتخضع العادات التى كانت متبعة فى إدارة أراضى الوسية لعدد كبير

من الاختلافات، اذ هي لا تختلف فقط من قرية لأخرى وإنما تتنوع أيضا بحسب أهواء الملتزمين . وبرغم ذلك فاليكم ما كان يحدث فى العادة :

كان الملتزم إما أن يؤجر أرضه وإما أن يزرعها بطريق السخرة . وفى الحالة الأولى يؤجر المالك أرض وسيته الى شيخ البلد الذى يدير فى نفس القرية زراعة أراضيهِ الأخرى . ومن الإيجار على الدوام أكبر من مجموع المال الحر والبرانى الذى تغله أراضى الفلاحين فى هذه القرية . وتتراوح هذه الزيادة من ١ — ٤ بوطاقات للفدان الواحد حسب جودة الاراضى وحسب اقترابها أو بعدها من المدن ، لذلك كانت الأراضى المجاورة لبولاق تؤجر بسعر أكبر ارتفاعا .

وفى الحالة الثانية يكون للملتزم فى كل قرية من القرى التى تتبعه بصفة أساسية رجلان مكلفان بزراعة وحصد أراضيهِ (الوسية) ويسمى الأول : الخولى أو المشرف، ويسمى الثانى الوكيل أو المحصل .

ويقوم الخولى بالتنسيق مع مشايخ البلد بتوزيع الأرض على مختلف الفلاحين حسب حاجاتهم أو طلباتهم ، وهو — أو أى رجل آخر يوثق به — هو الشخص الذى تودع لديه الأموال اللازمة لدفع نفقات الفلاحين .

ويبدأ الوكيل القيام بأعماله عندما يحين وقت الحصاد ، فيمسك سجلا بكميات الحبوب المحصودة ويودعها فى بينه ويحضر معه شيخ البلد كشاهد، ويتلقى الفلاحون من ٤٥ الى ٦٠ مدينى عن زراعة الفدان الواحد . أما عن الحصاد فانهم يحصلون على مكيال من القمح أو الشعير يساوى على أكثر تقدير ١/٢٢ من الأردب ، وذلك عن اليوم الواحد .

وفى الحالة الثالثة (※) ، وهى الحالة التى يتم فيها العمل فى أرض الوسية بطريق السخرة فإن الخولى يظل على الدوام موزعا للاراضى ومشرفا على الزراعة، كما تبقى اختصاصات الوكيل بنفس الشكل الذى سبق أن أوضحناه .

وفى كل الحالات التى لا تؤجر فيها الأرض يقدم الملتزم كل الحيوانات

(※) من الواضح أنه كانت هناك ثلاثة طرق لاستغلال أرض الوسية :
١ — الإيجار ، ٢ — الاستزراع بالاجر ٣ — الزراعة عن طريق السخرة .
(الترجم)

اللازمة للرى وكذلك البذور اللازمة ، ويعهد برعايه الحيوانات الى حارس يسمى : كلاف . وفى القرى التى تزرع فيها اراضى الوسية بالسخرة يحصل الناس الذين يعملون فى الأرض بالمحاريث على اجر ، ويعيش على هذا العمل بالدرجة الاولى اشد طبقات الفلاحين بؤسا .

والفلاحون مجبرون على تطهير القنوات والترع الخاصة لكن ينبغى على الملتزم أن يدفع لهم بحسب الاجر الذى اقرته العادة . والخولى كذلك هو الذى يقوم بالاشراف على العمل .

وكما تدار اراضى الوسية تدار ايضا الاراضى المملوكة للمساجد وكل الاراضى التى تسمى رزقة أى أن الناظر يقوم بتأجيرها أو يعمل على زراعتها . من طريق خولى أو وكيل، وقد قيل لى أن الاراضى المملوكة للمساجد لا تزرع مطلقا عن طريق السخرة .

ولا أستطيع أن أنهى الحديث عن ادارة الاراضى دون أن أتناول بالحديث مختلف طبقات السكان وكذلك الطريقة التى تمارس بها حراسة الأمن بينهم .

هناك فى القرى بخلاف الفلاحين التابعين للمشايخ ، فلاحون لا يمتلكون ارضا ويستخدمون كأجراء عند أولئك الذين يمتلكون الاراضى . وكثيرا ما يحدث أن يصبح هؤلاء الملاك انفسهم أجراء فى السنوات التى لا تصل الى اراضيهم فيها مياه الرى ، فهم عندئذ يتوجهون الى القرى التى يمكن أن تقدم لهم فيها فرص العمل . وليست هناك قرية مهما كانت صغيرة لا يوجد بها تجار للاتمشة الشعبية والمأكولات وكذلك بعض صناعات الفخار (القلل والجرار) ، وبعض العمال بالاضافة لبعض البنائين والتجار ... السخ .

ويوجد فى كل قرية شيخ بلد أو يمكن القول بأنه مأمور التصفية أو وكيل الدائنين (السنديك) فى البلدة، فهو الذى يقوم على وجه الخصوص بوظائف قاضى المصالحات كما أنه يفصل فى الخلافات التى لها بعض الأهمية، وتمتد سلطته ليس فقط الى كل الفلاحين المزارعين وانما الى سكان القرية . ومنصبه هذا ليس مجرد منصب شرفى فهو يحصل عن طريقه على بعض الفوائد . فعلى سبيل المثال ، اذا جاء المالك ليطلبوا مبلغا من المال أو كمية من الأغذية فإن شيخ البلد الاول يعمل على جمعها دون أن يدفع هو من ثرواته ولا ينازعه أحد فى حقه هذا . واذا كان من الصحيح أن المالك

كانوا يهتمون بأن يحولوا دون أن يصبح مشايخ البلد الأول شديدي الثراء وذلك بأن يقرروا عليهم وحدهم من وقت لآخر بعض المغارم ، فقد ظل مع هذا - منصب الشيخ الأول على الدوام فى أيدي أكثر أهل القرى ثراء . وكان هذا المنصب ينتقل فى العادة من الأب الى الابن لكن ثمة أمثلة على خروج المنصب من اطار عائلة ما ليذهب الى أخرى أكثر ثراء وأكثر نفوذا .

ومع ذلك فقد كانت توازن سلطة شيخ البلد ، وأحيانا سلطة الشيخ الأول ، سلطة واحد من المزارعين يكون أكثر ثراء من الآخرين ، يعرف كيف يجمع حول نفسه تجمعا . ويرفض هذا المزارع أحيانا أن يدفع الضرائب المقدرة عاياه ويرغم الصراف على الهروب من البلدة ويلجأ هذا الأخير الى المتلزم التابع هو له ، فيتخذ المتلزم حينئذ الوسائل اللازمة لتحصيل عوائده .

ويحمل الخادم الأول عند شيخ البلد اسم : المشد ، وهو على نحو ما بمثابة بواب أو حارس للقرية ، فهو يعرف ويدل الغرباء الذين يصلون الى القرية على مسكن كل واحد من أهلها، ويتعهد بارشادهم الى الأمور التي يمكن أن يكونوا هم فى حاجة لمعرفة : كالطعام ودواب النقل . . الخ، وأجره المنظور عبارة عن بضعة مئات من المدينى، يدفعها له المتلزمون لكنه يعرف كيف يزيد من امتيازاته عن طريق الهدايا التي يحصل عليها مقابل الخدمات التي يؤديها .

واليكم الآن قائمة بالأجور المقررة لمختلف الشخصيات العاملة فى إدارة الأراضى . التي تعرضنا لها فى هذا الفصل :

صراف القرية : ويدفع له الفلاحون أجره :

١ — فهو يحصل على ٢ مدينى مقابل كل ٩٠ مدينى يحصلها .

٢ — وهو إما أن يحصل على طعامه من الفلاحين ، ويقوم المشايخ بتوزيع هذه التكلفة على الفلاحين أو يتلقى بدلا من ذلك فى نهاية العام مبلغا ثابتا تحدده العادة .

٣ — وأخيرا فهو لا يعطى ايصالا بالـ ٩٠ مدينى التي حصلها الا اذا كان قد حصل بالفعل ٩٥ مدينى . وتحصل هذه الاتاوة لصالح المباشر القبطى حين يكون للمتلمزم مشد ، وفى الحالات الأخرى تكون هذه الحصيلة

عادة اقل (١) .

ويحصل **الشيخ** من المالك فى مقابل الخدمات التى يؤديها له على اعفاء من البرانى عن قطعة الأرض التى يحوزها ، وهى قطعة محددة فى كل قرية ، وزيادة على ذلك فان المالك يقدم له من ٣٠٠ الى ١٠٠٠ بارة كمنحة ، ويقدم له هذا المبلغ دلالة على الرضا أكثر منه كأجر ويسمى : مساهمة المشايخ .

ويعنى **الشاهد** أيضا من البرانى عن جزء من اراضيه، ويحصل على أجر ضئيل من الفلاحين بحسب مقدار الضريبة المقررة على كل منهم، لكن الامر يختلف كثيرا من قرية لأخرى .

ويحصل **المشد** من الملتزم على ١٠٠ أو ٢٠٠ مدينى، ويسمى هذا الأجر: عادة المشد .

ويدفع الملتزم كذلك **الضريبتين الآتيتين** :

عادة سقادر الوسية : وهى تقرر لسقاء منزل المالك اذا كان يقطنه الملتزم .

عادة خدامين الوسية : وهؤلاء الخدم هم : الخولى ، الوكيل ، الكلاف ، المزارعين .

ويحصل **الخولى** من الملتزم فى مقابل العناية التى يقوم بها نحو زراعة اراضى الوسية والعناية بالترعة على :

١ — الاعفاء من البرانى عن بعض أرضه .

٢ — $\frac{1}{3}$ المنحة المخصصة للشيخ، كما يعطيه كل واحد من الفلاحين كذلك $\frac{1}{24}$ من الأردب من الحبوب باعتباره مساح القرية .

ويدفع أجر **الوكيل** عينا ويصل أجره السنوى الى ١٠ أرداب من الحبوب .

وحيث إن **الكلاف** مجرد خادم بسيط فان الملتزم يدفع أجره حسب الاعتبارات الخاصة التى تقوم بينهما .

(١) عدد المسيو جيرار فى دراسة عن الزراعة والتجارة فى صعيد مصر الوسائل التى كان يلجأ اليها الإقطاع لى يحصلوا لأنفسهم جزءا كبيرا من دخول مصر .

وأخيرا ففى المناطق من أرض الوسية التى تزرع بالسخرة يخصص الملتزمون — ان لم يكونوا شديدي الجور — كميات صغيرة من الحبوب الى اشد الفلاحين بؤسا .

٣

عن بعض العادات الخاصة

فى الصعيد مصر

توجد اختلافات شديدة كما قلت بين عادات الصعيد وعادات مصر السفلى . وتعود هذه الاختلافات فى جزء منها الى الصعيد ذاته والى نمط الزراعة التى تقتضيها طبيعة أرضه، ومع ذلك فينبغى ان ننسب هذه الاختلافات أساسا الى بعد الصعيد عن العاصمة والى الاضطرابات المستمرة التى كان الصعيد مسرحا لها، ذلك أنه يبدو أن اضطرابا كبيرا كان قد سيطر على ادارة كل انحاء هذه المنطقة منذ غزو عرب الهوارة حتى الوقت الذى أصبح فيه الشيخ همام رئيسا لهم . وفى أثناء الوقت الذى كان فيه الشيخ همام قويا تم ادخال كثير من التحسينات فى الزراعة على يديه وانتظمت الادارة بشكل عادل ، ولكن بعد موته حين أصبحت هذه البلاد مأوى للمماليك اللاجئين عاد الاضطراب الى كل مكان وأضيفت تعديلات جديدة الى التعديلات التى سبق ادخالها والتى لا يزال الصعيد يحتفظ بجزء منها .

ومهما كانت هناك من أسباب يمكن لها أن تغير من عادات الصعيد ، فسوف اعرض هنا للاختلافات الرئيسية التى نلاحظها عندما نقارنها بالعادات فى بقية انحاء مصر .

فى كل الجزء من الصعيد الواقع بين جرجا وشلالات اسنا ، فان الاراضى المتعلقة بكل قرية ليست موزعة على الفلاحين بأجزاء محددة كما فى مصر السفلى ، لكنها على نحو ما ملكية مشاعة للجميع وتوزع على كل حسب امكانياته فى الزراعة . وجيث أن عدد الفلاحين محدود على الدوام تقريبا بالنسبة لمساحة الاراضى القابلة للزراعة ، فانه يمكن لاي فلاح مهما كان المكان الذى ينتمى اليه أن يشارك فى التوزيع أى أن يحصل على جزء من تقسيم الأرض — وكانت هذه الأرض تسمى : المساحة .

ولا يتوقف هذا النمط من الملكية فجأة عند جرجا بل هو يمتد الى كل الاقاليم الأدنى حيث كان يعرف كذلك نظام الملكيات المحددة وكانت تسمى هذه

الأراضى ، وهى التى أقسامها المحددة كذلك ترتبط بعائلات بعينها ، بأراضى الأثر .

وكان أقليم الفيوم وكذا الجزء الأدنى من أقليم اطفيح يقسم ويدار بنفس الطريقة المتبعة فى أقليم مصر السفلى وتدفع كذلك نفس الضرائب .

وللفلاحين فى مصر السفلى حق بيع اراضيتهم فيما بينهم . لكن الفلاحين فى مصر الوسطى لم يكونوا مطلقا لبييعوا أرض الأثر التى كانت تخصهم . أما تلك التى يملكونها عن طريق الميراث فاننا نجهل ما ان كان لهم حق بيعها أم لا ولكن ، بما أن مساحة الاراضى كانت أكبر بكثير من عدد الفلاحين فقد كانت عمليات البيع لهذا السبب مستحيلة .

وتنقسم الضريبة فى مصر العليا الى قسمين أساسيين : المال ، وهو الضريبة نقدا ، والخراج وهو الضريبة عينا ، وتدفع هذه وتلك الى الملتزمين : الأولى عن محصول الذرة والثانية عن محصول القمح والشعير .. الخ . لذلك ينبغى فى كل عام أن تقاس المساحة المخصصة لهاتين الزراعتين بغرض حساب ما على كل فلاح أن يسدده الى ملتزمه بحسب القيمة الثابتة التى لها فى كل قرية ، وان كانت هذه القيمة تتغير من قرية الى أخرى .

من هذا نرى أن دخول الملتزمين تتغير حسب مساحة الاراضى المروية وكذلك حسب نوع الزراعة السائدة هنا أو هناك لكن الملتزمين ملزمون على الدوام — وبهما كانت كمية ونوع الضرائب التى يحصلونها — بتدبير نفس مبالغ الميرى نقداً كان أو عينا بحيث إنهم ، اذا حدث أن جمعوا أموالا أكثر مما جمعوا من المحاصيل ، يكونون مرغمين على شراء حبوب كى يسددوا بها حصة الميرى .

والملتزمون فى الصعيد ملاك بنفس الطريقة التى يملك بها الملتزمون الآخرون فى بقية أنحاء مصر وكذلك بنفس الشروط التى شرحتها فى بداية هذه المذكرة (١) .

(١) لا يتطابق ما قلته هنا تماما مع المعلومات التى وردت بمقال : عن الزراعة والتجارة فى صعيد مصر « تأليف جيار » . فقد ظن كاتب المقال المشار اليه أن بيع مساحة من الأرض ليس سوى تعاقد مؤقت لا يدوم إلا الى فترة السداد . ومع ذلك فقد لمسنا أن كل الملتزمين فى كل أنحاء مصر كانوا يقومون فيما بينهم بعمليات بيع مطلقة .

وكانت الاراضى فى كل قرى الصعيد الأعلى وكذلك فى كل قرى مصر السفلى حيث الارض مملوكة لكل السكان على المشاع — كانت توزع على الأهالى بمعرفة شيوخ البلد . وكان المساح يقوم بمسحها بمعرفة القصاب أو حامل المقياس (القصبه) ويدون مذكرة بذلك ويخبر كل فلاح مقبدا بما ينبغى عليه أن يدفعه مستقبلا . ويحصل المساح وقصابه معا من الفلاحين من ٦ الى ١٠ مدينى عن كل فدان من الأرض التى قاما بقياسها . والمساح فى العادة قبطى ومع ذلك فبعض منهم مسلمون وليس ثمة شاهد فى القرى التى تقاس فيها الأرض بهذه الطريقة .

وثمة قرى عديدة فى الصعيد ، كل سكانها من الأقباط ، وفى هذه الحالة تكون مناصب شيخ البلد فى أيدي الأقباط، ولكن فى القرى التى يعيش فيها المسلمون والمسيحيون معا فإن هذه المناصب تكون فى أيدي المسلمين ؟ .

وقد أغفلت أن أدخل فى تعداد انواع الملكيات المختلفة فى مصر السفلى تلك الملكيات التى تسمى : المسموحة لأن عددها هناك بالغ الضالة ، ولكنها أكثر انتشارا نسبيا فى الصعيد وتسمى : الحظيطة ، وهذه الملكيات فى بعض الأحيان تكون عبارة عن دخول نقدية وتكون أحيانا دخول عينية عن عقار ما من الأرض ، وأحيانا تكون الحظيطة هى العقار نفسه ، وهى فى كل الحالات لا تدفع أى نوع من الضرائب . ويرجع السكان هذا النوع من الملكية لأصل يبدو لى طبيعيا لحد ما فيقولون أن هذه الحظيطة عبارة عن سرقات قام بها العسريان الذين استقروا عنوة فى القرى المختلفة . وأن هذه السرقات قد تنوقلت بفعل الوراثة واكتسبت شرعيتها بمرضى الزمن . وهذه الملكيات — التى ليست لها أهمية بالغة — تستقر فى غالب الأحيان فى يد مشايخ البلاد .

وفى النهاية ، فإن الضرائب فى عدد كبير من قرى الفيوم ، لم تكن تقدر حسب مساحة الأرض ، ولكن كان على القرية فى مجموعها أن تدفع مبلغا محددا . وعندما توجد قطعة من الأرض لا تصلها مياها الرى يعتقد الفلاحون والمليزمون اتفاقا وديا، وإذا أحس الأولون أن الاتفاق مجحف بهم يرفضون الزراعة ويلوذون بالفرار .

وفى مصر السفلى يوجد بعض الأمثلة على قرى بها قطع من الأرض

تدار بهذه الطريقة . ويطلق على هذه الاراضى اسم : شروه (١) .

(١) نجد عند هيرودت نصا يتعلق بدخل ملوك مصر من ضرائب الاراضى عند توزيع هذه الاراضى وعند تخفيض الضرائب فى بعض الحالات وسأذكرها هنا ليس بقصد أن نعرف ما كان يحدث فى الماضى بل لكى نتعرف على ملامح الشابه التى نجدها هنا مع ما سبق أن ذكرته بخصوص نفس النقاط عن الادارة المالية وبالذات فى الصعيد أكثر منه فى الوجه البحرى . يقول هيرودت :

« وقال لى الكهنة أيضا ان الملك سيزوستريس قد أمر بتقسيم الأرض مخصصا لكل واحد قسما متساويا ومربعا يعطى له كيفما اتفق . كل وقسمته، بشرط أن يدفع للملك كل عام على الأقل ضريبة محددة تشكل دخله . وإذا حدث أن أغرق النهر جزءا من أرض أحدهم فإنه يذهب لمقابلته الملك ويعرض عليه ما حدث فيرسل الملك الى أرض الفلاح بمساحين لقياس ما نقص من العقار حتى لا يدفع الفلاح من الضريبة الا ما يناسب ما تبقى منه » . ويصيف هيرودت :

« وهذا فيما اعتقد هو اصل حساب المثلثات الذى انتقل من هذه البلاد الى اليونان » .

واظن أنه ينبغى أن نربط بين هاتين الجملتين « أغرق النهر جزءا من حصته » و« تركت من حصته أرض لم تغرقها المياه » ذلك أنه فى زمن سيزوستريس ، وكما يحدث الآن كان النهر دون شك لا ينزع من الأرض الا جزءا بالغ الضالة بحيث لا يمكن أن يكون الأمر موضوعا للملاحظة كما كان النهر ولا بد — كما يحدث الآن أيضا — يترك فى بعض الأحيان مساحات كبيرة من الأرض دون رى .

ويخيل الى كذلك أنه لا ينبغى أن نقر بشكل عام فكرة تقسيم الأرض بأجزاء متساوية بين كل الأفراد ذلك أن هيرودت نفسه يقول بأنه كان لكل واحد من المحاربين ١٢ أرورة من الأرض أى حوالى ١٠٠ تواز مربع (تبعا لحساب دانفيل الذى يحسب الذراع المصرى بـ ٢٠ بوصة و٦ شطرات لكن حساب الارورة لا يصل الى ٢٤ تواز والـ ١٢ أرورة لا تساوى مربعا طول ضلعه ٨٣ تواز . وقد خلط دانفيل ومعه كل العلماء بين الذراع العبرى والذراع المصرى وهذا ما سوف أوضحه فى مقالى عن النظام المترى عند قدماء المصريين . ١ . جومار) معفاة من الضرائب . ونعرف فضلا عن ذلك عن طريق ديودور الصقلى أن النظام الكنسى كان يمتلك كذلك أراضى خاصة به . ومن جهة أخرى فكيف كان يمكن أن يحصل التجار والحرفيون على نصيب ما من هذا التوزيع .

يبدو لى إذن أن هذا التقسيم لا ينبغى أن يفهم الا على أنه كان يتم بين المزارعين وإذا كان مما يلفت النظر الآن أن زراعة الاراضى التى تحيط بقرية ما لا يمكن أن يعهد بها عقلا الا الى سكانها انفسهم فأننا نستنتج من ذلك : ١ — أن القرى كانت تمتلك مساحة معينة من الأرض عن طريق الضريبة التى تدفعها الى الملك . ٢ — أن أراضى القرية الواحدة كانت توزع على كل الأفراد من السكان بأقسام متساوية كل عام وكيفما اتفق .

٤ — عن مال الكشوفية أو ضريبة الكاشف

قبل أن نوضح طبيعة هذه الضريبة التى تحصل كلها تقريبا لصالح حكام الولايات فربما يكون من المناسب أن نتحدث قليلا عن هؤلاء الحكام .

لم يكن البكوات يحتفظون بمنصب حاكم ولاية معينة الا لمدة سنة واحدة . وكانت مهامهم الرئيسية حفظ الأمن وفض الخلافات التى يمكن أن تنشأ بين قرية وأخرى وتقديم الحماية للفلاحين ضد العربان وحماية الملتزمين فى تحصيل دخولهم .

وكان للبك عدد من الكشاف يصل أحيانا الى ٢٠ كاشفا ، هؤلاء هم ملازموه (ملازم) ، الذين يتصرفون حسب أوامره . وكان البك يمر عادة بولايته ثلاث مرات أو أربع ويقيم فى أفخم منازلها ومع ذلك فقد كان من الضروري بالنسبة له ألا يتغيب طويلا عن العاصمة خشية أن تطيح به إحدى المؤامرات التى فشلت فى التنبؤ بها فى الوقت المناسب ، فكان يترك على الدوام بعض كشافه يجوبون الولاية مع مهابيلهم . كما كان يوجد فى كثير من الأحيان واحد أو اثنان أو ثلاثة قائمقام ، وهذا القائمقام إما مملوكا أو سراجا ويقطن فى بيت يسمى أرض الوسية أى بيت الحاكم ووظيفته فى القرى التى يحكمها (أو وظيفتهم فى القرى التى يحكمونها) هى نفس وظيفة ومهام البك فى الولاية التى يحكمها .

وبخلاف الراتب الذى يدفعه لهم البك ، فقد كانوا يرغبون الفلاحين على مدهم بالطعمة التى يحتاجون إليها .

== إذن فقد كانت القرى تمتلك أراضى فى الماضى كما نمتلكها تقريبا قرى الصعيد اليوم . فقط . لقد أوقفنا تقسيم أراضى القرى فى الوقت الحالى بين المزارعين بنفس العدالة .

وإذا ما قاربنا بين نص هيرودت الذى سبق ذكره والنص الوارد فى سفر التكوين حيث أضاف موسى بعد أن قص الطريقة التى اتبعها يوسف حتى يجعل من فرعون مالكا لكل الأراضى « ومنذ ذلك الوقت وحتى اليوم يدفع إلى الملك فى كل أنحاء مصر ١/١٠ دخول الأراضى ، ويحدث هذا كما لو كان قاتونا فيما عدا أراضى الكهنة التى ظلت معفاة من هذا العبء » . وإذا ما تذكرنا الراى الذى يراه المصريون المحدثون بخصوص ملكية الأرض فسوف نرى أنهم كانوا معتادين منذ وقت طويل أن ينظر إلى ملاك الأرض فى مصر على أنهم مزارعو الملك . ويمكن أن نلاحظ أيضا فى هذا النص من سفر التكوين أن أراضى المنشآت الدينية كانت منذ قرون معفاة من الضرائب . (وصف مصر — م ٣)

والخازندار هو واحد من ممالك البك . وكان الأشخاص الذين يشغلون مهام مختلفة تتصل بمالية بيت البك يشغلون فى العادة وفى نفس الوقت المهام المشابهة التى تتصل بمالية الولاية .

ويفرض جزء من مال الكشوفية على الملتزم، ويفرض الجزء الآخر على الفلاحين .

واليكم أقسام الجزء الذى يحصل من الملتزم :

مال الجهات : ويخصص عائد هذه الضريبة لمركب الترفيه الذى يسبق كل عام الحمل المسافر الى مكة . ويحصلها حكام الولايات ويعطى ليد شيخ بلد القاهرة الذى يعطيه الى اسلام باشى المكلف بمهمة التصرف فيه . ويدفع الملتزمون مال الجهات بنسبة عدد القراريط التى يمتلكونها وهو نفس ما يحدث مع الضرائب الأخرى الآتية .

خدمة العسكر : وقد تقررت هذه الضريبة فى الأصل كرواتب لجنود الأوجاقلو لكن حكام الولايات منحوها لأنفسهم .

عادة أوراق شتوى وصيفى : وكانت ترسل هذه الرسائل الى مختلف القرى لاختار الأهالى بأن الوقت قد حان لسداد الضرائب .

واليكم الآن قائمة بالضرائب المكونة لمال الكشوفية المقررة على الفلاحين :

رفع المظالم : وتقررت هذه الضريبة على يد محمد بك أبو السذهب . لكى تحل محل المظالم الهمجية . وفى هذا الصدد ثمة ثلاث طبقات من القرى : الأولى وتدفع ٢١ بوظقة ، الثانية وتدفع ١٥ بوظقة والثالثة وتدفع ٨ . لكن تقرير هذه الضريبة لم يمنع المظالم الهمجية من أن تحدث كما كان الأمر من قبل .

مال التحرير : تقررت على يد ابراهيم بك لنفس الأغراض سألقة الذكر وأصبحت مثلها مجرد أعباء جديدة على الفلاح . وقد قسم ابراهيم بك شأنه فى ذلك شأن محمد بك القرى الى ثلاث طبقات : الأولى وتدفع ١٥ بوظقة ، والثانية وتدفع ١٠ بوظقة ، والثالثة وتدفع ٥ بوظقة .

مطالب حاكم الولاية : وهذه المطالب على الدوام عينية مثل القمح والخبث . الخ وقد تكون اطعمة للفرقة التى تصاحب الحاكم عندما يسافر ، وعندما تكون هذه الفرقة كبيرة العدد تبلغ كل قرية بالجزء من المصروفات التى عليها أن تدفعها . وهذه الضريبة غير محددة .

مصاريف الناية اللازمة : وهى المصاريف التى يتكفل بها مشايخ القرى عندما يقدمون الكلفة أى الوجبات الى الكشاف والى المالك الآخرين الذين يمرون بالاقليم . وهذه المصاريف التى لا يمكن كما رأينا ان تكون مبخدة كان يقسمها المشايخ على الفلاحين .

حق الطريق : وهو أجر القواسين (القواس) وان كان يدفع ايضا لصغار المالك الذين يقدمون الى القرية حاملين الأوامر . ويحدد هذا الأجر بمعرفة نفس الشخص الذى أرسل الأمر .

وتشكل كل الضرائب السابقة بالإضافة الى المظالم والمغارم الهمجية ما يطلق عليه اسم « مال كشوفية » . ويدون ما هو ثابت من هذه الضرائب عند المباشر القبطى .

لكن عوائد مال الكشوفية لا تذهب كلها لحكام الاقليم وحدهم ، فهؤلاء ملزمون بدفع الميرى عن مناصبهم وذلك بخلاف تسديدهم مال الجهات المخصص لحمل الحج . ويبلغ الميرى المستحق عن مناصبهم حوالى ٢٠ ، ٣٠ ، ٥٠ كيسا (١) عن الولاية ، حسب درجة ثراء الولاية نفسها . وكان عليهم كذلك فى العادة ان يقدموا مرة فى العام هدايا الى الباشا والى الكخيا والى الخازندار كما عليهم ان يدفعوا مكافأة الى كل الأشخاص المهمين فى بيت الباشا .

ولكى نقدم فكرة عن المظالم والمغارم التى كان يمارسها المالك تجاه الفلاحين، وهى الابتزازات التى تحرم هؤلاء الفلاحين من أية ميزة كان يمكن ان تعود عليهم لو انهم اقتصروا على دفع الضرائب المنتظمة، فسوف أعرض لاثنتين من هذه المظالم كانتا تتكرران فى معظم الأحيان .

كانت القرى الواقعة على حافة الصحراء تتعرض لهجمات العربان الذين يأتون للاستيلاء على جزء من أراضيها لزراعتها وذلك بموافقة حكومة الولاية . ويحدث — عندما يحين موعد سداد الضرائب — ان يرفض العربان فى بعض الأحيان دفع هذه الضرائب . وإذا لم يصل المالك فى الموعد المناسب ليحملوهم على دفعها فان الجزء من الضريبة الذى كان عليهم ان يدفعوه عن الاراضى التى اغتصبوها يقسم على الفلاحين .

(١) الكيس = ٢٥٠٠٠ مدينى .

وقد قلت فيما سبق ان الملتزمين كانوا يأمرؤن بقياس مساحة الاراضى التى لم تصلها مياه الرى حتى يقتلوا من الضرائب بنفس النسبة ، لكن اذا ما حكم الممالك او مباشرؤهم بأن بإمكان الفلاحين ان يدفعوا الضريبة كلها ، فانه لا يسمح بأى تخفيض فى الضريبة المقررة .

واخيرا فان جشع الممالك لم يكن يعرف لنفسه حدا الا عندما يتبين عجز الفلاحين الكامل عن الدفع . ولم يكن هؤلاء البؤساء يستطيعون ان يلجأوا لاية وسيلة تواجه هذه المظالم الا بالهرب ، فعندما يجد فلاح ما نفسه عاجزا عن ارضاء جشع سادته ، فانه يترك حقوله ومنزله وتتبعه زوجته وأولاده ويذهب الى قرية أخرى يبحث لنفسه فيها عن اراض يزرعها وعن سادة اقل جشعا .

وبخلاف الانتهابات التى كان يقوم بها الممالك والصيارف ، فقد كان على الفلاحين ان يعانون كذلك من غارات العربان الذين كانوا يغيرون ليفتصبوا منهم قطعان مواشيهم وكل ما أهمل الاولون ان يأخذوه .

وسأقدم هنا قائمة بالضرائب التى اضيفت الى المال الحر والتى فرضت كلها على وجه التقريب لصالح حكام الولايات ، حتى ولو كانت قد فرضت فى الأصل لأغراض مختلفة كما سنرى .

اعوادة جاويش كاشف : والجاويش هو الذى يرشد الكاشف ويقوده الى الأماكن التى يريد الذهاب اليها . فهذه الضريبة اذن مخصصة لجنود الأوجاقلو .

تسويق مقرر: وقد تقررت هذه الضريبة أيضا لصالح الفرق العسكرية.

عادة راس نوبة :

عادة مسودة :

وهان الضريمتان قد خصمتا لبعض الأوجاقلو المسمين : راس نوبة، ومسودة والذين كانت وظيفتهم حماية عمالية سداد مال الجهات .

عادة خدام الرملة : وهى اجر الفرقة التى تحمل الزكائب التى تملا بالتراب الذى يستخدم فى صنع الجسور .

عادة مسلم : والمسلم هو أحد رجال عسكر الأوجاقلو .

عادة اليازجي : اي عادة كاتب الفرقة .

عادة تبني السلطانية : أى العادة المخصصة لتأمين التبن اللازم لفرق السلطان .

عادة حوالة الحوالات : وهى العادة المخصصة للشخص الذى يرسل الى دائرة القرية ليحصل الضرائب .

عادة خفر المال : وهم الحراس اللازمون لنقل ناتج القرية .

عادة جسر السلطانية : وهى مخصصة لجسور الترع التى أقيمت على حساب السلطان . ويوزع ناتج هذه العادة على أهم مشايخ البلد المكلفين بإدارة العمل ، ويحدث نفس الشيء بخصوص العادات الثلاث الآتية :

عادة جرافة السلطانية (١) : وتخصص لدفع أجور أولئك الذين يعملون فى تطهير الترع الكبرى بواسطة الجرافة .

عادة شيوخ الجرافة : أى عادة رئيس الأنفار الذين يشتغلون بواسطة الجرافة .

عادة صغار الجرافة : أى الأولاد الذين يعملون بالجرافة ، ولم يكن يدفع هذه العادة الا عدد ضئيل من القرى .

عادة مطهسين الجسور : أى حراس الجسور . وتخصص هذه العادة للرجال الذين يعملون لاعداد الطين للجسور، والذين يقومون بحراستها اثناء الليل .

وتخصص العادات الخمس الأخيرة لأشغال الترع التى تقسم على نفقة السلطان، ولا يدفعها الا الملتزمون الذين يحتاجون الى هذه الترع لرى

(١) الجرافة : أداة تستخدم فى بعض أنحاء مصر لتطهير الترع وهى مثلثة الشكل ومصنوعة من ألواح خشبية ويبلغ طول سطحها حوالى ٩٠ سم ويبلغ ارتفاع حوافها حوالى ٢٠ سم على ٢٠ سم من الجوانب فقط . وعندما يراد استعمالها ، يبدأون بحرث قاع التربة ثم يعلقون ثورين من البقر بحبال الجاروفة بحيث يتجه الجانب الذى لا حواف له ناحية الحيوانين ويركب رجل فوق هذه الأداة لاعطائها بعض الثقل ثم يساق الحيوانان فتدخل الأتربة فى الجاروفة من الجانب الذى لا حواف له وعندما تمتلئ الجاروفة يتجهون بها خارج الجسور ليفرغوها .

أراضيهم . وفى نفس الوقت فقد كان من النادر أن تلزم قرية بعينها بأن تدفع خمس ضرائب فى وقت واحد .

عادة تقرير أفندى الولاية : أى قاضى الولاية (١) .

عادة نايب ريبة : أى العادة المخصصة للشخص المكلف بحراسة الفتيات العامات (المومسات) ، وقلة من القرى فقط هى التى تدفع هذه الضريبة ، وهى من جهة أخرى ضريبة ضئيلة .

وقد تقررت بعض هذه الضرائب الـ ١٧ السابقة منذ وقت طويل لصالح فرق الأوجاقات ، أما بعضها الآخر فزيادات طرأت على يد نفس الفرق العسكرية . وهناك نوع ثالث من هذه الضرائب كتلك التى تقررت لصالح صغار الجرافة ، وهى تبدو كما لو كانت فى الأصل مجرد اتاوات تحولت بمرور الزمن الى ضرائب قانونية .

وقد تحولت الآن كل الضرائب التى تقررت من أجل الترع وكذلك التى تقررت لصالح جنود الفرق العسكرية لصالح حكام الولايات ولم يعد هؤلاء يقومون باصلاحات تذكر الا للترع التى تبين أهميتها المطلقة مثل ترعة الاسكندرية .

ولم تكن كل قرية تدفع كافة الضرائب والعادات التى بينها ، فثمة بعض هذه العادات قد توقف فى بعض الجهات أو لم يعرف على الإطلاق فى جهات أخرى .

وكان يتم تحصيل هذه العادات وكذلك تحصيل مال السكثوفية الذى يدفعه الملتزم — على فترات مختلفة فى نفس القرية . وكان الشاهد والعرف يدونانها لكى يخصصوها من المال الحمر عندما يحصل الملتزم هذه الضريبة .

هـ — عن الميرى وعن الأفندية

عهد بتحصيل واستخدام الميرى الى ادارة مكونة من مسلمين يسمون الأفندية ، ويقيمون بالقاهرة . وكان الأفندى الأول يعرف باسم الروزنامجى ، وكان يختار من بين الأفندية ويعين لمدى الحياة بواسطة السلطان ويشغل رتبة نصف سنجق أو نصف بك ، أما مناصب الأفندية فهى وراثية ويمكن

(١) كان القاضى يسمى كذلك أفندى .

ان تباع . ولكن يشترط على الدوام أن يكون المشتري متعلما لحد كاف وان يحصل على موافقة الروزنامجى .

وظائف الروزنامجى هى وظائف المدير العام والجابى ، فلم يكن ثمة غيره يحصل الأموال الناتجة عن الميرى . وكانت هذه الأموال توضع مباشرة فى خزينته . ويقتصر عمل الأفندية الآخرين على مسك الدفاتر الخاصة بأنواع تحويل أو تبديل الممتلكات والوظائف التى تخضع لدفع ضريبة الميرى، وكذلك عمل الحسابات سواء عما ينبغى على كل مالك أن يدفعه أو عن المصروفات التى يجب استقطاعها من عائد هذه الضريبة . وسوف يتضح كل هذا عند ذكرنا لعدد الأفندية وتحديدنا للأعمال التى يشغلها كل واحد منهم .

الروزنامجى : وقد سبق أن حددت اختصاصاته ، ويعمل تحت امرته مباشرة أربعة أفندية يسمون حلفة ويمكن اعتبارهم بمثابة كتبة له ويشار اليهم هكذا : الأول : باش حلفا ، الثانى : ثانى حلفا ، الثالث : ثالث حلفا الرابع : رابع حلفا . ويكلف الباش حلفا بعمل حسابات الميرى الذى ينبغى أن يدفعه كل ملتزم يمتلك أراضى فى ولاية الجيزة وتلك التى ينبغى أن يدفعها حاكم هذه الولاية . وهو مكلف فوق ذلك بأن يؤدى نفس هذا العمل لحاكم هذه الولاية وثلاث . فرى فقط من ولاية منفوط وهذه القرى الثلاث هى : بنى رافع ، بنى حسين الأشراف ، وقرية حيط بلا غيط .

أفندى الشرقية : وتتعلق أعماله بولايات الشرقية والمنصورة وقلوب وأطفيح والبحيرة ، وهى من نفس نوع الأعمال التى يقوم بها الباش حلفا بخصوص ولاية الجيزة .

أفندى الغربية : وأعماله هى نفس الأعمال السابقة ولكن فيما يتعلق بولايتى الغربية والمنوفية .

أفندى . الشهر : وتنقسم مهام هذا الأفندى الى قسمين : فهو أولا مكلف فيما يتصل بولايات الوجه القبلى بكل الأعمال التى يكلف بها الأفندية الثلاثة السابقون فى دوائرهم . وولايات الوجه القبلى هى : بهنسا ، الفيوم ، أشمونين ، منفوط ، جرجا التى تضم كذلك الواحات . وهو ثانيا يقوم بعمل حسابات الميرى الذى ينبغى أن يدفعه كل التجار الملتزمين (ملتزم) رجال الجمارك سواء أولئك الذين يعملون بموانئ البحر أو أولئك الذين يعملون بالموانئ الداخلية مثل بولاق ومصر القديمة .

أفندى الغلال : وهو مرعوس للأفندى السابق ويعهد اليه بحسابات توزيع الحبوب المحصلة لحساب الميرى .

أفندى المحاسبة : لا يمكن صرف التكاليف النى تتم على نفقة السلطان مثل كميات القمح التى ترسل كل عام الى المدينتين المقدستين واصلاح الترع الكبرى والكبارى والحصون .. الخ الا بعد ان يقوم هذا الأفندى بتسوية حساباتها .

أفندى اليومية : ويعد منصبه أحد المناصب الهامة فهو رئيس لعشرة أفندية مكلفين بعمل حسابات المصاريف الآتية : واحد للفقراء والعجزة ويسمى كاشدى ، وآخر للأرامل والأيتام ، وثالث لعميان الجامع الأزهر ، وكبار الشيوخ .. الخ ويسمى جوادى ، والسبعة الآخرون لفرق الأوجاقلو السبع .

أفندى المقابلة : وهو الذى يقوم بفحص ومراجعة كل الحسابات التى ذكرت آنفا .

أفندى الكوركجى (١) : وهو يقوم بحساب ما ينبغي على كل ملتزم ان يدفعه لمصاريف نقل الانتقاض من القاهرة الى بوغازى رشيد ودمياط وهذه الضريبة المتضمنة فى مبلغ الميرى تسمى مال كوركجى وهى ضئيلة بحيث لا يبلغ اجمالها فى مصر كلها الا حوالى ٢٨ كيسا .

ولكل من الأفندية التسعة السذين سميتهم — مثلهم فى ذلك مثل الروزنامجى — ٤ حلفا فيها عدا أفندى المقابلة فله ٥ حلفا بسبب عمله البالغ الأهمية . ولكل واحد من نفس هؤلاء الأفندية وكذا الروزنامجى وباش حلفاه : واحد كيسه دار أو حامل الحقيقة التى تضم دفاتر الحسابات وهؤلاء الكيسه دار يعتبرون حراسا لهذه الدفاتر وهم يعرفون السكتانة ويدخلون فى عداد الأفندية .

وبرغم هذا ، فليس هؤلاء هم كل أعضاء تلك الإدارة الكثيرة العدد : فهمة أربعة كتاب خزنة اثنان منهم تركيان وهما أعلى مرتبة من الآخرين اللذين يختاران من بين اليهود . وفيما مضى كان الكتاب الأربعة جميعهم من

(١) كورك كلمة تركية بمعنى مجداف . ويسمى الأفندى المكلف بالضريبة المخصصة لنقل الانتقاض كوركجى لان هذا النقل كان يتم فى الماضى بواسطة القوارب .

اليهود ويقال ان هذا الوضع لم يتغير الا عندما هجر واحد من الكتاب الأربعة دينه لكى يعتنق الاسلام ، وعندما تبعه فى ذلك اثنان من ابنائه فقد أصبح هذان يمدان من الأتراك .

ويدخل ضمن اعضاء هذه الادارة اثنان من كتاب الباشا ويسميان : تذكرجى وهى كلمة تركية تعنى كاتب الأوامر . ويكتب أحدهما باللغة التركية ويعتبر الكاتب الاول أما الثانى فيكتب باللغة العربية .

وأخيرا فهناك ثلاثة صرافين ملحقين بإدارة الميرى ، وثلاثتهم من اليهود ويدعى أحدهم صراف باثى أو صراف أول ووظيفتهم عد النقود ومراجعة أنواعها .

ويخضع الصيارف وكتاب الخزنة مباشرة لأوامر الروزنامجى ، لكنهم يحصلون على أجورهم — شأنهم فى ذلك شأن بقية أفراد الادارة — من قبل الميرى . وبإمكان هؤلاء أن يستعينوا بأى عدد يحتاجونه من الكتاب والصيارف ، لكنهم وليس الميرى هم الملزمون فى هذه الحالة بدفع أجور هؤلاء .

وينقسم الميرى الى قسمين رئيسيين : مال شتوى ومال صيفى : وتؤخذ عوائد القسم الأول من محاصيل الفول والشعير والقمح ، وهى أهم المحاصيل وأول ما يحصد منها لذلك فهى تخصص للمصاريف الداخلية ، وهذه على الدوام شديدة اللاحاح . أما عوائد المال الصيفى وهى تحصل عن الارز فتأتى متأخرة وتخصص للانفاقات الخارجية .

وكانت حسابات الأفندية وصرف الميرى تتم أربع مرات فى العام بين كل واحدة والاخرى ثلاثة أشهر . وتتم الأولى فى الفترة التى يكون فيها النيل فى أعلى درجات ارتفاعه . وتؤخذ الثلاث دفعات الأولى من التحصيل من المال الشتوى أما الرابعة فتؤخذ من المال الصيفى . واليكم كيف كان يتم الدفع :

يرسل الافندى الى الملتزم أو الى أى مدين آخر مع واحد من خدم الديوان يسمى نشاعوس مذكرة من الميرى بأن عليه ان يسدد ما عليه . وينتقل الملتزم مع هذا النشاعوس الى الروزنامجى الذى يعطى للملتزم بعد تحصيل المبلغ ايصالا مؤقتا ثم يقوم الافندى بموجب هذا الايصال المؤقت بتحرير الايصال النهائى .

وللأفندية طريقة خاصة بهم فى مسك وكتابة حساباتهم والشى يقال انها أيضا مستخدمة من قبل الافندية فى القسطنطينية . وتبدو كتاباتهم التى تسمى خط القرمة ، تبدو للوهلة الأولى مشابهة لدرجة طفيفة للكتابة العربية . ومع ذلك فهى لا تختلف عنها الا فى أن حروفها أقل ارتفاعا من حروف الكتابة العربية وأكثر منها اتساعا فى الاتجاه الأفقى وتسمح هذه الطريقة فى الكتابة بتضييق السطور فيما بينها . وهذا ما يجده الأفندية بالغ الفائدة ، ليس ثمة سواهم على الدوام يستطيع قراءتها بسهولة .

ويمسك الاقباط حساباتهم بالكتابة العربية المعتادة ويسجلون المبالغ تحت دلالات * وهذا مما يجعل من العسير القيام بعملية الجمع لتكوين المبالغ الكلية . أما الذين تعلموا طريقة الكتابة فى القسطنطينية فانهم يتبعون الطريقة الاوربية ويكتبون المبالغ فى نفس السطر الذى نكتب فيه الدلالة مع مراعاة وضع كل المبالغ التى ينبغى أن تجمع الى بعضها ، كلا منها تحت الأخرى ، ويبدون بالغى الكفاءة فى استخدام هذه الطريقة . وفى بلد آخر غير مصر سوف يدهش المرء حين يرى الناس لا يتبنون مثل هذه الطريقة بوجه عام وبخاصة من جانب أناس كالأقباط — فعملهم الاساسى عبارة عن القيام بالعمليات الحسابية من جمع وطرح . ولكن فى مصر ، حيث تتغلب العادة ، فان مثل هذه الأمور لا ينبغى أن تكون مثارا للدهشة .

ويقدم الروزنامجى حسابات ادارته الى الباشا والى الدفتردار (١) ، وهو دائما برتبة بك . وكذلك الى شيخ بلد القاهرة . وعندما تعتمد هذه الحسابات ترسل الى القسطنطينية مدونة باللغة التركية وبخط القرمة . ويأمر السلطان فى بعض الأحيان بأن تراجع هذه الحسابات على يد أمرا يرسله لهذا الغرض .

وعندما تخصم كل المصروفات التى ينبغى أن تؤخذ قانونا من الميرى ، فانه يتبقى بعدد حوالى ١٢ ألف كيس . ويشكل هذا المبلغ ما يسمى خزنة عائد السلطان ، ويرسل اليه مع أحد البكوات . وآخر مرة ارسل فيها هذا العائد كان فى عام ١١٧٣ هـ

* أى انهم يضعون فوق كل رقم الإشارة الدالة على نوعه مثل مليون ، مرش ، جشيه ، سهم ، فدان ، قيراط . الخ — المترجم .
(١) آخر دفتردار هو أيوب بك الصغير وقد قتل فى معركة الاهرام .

ويمكن أن تنقسم المصروفات العامة التى تؤخذ من الميرى إلى أربعة أقسام رئيسية :

١ — جامكية مصر : تدرج تحت هذا البند المعاشات والاجور الممنوحة فى كل أنحاء مصر مثل مرتبات الفرق والافندية ... الخ وكذلك معاشات الارامل والايتام وعيانت الجامع الازهر ومعاشات كبار المشايخ .. الخ .

٢ — مصروفات الحرمين : وهى المصروفات التى تخصص لصالح المدينتين المقدستين مكة والمدينة .

٣ — مصروفات أمير حجة (أمير الحج) : ويفهم من هذا التحديد ليس فقط ما يخصص للأمير الحج ولكن أيضا أجور الفرق التى تحمى المحمل وكذلك مختلف الهدايا التى تقدم الى مختلف القبائل العربية الواقعة على طريق المحمل وذلك لازمامها احترامه .

٤ — مصروفات السعرة : أى مصروفات طوارئ مثل السكر والارز التى يطلبها السلطان فى بعض الأحيان وكذلك مصاريف اصلاح الترع والحصون . ويدخل تحت هذا البند أيضا الهبات التى تقدم لبعض المساجد أو بعض الشيوخ لكنها مصاريف اختيارية أكثر منها الزامية . وما يتبقى بعد سداد كل هذه المصروفات يكون كما قلت عائد السلطان، لكن البكوات منذ سنوات عديدة أمكنهم أن ينظموا حساباتهم بطريقة بحيث لا يعود للسلطان أى عائد . وحيث أنهم كانوا يسيررون الباشا على هواهم فقد كانوا يحصلون منه على فرمان بكل مصاريفهم الوهمية أو الحقيقية بحيث يكونون ظاهريا غير خارجين على القانون تجاه السلطان .

هذا ما كان بخصوص استخدام الميرى النقدى. ونتحدث الآن عن الميرى العينى : تقرر هذا المال من أجل اطعام جنود الأوجاقات السبعة وكان يوزع عليهم جزء منه فقط فى الواقع ، وبعد ذلك أصبح لبعض المنشآت الخيرية وتلاميذ مختلف المدارس وعدد كبير من العائلات مثل عائلة السادات والبكرى .. أصبح لهم حق فى هذا المال كما أصبح يحصل نصيبه منه أخرى مثل طعام صناعات بارود الحكومة وطعام الإبقار التى تحرك الماكينات التى تزود القلعة بالياه وهذه أيضا كانت تؤخذ من الميرى العينى . وفى استطاعتنا أن نقدر عدد الاشخاص الذين يحصلون على نصيبهم من أطعمة الميرى العينى المجموع من الصعيد بأكثر من خمسين ألفا .

ويعهد بتوزيع الأطعمة الى واحد من رجالات أوجاق الجاويشية يطلق عليه اسم أمير الشون : أى الخازن الأمين وهو مكلف بتسلم المال العيني وتخزينه بالقاهرة وتوزيعه كذلك . وكان البكوات ملزمين بحمايته وقت التحصيل ووقت النقل ، ومن أجل هذا خصوا أنفسهم بكعبة هائلة من الشمير والقمح .

ولا اعتقد أنه ينبغي على أن أدخل فى تفاصيل أكثر حول طبيعة المصاريف التى كان على عاتق الميرى أن يسدها، ولا أن أنشر قائمة بكل الأشخاص والمؤسسات التى كانت صاحبة حق فى المصاريف النقدية أو العطاءات العينية فليس لهذا العمل أدنى فائدة إلا اذا أضيف الى كل الأجزاء الأخرى من مالية مصر بقصد تكوين حالة كاملة للدخول والانفاق فى هذا البلد قبل ستوطها فى أيدي الفرنسيين . وبالإضافة الى ذلك فأننى أقل استعدادا للحديث فى هذه المذكره عن الضريبة فى حد ذاتها وكذلك عن النظام الضريبى ، لذا فقد اكتفيت بالحديث عن الضرائب العقارية .

قلت ان الأفندية يمسون سجلات دقيقة لكل التحولات فى الملكيات العقارية حتى يمكنهم القيام بحساب الميرى المقدر كل عام على كل الذين يخضعون له ، لذا فان الأفندية — من حيث أن لديهم بهذه الوسيلة معرفة كاملة بكل الملكيات — هم أكثر الناس أهلية واستحقاقا للتوظيف فى إدارة التسجيل ، لذا فقد عهد بإدارة التسجيل إليهم . ويمكن أن تقسم حالات انتقال وتغير الملكية الى ثلاث حالات :

١ — عن طريق الارث ٢ — بطريق البيع المطلق أو الوقتى ٣ — بطريق الهبة .

فعندما يموت ملتزم فان أولاده أو الأشخاص الذين أوصى لصالحهم يقدمون أعلامهم الى أفندى الولاية التى توجد بها التركة . ويخبر الأفندى الباشا ليقدّم الأخير موافقته الى الورثة، وهى الموافقة التى يعطيها لهم على الدوام بعد تحصيل عادة تسمى : حلوان ، يدفعونها له . وهذه العادة — وهى على الدوام غير بالغة التحديد — لا تتجاوز مطلقا مقدار ما يدعى بالفايض (الفايض) لمدة ثلاث سنوات وهو يمثل كما رأينا الدخل الصافى والقانونى للملتزم . ويسلم الأفندى بعد ذلك الى الورثة شهادة أعلام أو تسجيل تسمى : تقسيط ، يصبحون بموجبها ملاكا شرعيين . ويحصل الأفندى ١٪ من قيمة ما تدفعه الأرض من مال الميرى .

ويتسلم مبالغ الحلوان صراف الباشا الذى تحدثت عنه فى البداية :

اما فى حالة انتقال الملكية عن طريق البيع أو الهبة فان الأمر لا يستدعى الحصول على موافقة الباشا نفسه ولكن يدفع الى مكتبه ٢٨ مدينى عن كل قيراط من الأرض المباعة أو الموهوبة كضريبة تثبيت . ويسجل الافندية هذا الانتقال ويحصلون ١٪ من ثمن البيع عن الأشياء المباعة، و ١٪ من اجمالى الميرى عن الاراضى الموهوبة وفى هاتين الحالتين يعطى القاضى حجة أى وثيقة شرعية ويحصل ٢٪ .

وينظر الى عملية ايقاف الأرض لصالح العائلات على انها مجرد هبات، وتخضع هذه لنفس الاجراءات ، اما عملية ايقاف الأرض لصالح المنشآت الدينية أو الخيرية فتتم أمام قاضى العسكر وتسجل بمعرفة الافندية . اما بيع الاراضى من فلاح لفلاح أو ما يسمى « بالنفاروقة » فيقع فى دائرة اختصاص القاضى ، وأخيرا فان القضاة هم الذين ينظرون عمليات التركات ومبيعات المنزل والاثاثات ويحصلون عن ذلك رسما يقدرونه بأنفسهم بعدالة وتبعا لثروة المتعاملين .

ويقوم الفلاحون كذلك فيما بينهم بنوع آخر من التبادل ، فهم يؤجرون اراضيههم لعام واحد فقط ويتم هذا التعاقد بالتراضى فيما بينهم وبدون تدخل من القاضى . وعلى العموم ، فطالما كان للماتزمين أو للفلاحين فيما بينهم ثقة متبادلة فانهم ينهون أعمالهم بحضور شهود وبدون اللجوء الى القاضى ، وبمعنى أكثر دقة فانهم لا يطلبون من القاضى اجراء بخصوص تصرفهم فى هذا الجزء الضئيل من الثروة الذى يملكونه وذلك بقصد تقبل المصروفات .

وقد سبق لى القول فى بداية هذا المقال بأن ثروات الذين يموتون بلا ورثة تؤول الى خزانة الدولة ، وأضيف هنا أن خزانة الدولة كانت تعرف باسم بيت المال وأن الثروات التى كانت تؤول اليه كانت تخصص فيما مضى وفى جزء كبير منها لصالح الفقراء، وان ابراهيم بك الذى استأجر الاراضى التى آلت الى بيت المال كان يهب جزءا من دخلها — وان كان ضئيلا جدا فى الحقيقة — للقيام بدفن الموتى الذين تكون أسرهم بالغة الفقر لحد لا تستطيع معه توفير نفقات دفنهم .

ويتمتع الافندية فى مصر بكثير من الاحترام بسبب نزاهتهم وتعليمهم وتبعا لتقاليد هذه البلاد . وكان أغلبهم يتكلمون اللغة التركية بخلاف لقبة

بلادهم التي يعرفونها جيدا وكل من هؤلاء يمتلك ثروة تضعه في عداد الطبقة الميسورة ، أما أولئك الذين يشغلون منهم وظائف أعلى فينظر اليهم باعتبارهم أثرياء ؛ فبخلاف الانتعاب التي يحصلونها عن كل تسجيل ، كان لهم راتب سنوى يؤخذ من مال الميرى ويبلغ ١٥٠ كيبسا (الى حوالى ٩٣٧٥٠ فرنك) وذلك لكل هيئة الافندية ويقسم المبلغ فيما بينهم بحسب أهمية وظائف كل منهم .

وكان بظن أن الأتراك قد تركوا ادارة ثرواتهم في أيدي الاثبات بسبب عدم كفاءة المسلمين لاداء عمل كهذا ، لكن هذا غير صحيح وكفى بأدارة الميرى دحضا لهذا الزعم ، لكن السبب على نحو ما هو نفور الأتراك من التجديد ، وكذلك على وجه الخصوص لنفس الدافع الذى حدا بالماليك أن يتخذوا جباة من أناس لا يحركهم أى دافع فى ادارة جهاز الدولة ، وهذا ما ينبغى أن نفسر به لماذا ظل الاثبات يديرون الملكيات الخاصة .

وانهى مقالى هذا ببعض الملاحظات التى تتعلق بوراثنة الوظائف العامة بل ووراثنة الحرف كذلك عند المصريين .

ليس ثمة وظيفة فى مصر على الاطلاق ينبغى أن تكون بحكم نظامها وراثية ، ومع ذلك فان الوظائف تكاد كلها أن تكون كذلك . ويعود هذا الى طابع هذه الدولة العجيبة حيث يبدو كل شىء وكأنه يتجه نحو الثبات والتقليد . ولعل طقس مصر ، وهو على الدوام متشابه بتتابع قصوله كل عام فى نفس أوقاتها وبدقة ، كما تحدث فيها كل عام نفس الجموعة من الظواهر الطبيعية ، لعل هذا الطقس هو — علينا أن نضع هذا فى اعتبارنا — واحد من اسباب هذا الوضع الذى طبع اهل البلاد بطابع الجمود والتقليد ، فكل ما قصنه علينا الرحالة التدماء فيما يتصل بالمزاج الهادى بل وشبه الخامل للمصريين فى أيامهم ، نجده الان فى مصرى اليوم . ولقد احتفظ المصريون كذلك بقله الفضول والابتعاد عن الاسفار ، فهم لا يرون على الاطلاق يتقادرون وطنهم فى الوقت الذى يفد اليهم عدد هائل من الغرباء ، فقد جاء اليهم عدد هائل من السوريين ومن أهالى الشناطىء الشمالى لافرنسيا للاقامة هناك (١) .

(١) يمكن القول بأن اهل الاسكندرية وحدهم هم اقل المصريين ميلا للتعود والخيول ذلك ان العلاقات التى ربطت بينهم وبين غيرهم من الشعوب ، وكذلك كثرة عدد الجنسيات التى تقيم بينهم ، وعملهم بالضرورة بالتجارة الخارجية . كل ذلك قد غير بالضرورة من مزاجهم نوعا ما .

وعلىنا أن نضع فى اعتبارنا عند حديثنا عن هدوء طباع المصريين أن كل الثورات التى حدثت فى بلادهم وكل التغيرات التى شغرت حكومتهم بضرورتها تعود الى اجانب ، وذلك منذ أقدم الفترات التى سجلها التاريخ وان الهدوء يسيطر عليهم مادام يحكمهم امراء من بينهم .

وهذا الميل الى التقولب والثبات واضح لدرجة ادت الى نشأة قوانين معينة فمن الواضح على سبيل المثال أن القانون الذى كان يقضى بتقسيم المصريين الى سبع طبقات ينبغى فى داخلها أن يرث الابناء آباءهم فيمارسوا نفس مهنتهم انما يعود فى أصله الى هذا الميل . ان الأمور اليوم لم تتغير بدرجة أساسية حول هذا الموضوع ، فما زالت الحرف تشكل فى كل مدينة طوائف معينة ، ولكل طائفة منها شيخ خاص ، ومن النادر أن يخرج الابناء عن طائفة آباءهم ليلتحقوا بحرفة أخرى .

وبسبب هذا الكم الهائل من العادات التى لها سطوتها ، وبسبب هذه الفكرة المسبقة التى تحبذ ترك الأمور فى نفس حالتها فان وظائف : الشيخ ، الخولى ، الشاهد .. الخ والتى قلت بأنها من تعيين الملتزم أو من اختيار الفلاحين انما هى فى غالب الأحيان وراثية ، وقلما يوجد سبب يقضى بخروج هذه الوظائف من العائلات التى استقرت فيها ، ولا يمكن أن يتم ذلك على الإطلاق بطريقة عشوائية .

وتبدو قوة العادة أكثر وضوحا فيما يتصل بمنصب شيخ بلد أول القرية . فهذا المنصب فى العادة يكون فى يد الشيخ الأكثر ثراء وهو الذى يكون كذلك أكثر احتراماً ، ذلك لان من المهم بالنسبة للشيخ — حيث هو يستمد نفوذه من المكانة التى يوحى بها — أن يحيا فى بحبوحة حتى يحتفظ بهذا النفوذ ، لذلك فنادر ما ترى شيخ بلد يفقد سلطته ، كما أن الفلاحين يفضلون أن يؤول هذا المنصب الى ولد نفس الشيخ الذى كانوا يحترمونه ويهابونه ، فهذا افضل من أن يؤول هذا المنصب الى ايد أخرى حتى ولو كان من المحتمل أن تكون أكثر خبرة .

ومع ذلك فقد كان يحدث أن يلجأ المالك — وهم على الدوام غرباء عن مصر ، الدولة التى يحكمونها والتى كانوا يلقون بعاداتها التى لا تروق لهم تحت اقدامهم — الى انزعاع وظيفة الشيخ الاول بطريقة استبدادية عن الشخص الذى يشغلها ليعطوها الى أحد صنائعهم أو لواحد من خدمهم يريدون مكافأته .

ويقودنى هذا الى فكرة اخيرة تتضح بشكل طبيعى ، تلك هى عدم التوافق الذى كان موجودا بين حكومات الممالك العنيفة والمدمرة على الدوام وبين ما تتطلبه طباع المصريين .. انه التعارض الدائم الذى كان قائما بين مزاج هذا الشعب كما رسمته وبين مزاج ساداته المتوثبين والطموحين .

يا له من فارق غريب فى الواقع بين هؤلاء المصريين المذعنين بل والهيابين ، الذين يسهل اخضاعهم وبين هؤلاء الممالك المتحفزين والمحاربين ، المتنافسين على الدوام فيما بينهم والذين لا تجمع بينهم أية رابطة من روابط الدم ، بل والمتكرين لكل روابط الصداقة ، والذين لا يعملون مطلقا ومباشرة الا لصالحهم ، والذين كانت كل افعالهم استبدادية وعشوائية ، تتحكم فيها ظروف اللحظة (١) .

(١) قد يكون من المفيد ان نذكر هنا ان المعلومات التى كتب على اساسها هذا المقال قد استقيتها فى كل جزئياتها من رجال مشهود لهم بانهم على دراية كبيرة بها ، اننى لم اكتب شيئا قبل ان احصل على عدد كبير من الاجابات المتشابهة على نفس السؤال المتعلق به . وقد استشرت القضاة والامندية وشيوخ البلد المتعلمين فى القاهرة وكبار الأقباط وبخاصة اولئك الذين لا يرقى الى نزاهته منهم شك ، وقد سألت كذلك مشايخ البلد والعرافين فى القرى كما لم أهمل سؤال الفلاحين . واضيف هنا (ولهذا بعض الأهمية) اننى قد حصلت على الدوام على مترجمين جيدين . ولقد اتيت لى ان اراجع الاجابات التى حصلت عليها عند أشخاص تشغلهم هذه الأمور وحصلت منهم على كثير من النقاط التى شاموا ان يمدونى بها عن طيب خاطر .

ومهما كانت العناية التى راعيتها فى جمع هذه المعلومات، ومهما كانت كثرة المعلومات التى جمعتها فاننى لا أستطيع على الدوام ان اتفاخر باننى كنت مصيبا على طول الخط . لقد تسرب بعض من عدم الدقة الى هذا المقال ولسوف يقودنى الزمن وما سأحصل عليه من معلومات جديدة الى اكتشاف حقيقة الأخطاء التى قد اكون وقعت فيها .

كان كاتب هذا المقال ينتوى مراجعته وادخال بعض الاضافات اليه، ولكن حيث ان العناية الفائقة التى كان يبديها فى ادارة عمله ، والغاية المبصرة والتى أبهجته أثناء قيامه بهذا العمل قد منعتاه من أن يقوم بنفسه بذلك ، فقد طبعت مقالته بالشكل الذى قراها به فى المجمع العلمى المصرى فى الاول من فريمبر من العام التاسع (٢٢ نوفمبر ١٨٠٠) ج .

الكتاب الثاني

النظام المالي والإداري في مصر العثمانية

تأليف / الكونت استيف

العنوان الأصلي للدراسة : « دراسة موجزة
حول مالية مصر منذ فتحها السلطان سليم
الأول (١) الى أن فتحها القائد العام
بونابرت »، تأليف الكونت استيف الخازن
العام للتاج والضابط الحائز على وسام
الشرف ، والمدير العام للموارد العامة
لمصر » .

(١) ضم سليم الأول مصر الى امبراطوريته فى العام ٩٢٣ من الهجرة،
١٥١٧ من العصر الحديث (الميلادى) .

(وصف مصر — م ٤)

مقدمة

لابد لنا ، قبل ان نقدم هذه الدراسة ، ان نقوم بعرض سريع لنظام الحكم ولنظم الملكية فى مصر ، فقد لا يتيسر لنا ان نتابع مسيرة الضرائب هناك دون ان نتعرف مسبقا على تلك المؤسسات والنظم التى تشكل اساسا لهذه الضرائب ، او التى تكون — هى — مادة لها .

لقد اقام السلطان سليم نظاما للادارة والحكم خاصا بمصر ، لكن الموت الذى دامه بعد وقت قصير من فتحه لها ، قد حال بينه وبين اتمام عمله الهام ، وحيث ان ابنه وخليفته سليمان هو الذى اتم انجاز هذا العمل فان من الواضح — فيما يبدو لنا — ان ننسب الى هذا الحاكم هذا النظام الخاص بمصر ، كما ينبغى ان تنتسب اليه كل مجموعة القوانين واللوائح التى تنظم شئون مصر ، ومع ذلك ، فان هذا هو الأثر الذى تحدثه الانتصارات والهزائم ، اذ تظل الشعوب مأخوذة ببريقها بأكثر مما تلتفت الى النظم الادارية التى يكون لها الأثر الحاسم على أسلوبها فى الحياة ، وهؤلاء هم مصريو اليوم لا يتذكرون سوى السلطان سليم ، فى حين انهم قلما يرد على لسانهم ذكر للواضع الحقيقى للقوانين التى يتبعونها .

عن الحكومة

يرأس حكومة مصر باشا يحد من سلطته الديوان الكبير والديوان الصغير وتتمثل سلطة هذا الباشا فى رئاسته لهاتين الجمعيتين وفى التصديق على قراراتهما ، وفى اعطاء الأوامر لوضعها موضع التنفيذ (١) . وكان الكرخا والدفتردار يتلقيان الأوامر منه قبل المداولات ثم يحيطانه علما بالقرارات التى اعقبت أوامره . وكان الباشا يقيم بقلعة القاهرة كما كانت وظائفه تزول بعد نهاية عام من توليته اللهم الا اذا صدر فرمان من السلطان يمد فترة ممارسته للسلطة .

(١) كان يحضر اجتماعات الديوانين متخفيا خلف ستارة نافذة تطل على مقر الديوان .

ويعطى الشرقيون اسم ديوان لكل جمعية تنشغل بشئون الحكومة والادارة . وقد وكل سليمان للديوان الكبير الحق المطلق فى البت فى شئون البلاد العامة والتي لا يحتفظ الباب العالى لنفسه بحق ادارتها ، أما الديوان الصغير ، او الديوان بالمعنى الحقيقى للكلمة ، فقد وكل بتسيير الشئون الجارية بحيث تدخل كافة نواحي الادارة فى اختصاصه فيما عدا تلك التى يتنضى الأمر ، بحكم أهميتها ، أن تعالج بمعرفة الديوان الكبير ، وكان الديوان الصغير يجتمع كل يوم فى قصر الباشا ، وبحضر جلساته الكخيا والدفتردار والروزنامجى وممثل عن كل أوجاق (فرقة) من أوجاقات الجيش ، بالإضافة الى قائدى وكبار ضباط أوجاقى المتفرقة والجاويشية . وكان هؤلاء ، بحكم مناصبهم ، أعضاء كذلك فى الديوان الكبير ، الذى يتكون — بالإضافة اليهم — من أمير الحج ، وقاضى القاهرة ، ومن الشيوخ الهامين المنحدرين من سلالة محمد (الأشراف) ، ومن المفتين العلماء الأربعة (١) وعدد كبير من رجالات الأوجاق ، وكانت الأوامر الصادرة من الباب العالى توجه الى الديوان الكبير ، كما لم تكن هناك أوامر توجه لهذا الديوان الا عن طريق الباب العالى الذى يملك وحده حق عقد هذا المجلس .

وكانت الفرق العسكرية المنتصرة التى خلفها سليم بمصر تتوزع بين ستة أوجاقات ، ثم تكون من بينها أوجاق سابع (٢) بالإضافة الى المماليك الذين أفلتوا بعد دمار ملكهم والذين تعهدوا بالولاء للسلطان وطلبوا أن يخدموا فى صفوف جيشه . وقد شكلت هذه العصب التى تتمتع بامتيازات هائلة حامية مصر وطبقتها المتميزة فى نفس الوقت ، وظل هؤلاء يحتفظون بهذه الامتيازات بشكل وراثى بحيث كانت تنتقل الى ذريتهم ، وفى نفس الوقت كانت الخدمة العسكرية الاجبارية تنتقل الى هؤلاء الأحفاد ، اذ كانت هذه الامتيازات تابعة لها . وكان لكل أوجاق أفندى واحد أو عدد من الأفندية موكلين بتحصيل موارده ودفع رواتبه التى يتفاوت قدرها تبعا لسلاح الأوجاق وطبيعة الخدمة التى يؤديها ، كما كان

(١) هم رؤساء المذاهب السنية الذين يسيرون على نهج عمر (كذا) .

(٢) وكان يشار الى هذه الأوجاقات بالأسماء الآتية : متفرقة ، جاويشية ، جاموليان ، تافكجبان ، جراكسة ، مستحفظان أو انكشارية ، وأخيرا عزبان .

هؤلاء الأفندية مكلفين بسداد الانفاقات العامة للفرقة . وكانت شئون كل أوجاق نمالج بمعرفة ديوان خاص به يتكون من رجاله القدامى (اختيار ، ومعناها شيخ) وهؤلاء هم ضباط وبعض ضباط الصف من مختلف الرتب . ويتلقى هذا الديوان حسابات الأفندية ، ويتصرف فى المناصب الدنيا ، ويرشح للباشا بعض الافراد اللازمين لشغل المناصب الأعلى ، وينبئ لهذا الديوان ان بصدق فى الوقت نفسه على هذه الاختيارات اذا تمت من جانب الباشا . وكان على الأوجاقلو (أى رجال الأوجاقلات) الذين ينضمون الى الديوان أن يقيموا بالقاهرة ، ولم يكن بمقدور هؤلاء أن يمارسوا أية مهمة يمكن لها أن تبعدهم عن الديوان ، وكانوا ، شأنهم شأن بقية الضباط ، يرتدون بذلة تختلف باختلاف رتبهم ، ومن المفترض أن قوة هذه الأوجاقلات مجتمعة بمكر لها أن تؤلف جيشا قوامه عشرون ألف رجل ، وان كان من النادر ان يكتمل هذا العدد الذى حدده السلطان سليم بنفسه ، اذ برغم أنه ينبغى أن تكون مصر هى مقرهم المعتاد ، فانهم لم يكونوا ليعفوا من تكوين فرق عسكرية تخدم بشكل عابر داخل الجيوش فى اقاليم أخرى من الامبراطورية العثمانية ، وكان أوجاق الانكشارية فى مقدمة من يزحفون الى أى مكان يرى السلطان من المناسب أن يستخدمه فيه ، وكان اغا هذا الأوجاق الذى تعقد له القيادة والذى كان قائدا للجيش اكثر منه مجرد رئيس احدى الفرق العسكرية ، يسيط نفوذه وسلطته على كل العسكر .

وقد أنشأ سليم ٢٤ (رتبة) بك طبلخانه (١) ، أسندت لاثنى عشر منهم مهام خاصة ومحددة ، بينما كان يوكل الى الآخرين القيام بمهام استثنائية أو أن يقوموا بمهام زملائهم الذين تزول وظائفهم بعد عام من ممارستهم لها .

(١) طبلخانه أى صاحب حق فى أن تصحبه فرقة موسيقية ، وهذا الحق فى تركيا هو أحد رموز السلطة ، وكان لباشا القاهرة ، شأنه شأن زملائه فى الأجزاء الأخرى من الامبراطورية ، الحق فى أن تتبعه فرقة موسيقية ، فكان هناك موسيقيون ، بقيمون على نفقته الخاصة ، يقدمون له فى أوقات محددة من اليوم حفلات موسيقية تلبق بالمكانة التى يشغلها بين الباشوات ، فقد كان الباشوات يميزون ما ان كانوا يشغلون مرتبة باشا بذيلين أو مرتبة باشا بثلاثة ذيول ، وكان البكوات يعاملون معاملة باشا بذيلين .

أما الاثنا عشر الأول من هؤلاء فهم :

كخيا الباشا .

الضباط البكوات الثلاثة الذين يحكمون جهات السويس ودمياط

والاسكندرية .

الدفتردار .

أمير الحج .

أمير الخزنة .

الحكام الخمسة لولايات : جرجا ، البحيرة ، المنوفية ، الغربية ،

الشرقية .

وكان الكخيا والدفتردار وأمير الحج هم وحدهم (من بين هؤلاء)

الذين لهم حق دخول الديوان .

وكانت وظيفة الدفتردار تجعل منه ماسكا لسجل الممتلكات ،

كما ان عقود الملكية التى يعهد بها باسم السلطان (الى مستحقيها)

لاتعد صالحة الا بعد ان يؤشر عليها هذا الموظف بعد تأكده من تسجيلها

فى دفتره .

وكان أمير الحج يحمل الى مكة والمدينة الهدايا التى كانت ترسل

اليهما سنويا باسم السلطان كما يقوم بحماية قافلة الحج التى تنضم اليه

لكى تبلغ الاراضى المقدسة فى سلام .

أما أمير الخزنة فكان يحمل برا الى القسطنطينية ذلك الجزء من

موارد مصر والذى ينبغى أن يدفع لخزائن السلطان .

أما ولايات القليوبية والمنصورة والجيزة والفيوم فكان يحكمها كشاف

(كاشف) كان لسلطتهم نفس الزمن والمدى اللذين كانا لسلطة البكوات ،

ومن جهة أخرى فقد كان ينبغى أن تحظى أعمال هؤلاء وأولئك بموافقة

الشوربجية والأوجاقلو (العسكر) الآخرين الذين يكونون الديوان الخاص

بالولاية .

وفيما عدا الكخيا وحكام ثغور السويس ودمياط والاسكندرية كان

لبكوات الآخرون يسمون من قبل الديوان ثم يقر الباشا ، وبعد ذلك

الباب العالى ، هذا الاختيار . وفى حين كان الاولون ، وهم الذين يرسلون من قبل الباب العالى ، يفقدون رتبة البكوية حين يعودون الى القسطنطينية بعد انتهاء مهمتهم ، كان الآخرون يظلون يحتفظون برتبتهم على الدوام اذ كانت هذه الرتبة نابتة غير قابلة للزوال برغم تغير الوظائف التى يشغلونها على مدى السنين فيما عدا وظيفة البك الدفتردار .

وهناك فكرة شائعة مؤداها انه كان يتم اختيار البكوات من أوجاق المتفرقة ، وكانت صلة هؤلاء بالمسكرية تنقطع بمجرد أن يرفعهم هذا الاختيار الذى وقع عليهم من جانب الديوان الى هذه الرتبة . .

وقد احتفظ الباب العالى لنفسه بتدبير مهام القيادة والدفاع عن موانئ ومناطق السويس ودمياط والاسكندرية ، حيث كانت هذه المدن وهى تشكل مداخل للنفاذ الى مصر التى تحميها فى بقية حدودها صحراوات تفصلها عن شعوب اقل قوة — كانت تصون مصر من أى غزو خطير ، فى الوقت الذى تهيب فيه منافذ عدة للقوات العثمانية فى حالة قيام ثمرد بين اهليها ، وكانت حامية هذه الثغور ، التى تجدد كل عام ، ترسل من القسطنطينية مع الحكام الثلاثة الذين يتولون قيادتها ، وبرغم أن هؤلاء الضباط يدخلون فى عداد البكوات فانهم لم يكونوا لينتموا الى مصر الا عن طريق فترة الإقامة التى كانوا يقضونها هناك ، والا كذلك عن طريق الاعانات المالية التى كانوا يحصلون عليها من الخزانة العامة كرواتب ونفقات لفرقتهم ، وفيما عدا ذلك فقد كانوا غرباء عن الباشا وديوان القاهرة ولم يكونوا يعترفون الا بأوامر السلطان .

وقد أكد خضوع مصر وهدوء الأحوال بها لمدة قرنين من الزمان حكمة مذهب اليه سليم وسليمان ، اذ ما أن كان يتجاسر ، خلال هذه المدة ، باشا القاهرة على العصيان حتى يعتقله الديوان ويرحله الى القسطنطينية حيث يعاقب بالموت ، وقد خولت هذه البراهين على الولاء والاخلاص لهذا المجلس حق عزل الباشوات ، لكن طموح ابراهيم ورضوان كخيا اوجايتى الانكشارية والعزبان سرعان ما جاء ليهدهد السلطة شبه المطلقة التى كان يحوزها الديوان بفضل هذا الامتياز ، اذ اتفهما ، بمجرد أن توصلا الى تثبيت نفسيهما فى المناصب السنوية التى شغلها ، قد استخدما الأوجايات لتأكيد سيطرتهما فى داخل الديوان . كما استخدما مماليكهما لاختضاع

الأوجاقات أنفسهم . وحتى هذه اللحظة لم يكن المماليك ، وهم مجرد عبيد اشنراهم البكوات والعسكر يشكلون تنظيمًا عسكريًا خاصًا ، ولم يكن يرى منهم سوى عدد ضئيل يصل الى المراتب الاولى ولم يكن ليتم ذلك الا بعد قبولهم في داخل الأوجاقات ، وقد أبعد ابراهيم ورضوان الأتراك من كل المواقع كي يوزعها على هؤلاء الأجانب ، وقد كان مماليك الأول بالغى الكثرة والقوة معا حين مات سيدهم حتى أنهم قضوا على حزب رضوان وانتحلوا لانفسهم نوعا من السيادة خالعين على رؤسائهم الجدد لقب : شيخ البلد ، أى المير البلاد (١) .

وقد تطلع على بك بعد أن تولى هذا المنصب بعد سبعة عشر عاما من انشائه الى الحصول على استقلال مطلق (٢) ، ولعل مهارته وشجاعته كانتا تؤهلانه للوصول الى تحقيق طموحاته لولا تلك الدسائس التى جعلته يتحامل على مملوكه محمد بك ، وحين اضطر الأخير أن يجاهر بعداوة سيده دفاعا عن حياته هو ، فقد قاتله باصرار حتى ارغمه على الفرار من القاهرة واللجوء الى سوريا ، وهناك هيا له المأوى والعون الشيخ ضاهر ، حاكم عكا ، ذلك الذى كانت المصلحة توحد بينه وبين على ، والذى كان هو الذى قدم له المثال الذى احتذاه للتمرد على سلطة الباب ، ولكن على بك الذى كان متسرعا اكثر مما ينبغى فى السعى للقلب على نكبته ، لم يعد الى مصر الا لى يلقى حتفه ، متأثرا بالجروح التى أصابته فى معركة الصالحية (٣) .

ولم يكن غريبه المنتصر قد أكمل بعد عامه الثالث فى الحكم حين فرضت عليه دوافعه الخاصة ، وكذلك أوامر الباب ، أن يغزو فلسطين ، شأخضع يافا وعكا ، لكن مرضا وبائيا قد جاء لبضع خاتمة لحياتته ، وسيطر البكوان مراد و ابراهيم ، وريثاه فى السلطة ، دون تعارض بينهما لمدة عدة سنوات .

(١) من الضروري الا نخلط بين هؤلاء وبين أولئك المماليك القدامى ، والذين كانوا يعرفون بالشراكسة ، اذ توقف الدور السياسى للاخيرين منذ فتح مصر على يد السلطان سليم .

(٢) فى عام ١١٨٠ من الهجرة ، ١٧٦٧ من الميلاد .

(٣) فى عام ١٧٧٣ (الميلادى) .

وعند نهاية هذه المدة أثار اسماعيل ، الملوك السابق لابراهيم ،
كخيا الانكشارية ، حين ملأه السخط بسبب ابعاده عن المشاركة فى الحكم ،
اثار ضدهما حزبا ارغهما على الانسحاب الى الصعيد ، وحين طاردهما
اسماعيل ، اتخذ حسن بك ، رئيس ممالك بيت على بك ، والذي كان حتى
ذلك الوقت مؤلفا مع اسماعيل اذ كانا يشكلان قضية واحدة ، جانب
غريميه اللذين اتاحت لهما هذه الردة (من جانب حسن) أن يعوضا كل
ما كانا فقداه . ولجأ اسماعيل ، بعد أن اضطر الى الهرب الى آسيا ،
الى الباب الذى نفاه الى بروصة ، ونمنع مراد وابراهيم بعد هذه الازمة
بفترة ازدهار طويلة ، أساء استخدامهما كى يتملصا من أوامر السلطان ،
ويبددا موارده من مصر كما استبدا بالناس .

وعندما ضاق السلطان بهذا السلوك الذى لا يختلف فى قليل أو كثير
عن التمرد ، كلف قبطان باشا بانزال العقاب بهما (١) . ولم ينتظرا البكوان
وصوله الى القاهرة ، وكان جزء من الصعيد قد احتلته من قبل قوات
اسماعيل بك بعد أن انسёл من منفاه ، وكان جزء آخر يحتله حسن بك
بعد أن كان قد قطع صلته بهما ، وعندما هوجم مراد وابراهيم من ناحية
القاهرة على يد قوات قبطان باشا ، وفى نفس الوقت هوجما من ناحية
المؤخرة على يد ممالك كل من اسماعيل وحسن ، فقد قاوما كلا الفريقين .
وحيث قد استدعى قبطان باشا الى القسطنطينية لقتال الروس ، فقد
عقد الصلح مع هذين اللذين لم يكن قد قدر له بعد أن يلحق الهزيمة
بهما ، تاركا فى حوزتهما عدة مقاطعات بالصعيد . ونال اسماعيل وحسن ،
اللذان تركهما حاكمين للقاهرة والدلتا وبقية الولايات المتاخمة ترحيب
الباب العالى بفعل خضوع لم يیده سلفاهما على الاطلاق ، وبعد مضى أربع
سنوات اجتاحت البلاد طاعون مميت ، أكثر هلاكا من كل طاعون مميت تغيه ذاكرة
البشر ، فأتى على عدد كبير من ممالك القاهرة بمن فيهم اسماعيل بك
نفسه ، وعندما أيقن عثمان بك طوبال ، خليفته ، أن لديه كل ما يخشاه من
حسن بك ، فانه لم يجد الأمن والملاذ لرجاله الا فى دعوة مراد وابراهيم
(للحكم) ، ورحب الباشا بعودتهما الى السلطة ، الأمر الذى أعاد تربيته
بمهارة بالغة حتى أن ممالك حسن ، الذين شدهتهم المفاجأة حين ظهر هذان

البكوان على حين غرة عند أبواب القاهرة ، قد وجدوا أنفسهم يهربون دون قتال ملتجئين فى الصعيد مأوى لهم .

ولم يتوان مراد وإبراهيم ، وقد عادا الى قمة الحكم ، فى أن يجددا مساوىء السلطة التى ميزت الفترة الأولى من حكمهما ، وبدوا وكأنهما هما قد حصلا على حق الاجترار على سيدهما (السلطان) كحق مكتسب لهما ، بالإضافة الى حقهما فى قهر مصر والزراية بكل البشر الى أن وضع قائد عظيم « بونابرت » حدا لحكمهما .

وهكذا نكون الان ، (من هذه المقدمة) قد وقفنا على تلك الأسباب التى أدت الى انهيار تلك الحكومة التى أوجدها سليم وسليمان عندما أدت مجريات الأمور الى عودة المماليك الى مصر .
ونمضى الآن الى عرض للمبادئ التى استقرت بخصوص نظم الملكية فى هذه البلاد .

عن الملكية

نستطيع أن نميز فى مصر بين ثلاثة أنواع من الملكية ، هى :

• ملكية الأراضى .

• ملكية الوظائف .

• ملكية الرسوم والضرائب على الصناعة والاستهلاك (التجارة) .

وقد أعلن السلطان نفسه المالك الوحيد ، فكل أراضى مصر ملك له ، ومع ذلك فحيث قد انتقلت هذه الأرض الى مستغلين يسمون ملتزمين (ملتزم) يستطيعون أن يتصرفوا فيها ، وحيث كان محرما إبطال هذا الحق الممنوح لهم ، وحيث كان من النادر أن ترفض أيلولة حق الاستغلال هذا الى ورثة هؤلاء الملتزمين ، فان هذا النظام للأشياء ظل يحقق مزايا تتساوى مع نفس المزايا التى تحققها الملكية ، فقد احتفظ الفلاحون بحق التملك المباشر والوراثى للجزء الأكبر من الأراضى التى آلت تبعيتها للملتزمين ، وان كان ذلك لايعطيهم حق بيع الأرض أو هجرها ، وإذا حدث أن مات بعضهم دون أبناء أو ورثة فان الأراضى التى كانوا يملكونها تعود لتصبح تحت تصرف الملتزم الذى يضطر لاعطائها الى فلاح آخر ، وحين يموت أحد

الملتزمين ، دون أن يخلف هو الآخر من يرثه تعود أرضه الى السلطان الذى يعهد بها بدوره الى ملتزم آخر .

وتنقسم أراضى مصر كلها الى أراضى : الأثر ، الوسية ، الرزق (رزقة) ، الاطلاق (أو الاتلاق) .

ويمتلك الفلاح أراضى الأثر .

وتؤول ملكية الوسية الى الملتزم .

أما الرزق فهى أراضى أوقفت على الأعمال الخيرية ، وهى حرة وخالصة من أية ضريبة ، وقد وجدها سليم على هذه الحال وأقر حصانتها حين امتنع عن أن يعهد بها الى ملتزمين ، وقد ظل الأشخاص الذين حددتهم حجج انشاء وإدارة هذه الرزق ، يتمتعون حتى اليوم بنفس هذه الدرجة من الاستقلال .

وهناك بعض أراضى تسمى أراضى الاطلاق ، وتتمتع بنفس هذه الحرية ، وهذه مخصصة لتوفير العليق اللازم لخيول الباشا والبكوات .

وقد حمل سليم كثيرا من الملتزمين بعوائد سنوية خصصها أو اعترف بتبعيتها لأفراد أو لمؤسسات عمومية أو خيرية ، وتعرف هذه العوائد باسم الأوقاف ، وقد أخضع خلفاؤه ملتزمين آخرين لعوائد مماثلة ، وفى النهاية أنشأ بعض الملتزمين أوقافا جديدة ، وألزموا ورثتهم بهذه الالتزامات . وتسمى هذه العوائد ، التى تشكل ملكيات حقيقية ، اذ تعهد الملتزمون أنفسهم بدفعها بصفة دائمة ، رزقا نقدية ، وهى تشكل عادة ، شأنها شأن رزق الأرض ، جزءا من عوائد الأوقاف ، وإذا كان لأصحابها الحق فى النزول عنها أو نقل ملكيتها للغير فقد كانت تسدد لأولئك الذين يحصلون على الحق فيها إما عن طريق الشراء وإما عن طريق الإرث .

ويمكننا أن نميز نوعين من الأوقاف : الأوقاف السلطانية ، أى تلك التى أنشئت قبل من قبل السلاطين والأوقاف الخاصة . وتتكون الأولى من عوائد نقدية أو عوائد من الحبوب يوزعها السلطان بمعرفته على الجهة المخصصة لها ، أما الأخرى فلا يقتصر تكوينها على رزق الأرض أو الرزق النقدية أو رزق الحبوب ، بل هى تشمل كذلك على البيوت والوكالات والحدائق التى تملكها فى مجموعها إما مؤسسة أو منشأة خيرية وإما ذرية مؤسس هذا

الوقف أو ذاك والذي لم يوجه ملكيته (التي أوقفها) لخدمة غرض ديني أو خيري ، اللهم الا اذا لم يكن قد خلف ورثة على الاطلاق . وكان مثل هذا التصرف شائعا للغاية في مصر ، اذ كان يضع تحت حماية الدين تلك الحقوق التي ينقلها صاحب الوقف الى ابنائه .

اما الوظائف فكانت اما سنوية واما ثابتة ، وقد عين السلطان مخصصات لهذه الوظائف أو تلك وهي عبارة عن امتيازات من الأرض ومن الحقوق أو الرسوم من كل نوع . ولم يكن لمن يتقلد الوظائف من النوع الاول أن يتمتع الا بميزات بسيطة تنتهي بانتهاء مدة وظائفهم . أما الوظائف من النوع الثاني فكانت لها طبيعة الملكية بمعنى أنه لم يكن يحق للسلطان أن يمنع أن يتقلد أي شخص هذه الوظيفة اذا مباحه اياها صاحبها الاصلى أو نزل عنها لصالحه . وقد رأينا هذه الوظائف وهي تنتقل بشكل عادي الى أبناء أو ورثة الموظف الذي كان يشغلها .

وتتفرع ملكية الرسوم المقررة على الصناعة والتجارة من ملكية الوظائف وهي تتمثل في الممتع الكلي والكامل بهذا النوع من الدخول الذي أنشأه سليمان لصالح شاغلي الوظائف وآخرين ، بشكل يحصلون معه على دخل يتناسب مع مالهم من مكانة وما عليهم من التزامات .

وتشكل البيوت ورعوس الأموال والقيم المنقولة ملكيات يبدو أنها كانت مجهولة من قبل الحكومة ، فكان المصريون ينتفعون بها بالبيع والشراء والهبة دون تدخل من جانب الخزانة .

الباب الأول

الضرائب العامة

الفصل الأول

الضرائب على الأراضي

لم يتوصل الأتراك الى اقامة نظام ثابت للضرائب فى مصر الا بعد كثير من الجهود والأبحاث ، فحيث كانت وثائق الحكومة قد أحرقت بفعل المماليك ، فقد حاول السلطان سليم أن يستعيض عنها بمعلومات حصل عليها من موظفى الادارة السابقة ، فعرف حصيلة الضرائب عندما أرغم الموظفين العموميين الذين كانوا يسلمون لكل مول بيانا بما ينبغى عليه أن يدفعه ، أن يسلموه هو سجلات عملياتهم هذه . وفى نفس الوقت ، فحيث أن المعلومات التى حصل عليها عن هذا الطريق لم تهيب له النتائج التى كان يرغب فى الإلمام بها فقد أمر بتقسيم عام للبلاد الى ولايات أو مقاطعات ، ومدن ، وقرى ، ثم قسم كل زمام بدوره الى فدادين . وعلينا منذ الآن أن نتقبل فكرة أن اعمال هذا المسح لم تبلغ الدقة المرجوة لها بشكل تام على الإطلاق ، حيث لاتزال توجد فى كل هذه الولايات تقريبا املاك وقرى باكملها لاتزال مساحتها مجهولة للحكومة .

أولا : عن المال الحر

هناك مجموعة من الرسوم أو الضرائب تندرج كلها تحت اسم المال الحر ، أى الضريبة الخالصة ، وتستخدم حصيلتها التى يقوم الملتزم بجبايتها :

- ١ — فى سداد المال الميرى .
- ٢ — فى دفع الكشوفية .
- ٣ — فى تكوين الفايز (الفائض) .

ويدفع المال الميرى الى السلطان ، اما الكشوفية فتعطى للبك أو الكاشف حاكم الولاية، فى حين أن الفايز هو الدخل الخاص الذى يبقى للمتسلم .

ونقدم فيما يلى جدولاً بالمبالغ المفروضة على ولايات مصر والى تدخل

اسم الولاية	أصل الميرى	كوريكىجى أعمال (تطهير) الترع
قنا	١٠٤٩١٢١	١١٠٤٥
اسنا	٥١١٦٠٠	١٠٥٠
جرجا	٥٤٤٣٨٣٧	٣٦٠٥٨
سيوط	٢١٩١٠٥١	٢٨٦٤٣
منفلوط	٨٠٦٨٧٠	٢٠٦٩٦
المنيا	٣٢٢١٣٠	٢٣٧٣٦
بنى سويف	٣٤٣١٠٠١	٤٩٢٩٢
الفيوم	٢٢٩٣٠٢١	٢١٨١٦
أطفيح	٦٣٢٧٨٠	٦٠٣٥
الجيزة	٤٣٣١٧٧٣	٣٣٨٣٤
القليوبية	٣٨٣٨٤٣٤	٣٠٢٧٤
الشرقية	٥٠١٢٣٥٩	٣٩٩٨٤
البحيرة	١١١٤٤٣٢٩	٤٢٦٨٩
المنصورة	٩٤٩٩١٤٢	٥٢٥٨١
الغربية	١٥٤٠٠٥٣٥	١٢٥١١٢
المنوفية	١٢٤٠٣٩٠٨	١١٠٠٤٦
الإجمالى	٧٨٣١١٤٩١	٦٣٢٨٩١

ضمن هذه البنود الثلاثة وقت مجيء الجيش الفرنسى ، ونجد فى سجلات
المسيو استيف تلك الوسائل التى كان عليه أن يلجأ إليها للحصول على
هذا الجدول :

ملاحظات	المجموع	تذاكر جاويشية
	مدينى	مدينى
<p>فى هذه الولايات التى تكون فى مجموعها بلاد الصعيد يسدد الجزء الأكبر من الضريبة عينا . لكننا لم نورد هنا إلا ذلك الجزء من الميرى الذى يسدد نقداً .</p>	١٠٦١٩٦٣	١٧٩٧
	٥٢٣١٨١	١٠٥٣١
	٥٤٩٣٠٧٤	١٣٥٧٩
	٢٢٢٣٩٠١	٤٢٠٧
	٨٢٨٥٣٢	٩٦٦
	٣٤٥٨٦٦	٩٦٦
	٣٥١٧٩٤٤	٣٧٦٥١
	٢٣٣٧٢٠٨	٢٢٣٧١
	٦٤٦٩٧١	٨١٥٦
	٤٤٤٣٢٠٧	٧٧٦٠٠
	٣٩٣٠٧٤٢	٦٢٠٣٤
	٥١٤٦٩٣٢	٩٤٥٨٩
	١١٢٧٩٤٩٧	٩٢٤٧٩
	٩٧٠٧٨٣٨	١٥٦١١٥
	١٥٧٨٦١٩٤	٢٦٠٥٤٧
	١٢٧٤٤٨٤٠	٢٣٠٨٨٦
<p>د س جنيتها توربا ويعادل ٨ ١٥ ٢٥٧٧٨١ و٨٥٧</p>	٨٠٠١٧٨٩٠	١٠٧٣٥٠٨
<p>س وبالفرنكات ٥٢ ٢٨٢٢٥٠٠</p>		

أما الميرى فهو الضريبة التى خص بها السلطان نفسه ، ولم يكن الميرى المقرر على الأراضى الزراعية يبلغ فى الأصل سوى ٧٠٨٩٨ر٨٩٨ر٧٠ ولكن السلاطين أحمد ومحمد ومصطفى قد رفعوه على التوالى حتى بلغ الإجمالى الذى أوردناه .

وهذا التقسيم الذى رتبناه لهذه الضريبة هو نفس التقسيم الذى أنشأه سليم وسليمان . وسواء أكان الأمر ناتجا عن ثغرة فى العمل أو كان تقسما أو كان نتيجة لتحسن طرا على حالة بعض الأراضى ، فقد كان هذا التقسيم أو التوزيع (لضريبة الميرى) معيبا للغاية ، إذ يرى المرء فى معظم الولايات أراضى شاسعة وخصبة لكن الضريبة التى قدرت عليها أقل من تلك التى فرضت على أراض أخرى ليست لها نفس المزايا .

وأما مبلغ الـ ٦٣٢ر٨٩١ مدينى التى وردت تحت بند كوريكى فلم يكن يدخل فيما مضى ضمن موارد الخزينة العامة ، لكنه أصبح منذ الآن فصاعدا جزءا من المال الحر ، فكان يحصله أحد الأفندية من الملتزمين مباشرة ليستخدمه فى نفقات النقل والأعمال اللازمة الأخرى ليتم إرسال انقاض القاهرة الى مصبات النيل حيث كانت تلقى فى البحر . ويراقب الروزنامجى هذا العمل فى كل مراحله ويتسلم الحساب الخاص بذلك من هذا الأفندى . وعندما أساء القادة المحليون استخدام حصيلة هذا البند ، أو بدأوا ينفقونه فى غير أغراضه ، منذ نحو قرن ، أمر الباب العالى بأن يدخل ضمن موارد ، وقد نتج عن توقف الإنفاق على الأغراض التى كانت مخصصة لها حصيلة هذا البند قيام تلال صناعية فى ضواحي القاهرة كانت تفوح منها باستمرار روائح كريهة ، كما كانت تهب منها أتربة مزعجة وضارة بالصحة .

وقد تقرر تذاكر الجاويشية بمعرفة السلطان لتوفير أجر اضافى لأفراد أوجاق الجاويشية الموكلين بحماية تحصيل الميرى ، وكان ضباط هذا الأوجاق يحصلون بأنفسهم هذه الضريبة بشكل مباشر ، ومع ذلك ففى السنوات الأخيرة ، وحين رفض الملتزمون سدادها ، سارع الباشا الى معونة هذا الأوجاق ، الذى أمسى بالغ الضعف لحد لم يستطع معه الزامهم بسدادها ، فأمر بموجب فرمان بأن يحصل هذا الرسم باعتباره جزءا من الميرى وأن يوجه للغرض الذى حدده هذا فرمان .

ننتقل بعد ذلك الى الحديث عن الكشوفية كما انشأها سليمان ،
وهى التى أصبحت نتيجة لذلك جزءا من المال الحر ، لنميزها عن تلك
الكشوفية الجديدة التى أضيفت (الى الضرائب المقررة) منذ عهد هذا
الحاكم .

ويوضح لنا الجدول الآتى حصيلة هذه الضريبة وتلك .

اسم الولاية	كشوفية قديمة				كشوفية	
	مال الجهات	خدمة العسكر	كلفة	الإجمالي	رفع المظالم	
قنا	بالمدينى	بالمدينى	بالمدينى	بالمدينى	بالمدينى	
إسنا	—	—	١٢٥,٦٦٤	١٢٥,٦٦٤	—	
جرجا	—	—	٩٥٤,٢٦٧	٩٥٤,٢٦٧	—	
سيوط	٨,٠٠٠	—	١,٨٧٨,٣١٦	١,٨٧٨,٣١٦	—	
منفلوط	٢٨١,٨٨٧	—	٨٥٨,٩٧٥	٨٥٨,٩٧٥	—	
المنيا	٥٨٢,٧٧٨	٤١٥,٠٣٣	١٣٧,٧٤٨	٤١٩,٦٣٥	—	
بنى سويف	٩٦٦,٨٢٢	٤٥٨,٧٢٨	—	٩٩٧,٨١١	—	
الفيوم	١٩٤,٩٢٠	—	٨٢٢,٩٤١	٢,٢٤٨,٤٩١	١,١٢٨,٢٥٠	
أطفيح	—	—	١٣٧,٣٤٩	٣٣٢,٢٦٩	٩٥,١٢٤	
الجيزة	٣٢٢,١٥٧	١٠٨,٥٧٠	—	—	—	
القاوية	٣٨٢,٣٠٨	٢٣٥,٣٤٥	٤١,٦٢٥	٤٧٢,٣٥٢	٢٥٩,٦٠٠	
الشرقية	٦٤٧,٨٠٢	٦٠٦,٩٥٠	٤٣,٤٤٤	٦٦١,٠٩٧	٦٢٧,٣٦٥	
البحيرة	٦٠٤,٢٦٢	٤٥٦,٣٢٨	٩٣,٣٦٧	١,٣٤٨,١١٩	٢,٣٦٨,٨٠٠	
المنصورة	٧٤١,٨٨٣	٦٨٠,٧١٠	٤٩٩,١٠٠	١,٥٥٩,٦٩٠	٢,١٤٠,٩٢٥	
الغربية	١,٤٧٥,٤٨٧	٨٣٩,٢٣٩	٣٤٠,٢٧٣	١,٧٦٢,٨٦٦	٢,٦٣٥,٠٢٥	
المنوفية	٧٤٢,٩٨٢	٥٩٥,٤١٠	٨٢,٩٣٨	٢,٣٩٧,٦٦٤	٤,٥٠٦,٣٢٠	
			٢٠٩,٣٠٦	١,٥٤٧,٦٩٨	٢,٥١٣,٤٣٠	
الإجمالي	٦,٩٥١,٢٨٨	٤,٣٩٦,٣١٣	٦,٢١٧,٣١٣	١٧,٥٦٤,٩١٤	١٦,٢٧٤,٨٣٩	

ملاحظات	الإجمالي العام	جـ - لمدينة		
		الإجمالي	كلفة	فردة النحرر
	بالمدينى	بالمدينى	بالمدينى	بالمدينى
	١٢٥,٦٦٤	—	—	—
	١,٠٧٩,٢٦٧	١٢٥,٠٠٠	١٢٥,٠٠٠	—
	٢,٠٧٧,٦٨٢	١٩٩,٣٦٦	١٩٩,٣٦٦	—
	٩٢٢,٦٢٥	٦٣,٦٥٠	٦٣,٦٥٠	—
	٨٤٠,٠٥٥	٤٢٠,٤٢٠	٤٢٠,٤٢٠	—
	٣,٠٩٩,٧٢٩	٢,١٠١,٩١٨	٢,١٠١,٩١٨	—
	٣,٣٧٦,٧٤١	١,١٢٨,٢٥٠	—	—
	٦٤٧,٧٢٢	٣١٥,٤٥٣	٢٢٠,٣٢٩	—
	—	—	—	—
	٢,٣٩٤,٧٥٨	١,٩٢٢,٤٠٦	١,٦٦٢,٨٠٦	—
	١,٠٧١,٠٤٦٢	١,٠٤٩,٣٦٥	—	٤٢٢,٠٠٠
	٥,٤٧٤,٦٤٨	٤,١٢٦,٥٢٩	٦٩٥,٩٥٩	١,٠٦١,٧٧٠
	٥,٤٠٨,٧٠٣	٣,٨٤٩,٠١٣	—	١,٧٠٨,٠٨٨
	٦,١٥٩,١٩٢	٤,٣٩٦,٣٢٦	٨٧٤,٦٢٤	٨٨٦,٦٧٧
	١٠,١٦٥,٦٦٥	٧,٧٦٨,٠٠١	١,٦٥٠,٠٧٤	١,٦١١,٦٠٧
	٦,٣٩٧,٥٨١	٤,٨٤٩,٨٨٣	٩٣٠,٤٠١	١,٤٠٦,٠٥٢
ويعادل الإجمالي :				
د س ج ت				
٢,٧٨١,٤٤٦ ٤ ٣				
وبالفرنسكات :				
ف س				
٢,٧٤٧,١٠٧ ٣٦				
	٤٩,٨٨٠,٤٩٤	٣٢,٣١٥,٥٨٠	٨,٩٤٤,٥٤٧	٧,٠٩٦,١٩٤

أما مال الجهات فهو عبارة عن ضريبة كانت تتم جبايتها فى كل قرى الدائرة . ويضع الملتزمون حصيلة هذه الضريبة ، التى يقع على عاتقها أكبر قدر من مصروفات « الإسلامية » (*) تحت تصرف حكام الولايات ، ويقوم هؤلاء بسداد هذه المصروفات ، ويحتفظون بما يتبقى منها لحسابهم .

وتجبى ضريبة خدمة العسكر لحساب الشوربية ولصالح ضبط وجنود آخرين من بقية الفرق العسكرية ، وبخاصة من جنود أوجاقات التفكجيان والجاموليان والشراكسة المنتشرين فى الولايات للعمل هناك مكونين الديوانات (المحلية) أو باعتبارهم مراقبين للبكوات أو الكشاف الحكام . وكان هؤلاء العسكر يجبون هذه الضريبة مباشرة من الملتزمين طبقا لتفويض محرر من البك أو الكاشف . وعندما لاحظ محمد بك أن هذه الضريبة قد ازدادت بشكل كبير ، فقد أعادها الى القدر الذى حدده لها سليمان .

ونمثل الكلفة عدة عادات عينية ونقدية خصصتها اللوائح القديمة للحكام وأفراد بيوتهم . وقد تحولت هذه الرسوم الى اعانات مالية ينبغى على الملتزمين أن يقوموا بدفعها . وقد أضفنا فى دراستنا الى هذه العادات عادة تعرف باسم حوالة الحوالات ، وهو تعبير عربى يعنى التعويض الذى يدفع لحملة الرسائل ، الذين يرسلون على وجه السرعة الى القرى ، لى يخطروا المولدين بالمبلغ الذى ينبغى عليهم أن يدفعوه ، لأنه تبين لنا أن حوالة الحوالات كانت تضاف الى الكلفة فى كل ولايات مصر ، فيما عدا ولايتى الغربية والمنوفية .

وقبل وقت طويل من عهد محمد بك كان حكام الأقاليم قد منحوا أنفسهم بشكل استبدادى حق زيادة الكشوفية ، لكن الملتزمين ، فى عهده ، وقد كانوا فى حالة لا تسمح لهم بتحمل هذه الابتزازات ، التى لايقف تزايدها عند حد ، قد أشعروه بأن من الضرورى وضع حد لهذه الابتزازات . وأدرك محمد بك أنه اذا كان من المناسب أن تزيد هذه الرسوم (أو العادات) من جهة ، فإن من الظلم الصارخ من جهة أخرى أن يترك تقدير ذلك لراى الحكام . وحين قرر قراره على الغاء كل ماكان هؤلاء الحكام

(*) رسم يحصل لصالح محل الحج كما سيرد بعد ذلك (المترجم)

يفرضونه ، زيادة عن الكشوفية القديمة ، فقد منحهم حق تحصيل عادة جديدة سميت باسم عادة رفع المظالم .

وقد أراد القبطان باشا حسن ، الذى حاول أن يعيد النظام الى مصر بعد الاضطرابات التى أعقبت موت محمد بك ، أن يقلص الضرائب لى تعود الى نفس القدر الذى حددته لوائح سليمان ، لكن أمسكارا لاحقة قد أثنته عن ذلك ، فتنبنى نفس الاعتبارات التى أدت الى نشأة عادة رفع المظالم ، واكتفى بأن يطلق عليها اسما جديدا هو عادة حق البيات (أى عادة ثمن الإقامة) .

وحين ادت الاحداث التى أعقبت رحيله الى تثبيت سلطة البكويين مراد وإبراهيم ، فان حكام الأقاليم قد بوزوا أسلافهم فيما كانوا يقومون به من الابتزازات وعمليات السلب ، بحيث أصبح الأمر يقتضى أن تتحول هذه الى بنود ضريبية جديدة ، فأضاف إبراهيم ومراد الى الرسوم أو الفسادات القائمة عادة فردة التحرير .

وبعد ذلك أضيف لحق الطريق الذى أنشأه محمد بك لى يتكفل بنفقات تحصيل رفع المظالم رسم جديد لحق الطريق يلزم لجباية فردة التحرير ، وفى النهاية جمعت كل الأعباء التى فرضت بشكل استبدادى على القرى منذ موت محمد بك فى ضريبة وحيدة أشير اليها باسم الكلفة ، وذلك بسبب تطابق الرسوم (أو العادات) التى تكونها مع تلك التى كانت تدخل فى إطار هذا الاسم فى الكشوفية القديمة .

ويبين الجدول الذى نقدمه هنا الحصة التى تعود الى الملتزمين من الضرائب فى حالة كل الأراضى .

أسماء الولايات	الفايط	الولايات		الإجمالي	ملاحظات
		براني قديم	براني مستجد		
قنا	٣٠١٧,١٩٧	٢٩٧,٨٢٦	—	٣,٣١٥,٠٢٣	<p>حيث كان تحصيل المال الحر في الصعيد يتم نقداً أو عيناً تبيناً لنوع الحصول الذي يزرعه الفلاحون في أراضيهم فقد كان لزماً علينا أن نحول الحصة التي يتم سدادها عنا كما يفعل الناس عادة بهذه البلاد إلى قيمة نقدية حتى يمكننا أن نقدر حصة الفايط المستحق.</p>
إسنا	١,٩٤٦,٣٦٩	—	—	١,٩٤٦,٣٦٩	
جرجا	١٠,٣٣٩,٧٧٠	٤,٥٤٣,٤٩١	—	١٤,٨٨٣,٢٧٨	
سيوط	١,٨٢١,٩٨٨	٢,٧٧٠,١٥٧	١١٠,٥٠٠	٥,٢٠٢,٦٤٥	
منفلوط	٢,٢٨٤,٥٧٨	٥٧٩,٢٦٦	١٦٢,٨٥٩	٣,٠٢٦,٧٠٣	
المنية	٢,٤٨٧,١٢٢	١,٠٣٩,١٧٠	—	٣,٥٢٦,٢٠٢	
في سويس	١٥,٢٢٨,٠٠٩	٧١٣,٣١٥	٣,٠٩٨,٦٩٠	١٩,٠٤٠,٠١٤	
الفيوم	٥,٤٢٦,٣١٠	٧٧٦,٦٧٩	٨٨٣,١٩٣	٧,٠٨٦,١٨٢	
أطفيح	٤,٦٢٤,٦٩٠	٣٦٢,٠٤٤	١٨٢,٤٤١	٥,١٦٩,١٧٥	
الجزيرة	٨,٥٤٣,١٦٧	٩٣٧,٠٨٢	٧١٠,٩٦٣	١٠,١٩١,٢١٢	
القليوبية	٩,٠٢٦,٦٢١	٥٨٩,٤٢٨	٥,٥٠٣,١٥٠	١٥,١١٩,١٩٩	<p>تبادل : ٧ ٣ ٢٤</p> <p>٩,٧٩٣,٨٥٠</p> <p>فرانك</p> <p>٩,١٧٢,٩٤٦</p>
الشرقية	١٢,٣٦٨,٧٢٦	٣,٢٣٢,٧٩٦	٣,٦٢٥,٩٢٦	١٩,٢٢٧,٤٤٨	
البحيرة	١٩,٨٠٠,٤٤٩	١,٥٥٢,٣٤٤	١,٧١٥,٥٧٨	٢٣,٠٦٨,٢٧١	
المنصورة	٢١,٦١٦,٦٢٠	٨,٦٥٨,٨٦٧	٦,٧٨٢,٣١٣	٣٧,٠٥٨,٨٤٠	
الغربية	٣٩,٨٠٢,٨٨٦	١٢,٠٤٠,٨١٦	١٣,٧٦٦,١٠٣	٦٥,٦٠٩,٨٠٥	
الشرقية	٢١,٨٢٤,٠٤٦	٦,٧٥٧,٣٨٤	١٢,١٧٦,١٢٣	٤٠,٧٥٧,٥٦٣	
الفيوم	١٨٠,١٥٨,٥٠٧	٤٥,٢٥٠,٦٧٣	٤٨,٧١٨,٨٤٩	٢٧٤,٢٢٨,٢٠٩	
الإجمالي					

والفايظ (الفائض ، أى الجزء الذى يبقى) هو ذلك الجزء من المال الحر الذى خصصه السلطان للملتزم ، ولم يكن هذا الجزء محددا أو ثابتا بشكل مؤكد ، شأن الميرى أو الكشوفية ، حيث لم يكن للملتزم أدنى حق فيه الا بعد أن ينفى بالتزاماته قبل السلطان وحكام الاقاليم . ولما كانت الأرض التى لا تغمرها مياه الرى معفاة بشكل مبدئى من سداد أية ضريبة ، فقد نتج عن ذلك أن الفايظ كان عرضة للزيادة والنقصان تبعاً لتوسع أو انحصار المساحة المروية من الأراضى التى ينبغى عليها أن تسدد المال الحر . وقد أطلق على الزيادات التى الحقت بالفائظ هذه التسميات : برانى قديم وبرانى جديد ، مضاف قديم ومضاف مستجد . وليس ثمة أى نص رسمى يدل على انشائها ، لكن الملزمين قد جمعوا من الهدايا والأتاوات التى يدفعها الفلاحون مقابل خدمة عارضة أو طبقاً لتقليد ما رسوماً واجبة السداد بشكل حتمى .

وتعود جباية البرانى القديم الى زمن بالغ القدم ، وينظر اليه اليوم باعتباره ضريبة تماثل فى انتظامها ضريبة المال الحر المبدئى .

أما البرانى الجديد (أو المستجد) فقد ابتدعه البكوات المماليك متذرعين بنفس الادعاءات التى استخدمت من قبل لتبرير جباية البرانى القديم .

واليوم ، تحصل نقداً كل الرسوم (أو العادات) التى تشكل كلا من البرانى القديم والبرانى المستجد ، وبرغم انتظامها على هذا النحو فإنها لم تدون فى جداول الضرائب المقررة على القرى ، لكننا لانجد نفس الشيء بالنسبة لمختلف فروع الكشوفية الجديدة ، فحيث أن الحكومة قد أوجبت على الملزمين ، وهم مثقلون بالفعل بدفع الكشوفية القديمة ، أن يدفعوا لقادة الولاية ضرائب رفع المظالم وفردة التحرير والكلفة الجديدة فقد كان تحصيل هذه الضرائب يتم بموجب نص من السلطة لا يمكن للقرية معه أن تنكرها ، وعلى العكس من ذلك فحيث أن البرانى لم يكن ملزماً للفلاحين طبقاً لنص محدد ، فقد كان من الضرورى للملتزم أن يواصل التذكير بالعادات المنشئة للرسوم التى تتكون منها ضريبة البرانى هذه .

وكانت الادارة الخاصة بقرية ما تنشئ مصروفات تحصيل تنفقها فى الاستجابة للمطالب المحلية وفى دفع اجور الموظفين الذين عينهم السلطان فى كل وحدة (ادارية) ، ولم تكن مصروفات التحصيل هذه تدخل ضمن الجداول التى سبق أن أوضحناها اذ كان الذين يقومون بجبايتها ينفقونها مباشرة فى الأغراض المحددة لها ثم يخصمونها من اجمالى المبالغ التى حصلوها لحساب الملتزم .

وسنقدم قائمة طبق الأصل بالضرائب التى كانت تجبى من احدى قرى مصر على النحو الذى قدمه واحد من هؤلاء الجباة . ويقتضى نسق هذا المؤلف أن تدخل هذه القائمة فى ثنايا دراستنا هذه عند حديثنا عن تحصيل الضرائب وسوف تبين هذه القائمة ، بوضوح بالغ ، كل ماسبق أن ذكرناه للتو ماسا بموضوع تقسيم الضريبة على الأراضى .

ثانيا : عن ادارى القرى

كان الملتزم موكلا بادارة القرية وتنظيم شئونها ، ويعمل بها تحت امرته قائمقام يمثله هو وموظفون يختارهم ، وكان وجود هؤلاء ، وكذلك الحال بالنسبة لوظائفهم ، يتحدد بمقتضى لوائح وضعها السلطان .

وهؤلاء الموظفون هم : الشيوخ ، الشاهد ، الصراف ، الخولى ، المشد ، الخفراء ، الوكيل ، الكلاف .

وكان من الضرورى أن يختار كل من الشاهد والخولى من بين سكان القرية .

أما الشيخ فكان يفتش على الأرض وعلى الفلاحين ويراقبهم ، وهو مكلف بمراعاة الاضرار مصالح الملتزم بسبب اعوجاج سلوك هؤلاء أو بسبب اهمالهم ، كما كان ملزما بأن يسدد ما على الممولين من ضرائب اذا هو لم يخطر سيده بهروبهم أو بأخطائهم . ولا تصل أوامر الملتزم الى الفلاح الا من خلاله . كما ينقل — هو — الى الملتزم مطالبهم واحتياجاتهم . ويعين الملتزم فى بعض الأحيان عدة شيوخ للاشراف على الاراضى التى تقع تحت امرته ، ويمارس أول هؤلاء — ويشار اليه باسم شيخ المشايخ — بالنسبة

لزملائه نفس السلطة التى يمارسها هؤلاء ازاء الفلاحين . واذا غاب الملتزم ولم يكن له بالقرية قائمقام فان هذا الشيخ الأول ينوب عنه . ويختار لشغل هذه الوظائف فى العادة فلاحون يمتازون ببسريهم وحذتهم . وفى معظم الأحيان تنتقل هذه الوظائف من الأب الى الابن ، مما يدفع بأبناء شيخ ما على الظن بأن لهم الحق فى وراثة وظيفته .

واما الشاهد فيمسك بسجل يبين طبيعة ومساحة كل العقارات التى تكون زمام القرية ، ويدون بهذا السجل أسماء سكانها وملكياتهم وكذلك كل عمليات نقل الحيازة الطارئة ، ويشار اليه بصفة العدل (أو العادل) للتأكيد على النزاهة التى لابد لها أن تحكم أعماله .

ويقوم الصراف بتحصيل الضرائب طبقا لتوزيعها المدون بسجل الشاهد ، ويتأكد من وزن وحالة المسكوكات (قطع النقود) التى تقدم له ، ثم يسلم الحصيلة الى الملتزم ويحصل منه على مخالصة بذلك ، وكان الصراف فيما مضى يعمل فى خدمة الشاهد ويحصل على راتبه منه .

ويلتزم الخولى أو المساح بأن يعرف بدقة بالغة زمامات القرية والحدود التى تفصل بين اراضى الملاك ، كما يحسم كل المنازعات التى تنشعب حول هذا الموضوع ، ويدير أعمال وزراعة الوسية ، وتزرع هذه الأراضى بالتراضى شأنها شأن عقارات الفلاحين الذين يستخدمون لأراضيهم أجراء ، وتحتصر الميزة الوحيدة التى يتمتع بها الملتزم فيما تقرر له من أفضلية تمنع تابعيه من أن يستخدموا عمالا فى زراعة أرضهم قبل أن تتم زراعة أرض الوسية .

والمشد هو المنفذ لأوامر الملتزم حين يريد أن ينزل العقاب بالفلاحين عندما يخطئون أو يتأخرون (فى سداد ماعليهم) ، اذ ليس للشيخ أو موظفى القرية الآخرين الحق فى أن يتصرفوا بأنفسهم ضد المخالفين ، بل انهم بنشدون سلطة المشد كما أن عليهم أن يقدموا له العون عندما يطلبه أو يحتاج اليه ، وبالإضافة الى ما سبق فان المشد موكل بأن يخطر القرية بأوامر الملتزم .

والخفراء (الخفير) هم حراس القرية ، ويتفاوت عددهم بين قرية وأخرى ، وهم مكلفون بمنع السرقات ومنع كل ما يمكن أن يرتكب فى القرية مما يعد خروجاً على النظام ، كما أنهم ينذرون القرية عند اقتراب العربان . ويسهر الخفراء بصفة خاصة على حراسة بيت الوسية التابع للملتزم والذي يستخدم مخزناً للمحاصيل ، ويدخل ضمن واجباتهم كذلك حراسة الجسور ومراعاة الا يقوم الفلاحون باحداث الثغرات فيها فى الأوقات التى تحرم خلالها هذه الاعمال .

ويقوم الوكيل باستغلال أراضى الوسية ، لكنه ملزم باستخدام الخولى عند بذرها ، كما يتولى جمع المحاصيل والتصرف فيها طبقاً لأوامر الملتزم .

ويعمل الكلاف — أى الراعى — تحت إمرة الوكيل ، وهو موكل بحراسة قطعان الماشية والعنابية بها ، ويحصل لنفسه على منتجاتها من الصوف والزبد واللبن الخ ، ويفترض فى مهنته الا يملك بطن البيطار مما يعود بالفائدة على القرية كلها ، فهو ملزم بأن يقدم هذه الرعاية لمن يلتمسها منه من الفلاحين لعلاج ماشيتهم .

وبالإضافة الى كل هؤلاء يوجد بكل قرية امام وحلاق ونجار ، وعلى الرغم من أن لوائح السلطان لم تتناول هؤلاء ، فقد جرت العادة بأن يحصل هؤلاء على راتب من القرية ، ويترتب على ذلك أن كل واحد من هؤلاء ، كل فيما يخصه ، ملزم بأن يقدم خدماته لأهل القرية .

ثالثاً : عن جباية الضرائب

فيما مضى ، وعلى الرغم من أن الصراف يدخل فى عداد الوظائف الرسمية التى أنشأها سليمان ، فقد كان مرعوساً للشاهد ، ولم يكن له من عمل سوى أن يحصل من كل فلاح المبالغ المقرضة عليه من قبل ديوان الجباية . ومع ذلك ، فحيث تعقدت وتزايدت الرسوم التى بدأت تجبى حديثاً ، مما جعل هذا العمل أكثر مشقة ، فإن الملتزم والزارع كليهما ، وقد حاراً فى تحديد حقوقهما والتزاماتهما ، قد لجأ الى هؤلاء الذين اكتسبوا المعرفة التامة باللوائح وبالأساليب المتبعة عند تطبيقها.

وهكذا لم تعد هناك قرية بها أرض زراعية ، لا نجد بها تبطيا (١) فى وضع يسمح له أن يقدم أدق وأوفى البيانات عن الرسوم القديمة والحديثة ، سواء المفروضة محليا ، (أى على القرية بشكل خاص) أو تلك المفروضة بشكل عمومى ، وسواء كذلك المشروعة منها (أى التى قررتها اللوائح) أو الجائرة ، والتى تجبى من ملاك هذه القرية . وقد جعلت منه معلوماته هذه وسيطا لابد منه بين الملتزم والفلاحين ، حتى أن الآخرين يبادرون مذعنين بسداد المبلغ المطلوب ما أن يتلفظ به ، وهم يرضخون بفعل الخوف لأنوات لم يطلعهم عليها من قبل . وبفضل خبرة الأقباط فى هذا المجال فقد أصبحوا هم المباشرين للبكوات والملتزمين ، ونجد فيما بينهم نفس العلاقات التى تقوم بين أولئك الذين يدبرون — هم — لهم ثرواتهم ، فمباشرو الملتزمين ومباشرو البكوات يعترفون برياسة مباشر البك شيخ البلد لهم ويلقبونه بالمباشر العمومى . وقبل أن يمارس هؤلاء مثل هذه الوظائف فانهم يتشربون هذه الأمور بالعمل تحت إدارة أسلافهم . وهم حريصون دوما على أن يحصروا داخل أمتهم هذا النظام المتبع (فى هذه الأعمال) والذى يشكل تراثا بالنسبة لهم ، فهم لا يشركون فى أعمالهم ومعارفهم سوى الأقباط ، ويعهد الملتزم بأعمال الصيرفة الى واحد من هؤلاء التلاميذ الذين يشار اليهم باسم الكتبة (كاتب) . ويستترشد فى اختيار هذا بمباشره ، ولابد أن يوافق على هذا الاختيار المباشر العمومى ، الأمر الذى يوضح مكانة وسطوة هذا الأخير على إدارة مصر فيما يتصل بتوزيع الوظائف التى تنفرع عن أعماله .

- وما أن تنحسر مياه النيل عن الأراضى ويتم البذر ، حتى يتوجه الصراف الى القرية الموكلة اليه ، مزودا بالبيانات التى تقتل بضرائب السنوات السابقة . ومعلومات من هذا النوع ، ويفترض الا يعرفها الا من ينتمى الى أمة الأقباط ، لاتذاع الا عن طريق الشخص الذى زود بها . وبمجرد وصوله يدعو اليه ديوان الجباية وهو عضو فيه بحكم النشأة . كما يدعو المشايخ والشاهد ويبدأ فى عملية توزيع الضرائب وجبايتها .

(١) الأقباط هم سلالة أهل البلاد الذين رفضوا اعتناق دين محمد ، وهؤلاء يدينون بمسيحية شوهتها جهالتهم كما اتلفتها أخطاء نسطوريوس .

إنما الديوان الذى يفترض فيه أنه المشرف أو على الأقل الحكيم فى هذه العملية فلم يكن سوى شاهد ، بل إن الفلاحين أنفسهم يفضلون إدارة الصراف على إدارة الديوان أو الشاهد ذلك أن حماسة الصراف التى لا تفتقر والتى تسوغ ثقة الملتزم فيه لم تكن لتمنعه من أن يصطنع بعضاً من اللباقة وشيئاً من النزاهة فى إجراءاته ، وتسهم صفته باعتباره غريباً ، كما تسهم طبيعته عمله الذى ينتهى بنهاية العام باضفاء صفة الحيطة عليه ، نى حين يتهم المشايخ والشاهد على الدوام بأنهم أصحاب منفعة فى العوايد (أو العادات) المحلية مما يجعلها جائزة بشكل دائم .

وتتم جباية الضرائب وفاء لثلاثة أغراض متنوعة :

١ — لتحصيل المال الحر .

٢ — لتحصيل الإضافات التى تمت زيادة على المال الحر (١) .

٣ — لتحصيل المصروفات الطارئة والتى تستخدم للانفاق على احتياجات القرية .

ويستخدم سجل الشاهد ، الذى تحددت به مساحة وحالة الأرض التى يمتلكها كل ممول ، أساساً لعمل الصراف عند تقسيم وتوزيع الضرائب وتوجد بكل قرية ، بخلاف الرزق ، والاطلاق ، والوسايا . والأثر ، أراض يطلق عليها اسم بور المناجر .

وقد سبق لنا القول بأن أراضى الرزق والاطلاق (أو الانلاق) كانت معفاة من الضرائب . وينطبق ذلك على الأراضى غير المنتجة أو البور .

أما الأراضى من النوع الرديء ، والتى يطلق عليها اسم مناجزة ،

(١) وهى عبارة عن البرانى بنوعيه وعن الكشوفية الجديدة .

(٢) وهى أراض أصابها الضعف ولم تعد جيدة الزراعة وهناك أيض أراض تسمى بور الحوالى وهى التى يصيبها البوار فى بعض السنوات فلا تزرع (المترجم) .

سواء كانت تتبع الفلاحين أو كانت تتبع الملتزمين ، فتدفع ضريبة معتدلة ، اقل من تلك التى تفرض على أراضى الوسية والأثر ، فهى تشكل درجة رابعة بالنسبة لكل هذه الأراضى التى تنقسم الى أراض ممتازة ، وأراض متوسطة وأراض دنيا (أو : عال ، ووسط ، ودون) ، وتخضع هذه وتلك بالمثل لضريبة المال الحر ، وتسدده حسب درجة جودتها (١) .

وبخلاف ذلك تتحمل أراضى الأثر وحدها الزيادات التى أضيفت الى هذه الضريبة ، وكذا المصروفات الطارئة التى تتصل باحتياجات القرية ، دون أية مراعاة لدرجة جودتها ، بل كان يكتفى بتوزيع الضريبة بنسب متساوية ، ولهذا كان يزيد أو ينقص مايدفعه فلاح ما من هذه المصروفات تبعا لعدد الفدادين التى يملكها .

وفى مصر العليا تعامل الأراضى من هذا النوع ، والتى تتبع المشايخ والموظفين الرسميين فى القرية بنفس الدرجة من الأفضلية التى تعامل بها أرض الوسية ، أما فى مصر السفلى فان هؤلاء الموظفين لا يحصلون على هذه الميزة الاجزاء فقط من ممتلكاتهم .

وتقدر الضريبة على الزمامات التى لا يتم قياسها (أى غير محددة المساحة) بشكل اجمالى ، وتحدد الضريبة المقدرة عليها بمعرفة الصراف والادارة الداخلية للقرية ، وتسمى الضريبة من هذا النوع باسم كلاله . وهذه ، من ناحية العدد ، أكبر فى الصعد عنها فى مصر السفلى . وقد قيست زمامات بعض القرى بين بين : وتقدر الضريبة على الجزء المقيس بواقع عدد الفدادين ، لكنها تقدر على الجزء الآخر بالكلالة .

وتتكون القرى عادة من عدة كفور شكل الا دائرة وحيدة ، تحمل اسم القرية الرئيسة .

(١) لى نوضح بأية طريقة عشوائية كانت توزع هذه الضريبة ، يكفينا القول بأنها كانت تتراوح بين ٩٠ الى ١٠٠ مدينى للفدان من الدرجة الأولى ، ومن ٦٠ الى ١٥٠ مدينى لفدان الدرجة الثانية ، بينما تفرض على أراضى الدرجة الثالثة وكذلك على أراضى المنابر ضريبة مقدارها من ٣٠ الى ١٢٠ مدينى للفدان .

وتنقسم هذه الوحدة الادارية فى مجموعها ، ومهما تكن مساحتها ، الى ٢٤ جزءا ، تتبع كلها للتعزم واحد أو لعدة ملتزمين .

ونقدم الآن بياناً بالضرائب التى سددتها دائرة قسرية الانبوطيين ، الواقعة فى ولاية الغربية ، فى عام ١٢١٣ من الهجرة ، وهو العام السابع من قيام جمهوريتنا (١٧٩٨) : وسنقدم كما سبق أن وعدنا جدولاً بكل الضرائب المقررة على احدى القرى ، وبصفة خاصة تفاصيل الرسوم (أو العادات) التى تشكل البرانى . وحيث تتنوع هذه من اقليم لآخر ، بل بين قرية وأخرى ، فقد كان عايناً أن نكتفى بتقديم مثال من شأنه أن يبين لنا الضرائب المقررة والتى تعد أكثر من غيرها شيوعاً .

قائمة بالضرائب المقررة على وحدة قرية الأتوبيطين
بولاية الفريسة عن العام ١٢١٢ من الهجرة

الأتوبيطين قرية رئيسية
بقلولة
منية جيش كور أو قرى تابعة لها {

الأتوبيطين	بقلولة	منية جيش	المجموع
١٦٢٢١ ^{٥٢٤} _{٥٧٦}	٤٧٦ ^{٢٤٤} _{٥٧٦}	١١٠٦ ^{٤٠٤} _{٥٧٦}	٢٢٠٩ ^{٢٢٢} _{٥٧٦}
٤٧٢ ^{٥٨} _{٥٧٦}	١٦٢٧٦ ^{٤٤} _{٥٧٦}	٢١ ^{٥٠٤} _{٥٧٦}	٨٥ ^{٤١٢} _{٥٧٦}
١٥٧٩١ ^{١٦} _{٥٧٦}	٤٥٩ ^{٤٤} _{٥٧٦}	١٠٨٤ ^{١٦} _{٥٧٦}	٢١٢٢١ ^{٩٦} _{٥٧٦}

الأراضي	بقلولة	منية جيش
٢٨٤ ^{٥٧٦}	—	٢١ ^{٣٠٠} _{٥٧٦}
١٤٠ ^{٥٧٦}	١٦٢٧٦ ^{٤٤} _{٥٧٦}	—

إجمالي الأراضي
يخمس من ذلك : أراضي ممغاة من الضرائب

رزق تابعة للأشخاص عدة
أراضي بور ، شواطئ ، طرق الخ

الباق من الزمام والذي يخضع للضرائب ويبلغ

الإجمالي العام	الإجمالي	مدينة جديش	بقلوة	الأنبيطيين	
مديني	مديني	مديني	مديني	مديني	
					الأنبيطيين : ويبلغ زمامها $١١٤ \frac{7}{10}$ فدانا منها $١١٤ \frac{7}{10}$ فدانا و $٥٧٩ \frac{3}{10}$ فدانا تشكل أرض الوسيية مناجزة : أرض ودية تدفع ضريبة ثابته . $٤٤٨ \frac{4}{10}$ أرض جيدة (عال) تشكل أرض الوسيية وتقدر الضريبة عليها بواقع ١٠٧ مديني للفدان . $٨٩٨ \frac{3}{10}$ أرض متوسطة الجودة (وسط) وأراضي الأثر وتقدر للضريبة عليها بواقع ١٠٧ مديني / فدان ٤٤٠ أرض منخفضة الجودة (دون) وأراضي الأثر وتقدر للضريبة عليها بواقع ١٠٣ مديني / فدان . ٤٥٣٢٠
					بقسولة : ويبلغ زمامها $٤٥٩ \frac{4}{10}$ فدانا . منها : $٣٢ \frac{1}{10}$ ف مناجزة . . شرحه . . . $١٨٠ \frac{4}{10}$ ف جيدة ، الوسيية ، شرحه . . . $٣٩٦ \frac{8}{10}$ أرض متوسطة ، الأثر ، شرحه . . .

	١٢٣٠٩٣	—	—	—
	١٢٤٥٦٧	٤٨٢٤٧	١٦٣٧٦٤	—
٢٣٦٥٧٨	—	—	—	—
١٤٥٨٨٧	—	—	—	—
٢٠٠	—	—	—	—
٩٥٨٩٣	—	—	—	—
١٥٥٨	—	—	—	—

٣٦١٥٥٨

جيش : وزعامها $\frac{1}{10} \frac{1}{10} \frac{1}{10}$ ١٠٨٤ في منها :

$\frac{4}{10} \frac{1}{10}$ في ١٣ جيدة الروسية ، شرجه

$\frac{2}{10} \frac{2}{10}$ ١٠٧٠ في ضيقة ، الآخر ، بواقع الفدان

١١٥ مديني

اجالي الزعام $\frac{1}{10} \frac{1}{10} \frac{1}{10}$ ١٢٣١٢٣ يسدد

الإجمالي المكون للمال الحر

الزيادات التي طرأت على المال الحر :

— نصيب هذه القرية في الـ ١٢٥٨٩٣ ٧٤٤ مديني

التي أضيفت إلى الميرى على يد الأسلاطين أحمد ومحمد

ومصطفى

رسوم ثابتة على أراض جديدة في بقلو له

زيادات على أراض عربان قبيلة الأطيخ (*)

الإجمالي للمال

(*) أو كما وردت بالنسب العربي el-Atah (الترجمة)

الإجمالي العام	الإجمالي	مبيت حبيش	بقالة	الأزبطين	
مدني	مدني	مدني	مدني	مدني	
٢٢٤	٢٢٤	—	—	٢٢٤	ويخصم من ذلك :
٤٩٥	٤٩٥	١٦٥	١٦٥	١٦٥	مصاريف محلية وإدارية تدفع لمستحقين :
٣٣٠	٣٣٠	—	١٦٥	١٦٥	الخبثية ، وهي أول عادة جباها راس نوبية ، وهم
٤٩٥	٤٩٥	١٦٥	١٦٥	١٦٥	صغار ضباط الأوجاتات
٣٤٥	٣٤٥	١٨٠	—	١٦٥	قائمة الرملة ، وهي عادة فرضت لصالح الشخص
٦٩٠	٦٩٠	٣٦٠	—	٣٣٠	الذي يقوم بتنظيم حسابات بعض رسوم الكشوفية .
					تتقدم المنشور : وهي هدايا تقدم لضباط الأوجاتات
					للعناية بالشران اللازمة للترع
					مقدم الولاية : موظف بالولاية يسير أمام الحاكم
					مسودة الولاية : موظف آخر بنفس الولاية . .
					موتى الولاية : ضباط بالولاية يرشد الحاكم الى معسكرات
					الجنود
					الجرافة السلطاني : لن يقوم بالتفتيش على الجسر
					العمومية
					جسر بنو جودي : وهو جسر ينبغي أن تسهم هذه
					القرية قى صيلاته
٢٤٥	٢٤٥	—	١٧٠	٧٥	

٦٠	—	—	٦٠	مقدم العسكر : وهو موظف بالولاية يعمل دليلًا
٨٤٧	٢٣٠	٢٣٠	١٨٧	لعسكر الشوريجية
				• • • • •
				تسوية مقرر : وهو موظف آخر بالولاية
				• • • • •
				مظالم الولاية : ضابط بالولاية مهمته اخبار الحاكم بما يدور
١٥٠	—	—	١٥٠	بالولاية
				• • • • •
				تقرير الامتدى : عادة للافندية الذين يقومون بتحصيل
٨٩٤	٩٠	١٨٠	٦٢٤	المسرى
				• • • • •
				اغنام الضلعة : وهي الخراف التى ينبغي ذبحها
٩٦	٩٦	—	—	عند حصاد القمح
٢٨٧	٢٨٧	—	—	• • • • •
				رأس نوبة : عادة ثلثية لضابط بهذا اللقب
				• • • • •
٦٠	٦٠	—	—	عادة الدعوة : وهي عادة مقررة للشخص الذى يفض
				• • • • •
				الخلاعات بين الملاحين
				• • • • •
١٧٠	—	—	١٧٠	نايب رية : وهو ضابط يقوم بالحفاظ على الاخلاق
٢٠	٢٠	—	—	الحيدة فى الولاية
				• • • • •
				عادة الولي : وهو احد الاولياء الحاليين
				• • • • •
				برانى مقدم العسكر : زيادة فى العادة المقررة لهذا
٢٧	—	—	٢٧	الموظف
				• • • • •
٣١,٠٢٠	١٢,٦٠٠	٦,٥١٠	١١,٩١٠	عادة لصالح الشايخ
				• • • • •

الإجمالي العام	الإجمالي	ميت حيش	بقولة	الأيوطين	
مدني	مدني	مدني	مدني	مدني	
٩٨٨	٩٨٨	٣٨٠	٢٤٨	٣٦٠	• • • • •
١,٤٢٢	١,٤٢٢	٤٤٠	١٦٦	٨١٦	• • • • •
٢٠٢	٢٠٢	—	—	٢٠٢	• • • • •
٢٠٠	٢٠٠	—	—	٢٠٠	• • • • •
١٥١	١٥١	٥٠	—	١٠١	• • • • •
١٠٠	١٠٠	—	—	١٠٠	• • • • •
١٠٠	١٠٠	—	—	١٠٠	• • • • •
١١٠	١١٠	١١٠	—	—	• • • • •
٢,٣٠٨	٢,٣٠٨	١,٠٣٨	—	١,٢٧٠	• • • • •
٨,٣١٥	٨,٣١٥	٢,٠٠٠	٢,٠٠٠	٤,٣١٥	• • • • •
٣,٠٠٠	٣,٠٠٠	١,٠٠٠	١,٠٠٠	١,٠٠٠	• • • • •
٨,٠٠٠	٨,٠٠٠	١,٥٠٠	١,٥٠٠	٥,٠٠٠	• • • • •
٩١٧	٩١٧	—	—	٩١٧	• • • • •
٢٣,٥٠٨	٢٣,٥٠٨	٢١,٣٥٦	١٢,٩٨٤	٢٩,١٦٨	• • • • •
٢٩٨,٠٠٠	—	—	—	—	• • • • •

• • • • • لإقامة الجسور
 • • • • • لحراسة المكان الذي تتم فيه عملية جباية هذه الرسوم
 • • • • • واصحاب الاموال الى القاهرة
 • • • • • خولى الجرافة : وهو الذي يفتش على الجسور
 • • • • • الخفير الدوار : حارس القرية
 • • • • • كلاف الاطوار : راعى ثيران القرية
 • • • • • للنجار الموكل باصلاح ادوات الري
 • • • • • للشبيخ امام
 • • • • • خولى الزرع : ويقتش على البذار وهو مساح كذلك
 • • • • • صغار الجرافة : اجر العاملين فى جسور الولاية
 • • • • • معاش لعربان قبيلة الاطباح
 • • • • • عادة الصراف الجاى
 • • • • • رزق تدفع نقدا
 • • • • • صيانة جسور خاصة بالقرية
 • • • • • الاجمالي
 • • • • • البتلى

١٠٦,٣٣٦	—	—	—	ويوزع بمعرفة الملتزم ما يلي طبقاً للوائح السلطان :
١٩,٠٨٩	—	—	—	الى السلطان باعتبارها ضريبة الميرى . . .
—	—	—	—	الى الحاكم باعتبارها الكسوفية القديمة :
				وتفصيلها كما يلي :
				مال الجهات ١١٤٥
				خدمة المعسكر ٦.٩٣٠
				تبن السلطان ٥١٩
				حالة الحوالات ٤٩٥
				الى الملتزم باعتباره الفايز الخاص به . . .
٧٢,٦٢٥	المبلغ الاجمالي (١)
٢٩٨,٠٥٠	

(١) هذا المبلغ هو اجمالى المال الحر ، ونرى من ذلك ان المروفات المحلية قد خصمت منه ، وتبلغ نفقات القرية ما نسبته ٢١١/٣٪ . وقد عرفنا فيما سبق ان هذه النفقات فى بقية البلاد تتراوح بين ١٠ و ٣٠٪ .

٤٠,٥٠٠	١٦,٥٠٠	—	٢٤,٠٠٠	• • • • •	عادة حوالة الحوالات
٣٤,٠٠٠	١٣,٦٠٠	—	٢٠,٤٠٠	• • • • •	هدية للملتم
٣,٠٨١	١,٢٨١	—	١,٨٠٠	• • • • •	عادة كفايا للتميز
٣٣٠	—	—	٣٣٠	• • • • •	عادة تسويق مقرر
٤,٢٨٠	—	—	٤,٢٨٠	• • • • •	مصرفات على اراضي محمد الغنار
٨٩	—	—	٨٩	• • • • •	عـة مظالم الولاية
١,٥٠٠	—	—	١٥٠٠	• • • • •	ركبة الطوافة
١,٢٧٤	١,١٠٩	—	١٦٥	• • • • •	زيادة الاحتت بالمعدة المذكورة
٩٠٠	—	—	٩٠٠	• • • • •	شيران للعمل بالجسور
٣٠٠	—	—	٣٠٠	• • • • •	خراف من اجل موسم الحصاد
١٠٩	—	—	١٠٩	• • • • •	جاويش الولاية
٨٢١	٨٢١	—	—	• • • • •	نثرات محلية مختلفة تذكر للمرة الثانية
١٠٨,١٩٣	٣٧,٣٩٩	—	٧٠,٧٩٣	• • • • •	الاجمالي
١٠٨,١٩٣	١٢,٠٠٠	٦,٠٠٠	١٧,٨٢٥	• • • • •	العثوفية الجديدة
١٤,٣٠٠	٤,٥٠٠	٣,٠٠٠	٦,٨٠٠	• • • • •	رفع المظالم او حق الطريق
١٠,٠٧٣	٣,٣١٥	١,٧٤٣	٥,٠١٥	• • • • •	فردة التحرير
٦٠,١٩٨	١٩,٨١٥	١٠,٧٤٣	٢٩,٦٤٠	• • • • •	كافة جديدة
٦٠,١٩٨	٦٠,١٩٨	١٠,٧٤٣	٢٩,٦٤٠	• • • • •	اجمالي الرسوم المقررة على هذه القرية

التوزيع الجديد لهذا المبلغ

مدنى			
١٠٦٣٣٦		لضريبة الميرى	الى السلطان .
٧٩٢٨٧	{ ١٩٠.٨٩	للكشوفية القديمة	الى حاكم الولاية
	{ ٦٠.١٩٨	» الجديدة	
	١٧٢.٦٢٥	للفايز وهو حصته	
(١) ٤٣٦٩١٣	١٥٦.٠٩٦	للبرانى القديم	الى الملتزم
	١٠.٨١٩٢	» الجديد	
٢٦٢٢٥٣٦		الاجمالى	
٦٣٥٠.٨		مصروفات محلية وخلافها دفعت لمستحقين	
٦٨٦.٤٤		اجمالى الرسوم التى دفععتها هذه القرية	

ويفسر لنا المثال الذى قدمناه للتو ، كما يتطابق مع ماسبق ان قلناه ماسا بتقرير وتوزيع الضريبة . فالتفاصيل المتوفرة هنا حول البرانى القديم والجديد تؤكد بوضوح ان غرضها المبدئى كان ينحصر فى توفير الأثاثات والعادات (العادة) والهدايا التى كانت القرية تقدمها للملتزم ، بالاضافة الى تلك التى كان على الملتزم ان يقدمها لمن هم أعلى منه ولغيرهم ، وحيث انتهى الأمر بهذه العادات ان أصبحت وجوبية وبشكل صارم ، اذ يكفى ، تبعاً لتقليد له قوة القانون فى مصر ، ان يجبى مبلغ ما لمدة سنتين أو ثلاث سنوات متتاليات كى يصبح حقاً واجب الاداء بشكل مطلق ، فقد أصبحت هذه العادات تدفع فى شكل رسم نقدى ، وليس البرانى القديم سوى أول رسم من هذا النوع تم تحصيله ، ومع ذلك ، فعلى الرغم من ان البرانى القديم كان ينبغى له ان يحل محل كل العادات التى سبقته ، فان ذلك لم يمنع الملتزم من ان يحصل لنفسه على عادات مماثلة (لتلك التى حل البرانى القديم محلها) ، ومع مرور الوقت ثبتت هذه العادات الجديدة ثم أبدلت بالمثل برسم جديد عرف بالبرانى الجديد أو المستجد ، واليوم فان كليهما يدخلان ضمن صافى حصيلة الملتزم التى يستغلها كلها لحسابه الخاص .

(١) غير مشتمل على دخول الوسايا .

(٢) يجمع هذا المبلغ الأبواب المختلفة للمسال الحر والزيادات التى ألحقت به ، ويكون مجموع كل الضرائب المعروفة أو الثابتة . انظر الجداول الخاصة بذلك .

وبخلاف البيان الذى قدمناه والذى ضم المال الحر البذئى وكذا الاضافات التى ادخلت عليه ، فقد اُنشئ لكل قرية جدول خاص بالمصروفات الطارئة والاعتيادية ، وادرج به كل الانفاقات التى تنجم عن زيادة رواتب موظفى مكتب القرية وعن اصلاح الجسور والترع غير السلطانية ، بالاضافة الى الاتاوات او العادات التى تقدم للملزم والبك والمبائر او لقبيلة ما من العربان ، وان كان هذا الجدول لا يشتمل على المطالب غير الاعتيادية التى يقوم بها هؤلاء من وقت لآخر .

هكذا نرى كيف يمكننا بسهولة أن نقرر أن هذه الأوضاع كانت هى منبعاً لمطالب استبدادية لا حد لها كانت تزيد على الدوام من حقوق الملزم على الفلاح ثم من حقوق الحكام على الملزمين . وليس للبرانى القديم والبرانى الجديد والكشوفية القديمة والكشوفية الجديدة من اصل بخلاف ذلك ، وقد ظلت هذه الضرائب تتزايد فى الأزمنة الحديثة باصطناع وسائل مشابهة حتى أصبحت العادات التى يحصلها الملزم تشكل برانى ثالثاً فى نفس الوقت الذى يمكن لنا فيه أن نعد الضرائب التى كانت تجبها الحكومة بمثابة كشوفية ثالثة .

أما المطالب غير الاعتيادية فكان يسهل تحصيلها على الدوام بفعل تواطؤ المشايخ الموكلين بحماية الأموال التى تتقرر جبايتها عن غير طريق الصراف ، ومع ذلك فقد كان من مصلحة الملزم أن يداهن فلاحيه ، وهنا يكون بمقدور شيخ محنك أن ينأى بهؤلاء الفلاحين عن اتخاذ مواقف متطرفة قد تصبح ضارة بمصالح الملزم ، وأن يستدرجهم فى معظم الأحيان لأن يسددوا ما يطلب منهم حين يبالغ فى سطوة ومكانة الشخص الذى أسس هذه المطالب وما له عليهم من حقوق ، وبخاصة عندما يوهمهم بأن هذه المبالغ ، ما ان سددت هذه المرة ، فلن تتكرر المطالبة بها مرة أخرى .

ولقد كانت هذه العقلية الحاذقة والدساسة تهبىء لهؤلاء الشيوخ الوسائل العديدة لتكوين الثروات ، ففى الوقت الذى كانوا على ثقة تامة فيه بأنهم سيحصلون على هدية من جانب الشخص الذى يجبون له هذه المطالب ، فقد كانوا يحصلون على مكافأة مماثلة من القرية التى كانت تثق فى أن هؤلاء يعملون بحماسة وغيره فى سمسيل مصالحها هى ، وهناك اتهام آخر يوجه لهؤلاء يتمثل فى عدم نزاهتهم فى توزيع أعباء

المصروفات التى من هذا النوع وذلك بأن يحصلوا من كل فلاح مبلغا أكبر على نحو طفيف مما كان ينبغى عليه أن يدفعه ، ومع ذلك فقد كان يقبض عليهم أن يقتسموا عائد لصوصيتهم تلك مع الشاهد والصراف اللذين لم يكن ليفوتهما أن يحيطا بالملتزم علما بذلك اللهم الا اذا وجدوا أن من مصلحتهم أن يلزموا الصمت . وفى كل مرة كان يرسل فيها الملتزم أو من ينوب عنه ، ولسبب أو لغير سبب ، من يحمل أوامره الى احدى القرى ، فقد كان عليه أن يسدد اثاوة حق الطريق التى كانت توزع وفقا لترتيب أفراد (سرية) حق الطريق ، فيحصل القواس على ٢ الى ٣ بوطاقات ، ويحصل السراج على ١٥ الى ٣٠ بوطاقة ، والجندي من ٦٠ الى ١٠٠ بوطاقة أما الكاشف فكان يحصل على ٢٠٠ الى ١٠٠٠ بوطاقة . وعندما جلا الفرنسيون عن الصعيد ليدعوا زحفهم ضد الأتراك والانجليز ، لم يتجاسر مراد بك الذى بسط نفوذه على هذه البلاد التى تم الجلاء عنها على أن يجبى الضرائب الاعتيادية ، ولكنه بدلا من ذلك قد ضاعف من ارسال حاملى الأوامر دون دافع حقيقى (الا الحصول على حق الطريق) ، وفرض من الفين الى ثلاثة آلاف بوطاقة عن أى برید يرسله .

ويحرر الصراف بالتنسيق مع الشيوخ والشاهد قائمة بالجدول المدونة أو الثابتة . ويبدأ التحصيل فى الشهر الثالث من السنة القبطية ويستمر حسب كل شيخ من شيوخ القرية الفلاحين التابعين له ، فيسلمهم سجلا مدونة به أسمائهم ومبينة أمامها الضريبة التى عليهم أن يسددوها .

ولابد أن يتم السداد مائة (أى الثلث فالثالث فالثالث) بشكل يتطابق مع دورة المحاصيل . وبعد تحصيل الثلث الثانى يجتمع الصراف والشيوخ والشاهد من جديد لاعداد جدول بالمصروفات الطارئة والمعتادة ، وعندما لا يكون الملتزم مقيما بأرضه ، فانهم يتوجهون الى القاهرة ليضمسوا الأمر تحت تصرفه ، وعندئذ يفحص سير وسلوك الشيخ بكل عناية ، ويتم فصل كل المصروفات التى سيدون بالجدول عن تلك التى ستحذف منه اما لأن هناك أسبابا تدعو لعدم اظهارها واما لأنها لا تتفق مع ما طلب الى الفلاحين سداذه ، ونادرا مايوقع الملتزم قائمة الحساب هذه دون أن يحصل منه على خدمة مماثلة ، فاما أن يحصل منه على جزء من الأرباح التى حققها (الشيخ) ، واما أن يعاقبه جزاء خياناته واختلاساته ، أما اذا أهمل الملتزم هذه الوسيلة الأكيدة لزيادة دخله فانه يتظاهر بأنه يضع نصب

عينه سلوك شيخه ، ذلك أن استلابه لثروة هذا الرجل ليست سوى مسألة وقت ، فلا بد أنه سوف يقع ، بعد وقت طال أوقصر ، على الفرصة المواتية كى يفتزع فى يوم واحد ما ظل يحصله هذا الشيخ طيلة سنوات طوال .

وعند عودة هؤلاء الى القرية يجمع الصراف الى جانب تحصيله الثلث الثالث من الضريبة جباية المصروفات الطارئة والاعتيادية التى تم للتو اقرارها . وليست القائمة الجديدة التى يسلمها للمول شيئا آخر سوى نسخة جديدة من جدول توزيع الضرائب الثابتة مضافا اليها نصيب هذا المول من المصروفات الطارئة والاعتيادية . ويدون فى هذه النسخة الجديدة كل اقساط الضرائب التى دفعها الفلاحون ، ولا يقوم هؤلاء الذين تصرفوا بالفعل فى محصولاتهم ، بسداد ما عليهم الا على مضض ومع كثير من المشتقة مع استخدام العصي والحبس والأغلال لارغامهم على ذلك .

وبمجرد أن توشك جباية الضرائب على التمام ، يرسل الصراف حصيلتها الى الملتزم أو يسلمها الى القائمقام طبقا للتعليمات التى تلقاها . وفى الحالة الاولى ، فانه يعهد الى خدمه هو ، أو الى خدم الملتزم بارسالها ، لكنه يصر على أن يصحبهم اثنان من شيوخ القرية ، فحيث تعد القرية مسئولة عن احتمال تعرض اللصوص لهذه الأموال أثناء الطريق ، فسوف تكون شهادتهما نافعة للملتزم لاثبات الجريمة ولارغام فلاحيه فى نفس الوقت على أن يدفعوا للمرة الثانية .

وعندما يتبين الصراف أن اجمالى الضرائب قد تم سداده ، فانه يحصل على ضعف ذلك البند من قائمة الضرائب (المقررة على الفلاحين) الذى يبقى « على بياض » بحضور الشيخ والشاهد ، والعادة هى التى ثبتت هذه الطريقة من الجباية التى لايعرف لجشعها حد ، وعندما يحصل الفلاح على المخالصة فانه يبدى فرحة طافية تبرهن بوضوح الى أى حد تروغ هؤلاء الناس تلك المعاملات السيئة التى يتعرضون لها اذا ما تأخروا فى سداد ما عليهم .

ويقوم الصراف كذلك بجباية المصروفات المحلية والادارية التى تؤخذ خصما من المال الحر ، كما يجبى كذلك عادات السكشوفية القديمة والسكشوفية الجديدة . وكان يحدث عادة أن يتصرف البكوات والملتزمون

فى دخولهم عن طريق توكيلات يعطونها لدائنيهم ، ويفوذ هذا الوفاء المستعجل بالنفع على الصراف الذى كان يطلب استقطاعات من الدين تتناسب قيمتها مع السرعة التى يحققها فى اتمام سداده ، وحيث كانت العادة تخول له الحق فى تحصيل ٢ الى ٣ مدينى من كل ممول عندما يسلم اليه قائمة بالضريبة المقدرة عليه ، وحيث كان يحصل منه على ائوة مماثلة فى كل مره يسجل له فيها تنزيلا من الحساب ، وحيث كانت تتضاعف امثال هذه العادات او الاتاوات فقد كان كل ذلك يهيىء له تحقيق ارباح طائلة ، ويخلاف ذلك فقد كان يعطى له ضمن انفاقات القرية ثلاثة مدينى (من كل فلاح) عندما يقوم بتسليمه الشطبة او المخالصة النهائية . والى جانب هذا كله كان الصراف يحقق ارباحا من قطع المسكوكات (النقود) التى كانت تسلم له عند السداد ، وذلك بالا يتسلمها الا بسعر ادنى من السعر الذى تتداول به فى القاهرة . ويستغل الصراف حالة البؤس التى يرى عليها الفلاح وانخفاض سعر الماشيه فى القرية التى يعمل بها كى يقوم بمضاربات فى عمليات شراء من هذا النوع . اذ كان مركزه يهيىء له كل يوم ارصدة مالية كان من السهل عليه ان يستخدمها قروضا تعود عليه بربح كبير ، هكذا كانت لديه وسائل لا حصر لها تصل بدخوله الى مبالغ هائلة ، ومع ذلك فحيث ان هذه الحصيلة فى مجملها معروفة لمباشر الملتزم فقد كان يؤول الى هذا الاخير جزء كبير من هذه الدخول ، وكان هذا المباشر بدوره يقتسم حصيلته من ذلك مع المباشر العمومى ، بل وفى بعض الاحيان مع نفس الملتزم الذى هو تابع له .

وكانت الضريبة تسدد بالمدينى ، ويشكل كل ٩٠ مدينى قطعة نقد أصبحت قياسية تسمى بوطاقة ، وفى نفس الوقت ، فحيث كان الملتزم لا يحتسب البوطاقة او الـ ٩٠ مدينى التى تسدد له الا بسعر يبلغ ٨٥ مدينى فقط ، فقد نتج عن ذلك ان كانت القرية تدفع ٩٠٠٠ مدينى كى لا تسدد سوى ٨٥٠٠ مدينى ، وفيما عدا ولاية الفيوم ، فقد كانت البوطاقة تسلم الى الصراف بسعر ادنى من ٨٥ مدينى ، يتراوح بين ٨٠ و ٨٥ وفى حين كان الصيارفة يحاسبون ملتزميهم على الدوام بواقع ٨٥ مدينى للبوطاقة الواحدة مختصين انفسهم كذلك بالفروق الناتجة من ذلك ، وهذه البوطاقة ليست شيئا آخر سوى التالارى Talaris او عملة الامبراطورية الجرمانية القديمة . وفى أيام الكخياوين ابراهيم ورضوان كانت البوطاقة تساوى ٨٥ مدينى ، وبفعل تحويل تم فى سك هذه القطعة

النقدية أمر على بك بأن تبلغ قيمتها ٩٠ مدينى ، وحيث لم يشأ الملتزمون أن يتحملوا نتائج ستؤدى الى نقص السعر الاصلى للمدينى فقد أدخلوا العادة التى انتهينا من بيانها . ومنذ على بك تضاعفت عمليات التحويل هذه (فى سلك هذه العملة) حتى أن التالارى أصبح يساوى اليوم من ١٥٥ الى ١٦٠ مدينى ، ومع ذلك فحيث وجد الملتزمون الوسائل التى تعوضهم عن الخسارة الناجمة عن هذا التدهور فى سعر المسكوكات فأنهم لم يغيروا فى شيء هذا الأسلوب فى الدفع .

وقبل أن ينهى الصراف عمليات التحصيل يولى اهتمامه أرض الوسية لكى يتسلم ايجارها اذا كانت مستزرعة أو لكى يحصل عوائدها من الوكيل اذا كانت مستغلة لحساب الملتزم . وينهى الصراف عملياته فى القاهرة حيث يقدم للملتزم أو الى مباشره حسابا عن كل مراحل عمله .

لدينا الآن فكرة محددة ودقيقة عن أصل وطبيعة الضرائب التى تجبى عن الاراضى ، لكن الروتين السقيم الذى اقتضى من الباب العالى أن يحجم عن أى تغيير (فى هذا النظام) قد منعه من زيادة ضريبة الكشوفية والفايظ بالنسب التى كان يتطلبها تغير الأزمان وتغير قيمة المسكوكات ، وقد أساء حكام الولايات والملتزمون الافادة من هذا الاهمال حين فرضوا بأنفسهم مالا يدخل فى اختصاصهم ، ولم يعد الأمر يقتضى إلا أن نبحت فقط فيما ان كانت العدالة تبرر هذه الدخول الجديدة التى قررناها لأنفسهم . وسوف يساعدنا فى حسم هذه المسألة أن نعتقد مقارنة بين الضرائب التى كانت تحصل قديما وتلك التى تحصل حديثا من قرية الأنبوطين :

مدنى	تدفع القرية تحت بند المال الحر المبدئى
٣٦١ر٥٥٨	وتحت بند البرانى القديم
١٥٦ر٠٩٦	وتحت بند البرانى الجديد
١٠٨ر١٩٢	وتحت بند الكشوفية الجديدة
٦٠ر١٩٨	
٣٢٤ر٤٨٦	وهكذا يدفع ممولو القرية اليوم ضرائب مقدارها
٦٨٦ر٠٤٤	وكانوا يدفعون فى عهد سليم وسليمان
٣٦١ر٥٥٨	وهكذا تزيد قيمة ضرائب اليوم بفرق قدره
٣٢٤ر٤٨٦	

ونفحص الآن ما ان كان المبلغ الذى كان يسدد فى السنوات القريبه من فتح مصر على يد سليم يشكل فى الحقيقة قيمة اعلى من قيمة تلك المبالغ التى تحصل اليوم .

بلغت قيمة التالارى الذى قدره على بك فى عام ١١٨٥ من الهجرة (١٧٧٢ م) بنسعين مدينى ، ١٥٠ مدينى عند دخول الفرنسيين مصر . ويمكن ان نتخذ هذا التغير اساسا نقيس بمقتضاه تلك التغيرات او التحويلات التى بناولت القيمة الأصلية للمدينى خلال ٢٧ عاما ، بل ان هذا التغير يفرض حدوث تحويلات سابقة لن نبالغ مطلقا عندما نقدرها على أساس أن التالارى او البوظاقة لم يكن بساوى فى عهد سليمان أكثر من ستين مدينى . ويبرهن لنا هذا التقدير على أنه كانت الـ ٣٦١٥٥٨ مدينى التى كانت تدفع خلال عهده تساوى ٩٠٣٨٩٥ بالقيمة الحالية فان قرية الأنبطين حين تدفع اليوم ٦٨٦٠٤٤ مدينى هى الضرائب المقررة عليها طبقا للبيانات التى لدينا ، فاتها — على هذا الأساس — لم تكن لتدفع فى عهده سوى ٢١٧٨٥١ مدينى (٩) بحساب القيمة الحقيقية للضرائب التى قدرها سليمان .

وعندما نقوم بعمليات تقريب مماثلة بالنسبة لكل قرى مصر فاننا نصل الى نتيجة لا تختلف كثيرا عن تلك التى انتهينا من ايرادها .

وهكذا ، فإذا كانت الأعباء التى تقع على كاهل المولدين قد تقلصت الى تلك التى أوردنا بياننا بها ، فان ماقلناه ماسا بهذه الأعباء الأخيرة يبرهن بالتأكيد أنها زيادات مشروعة ولا ينقصها لكى تصبح كذلك الا تصديق السلطان ، وعلى ذلك فحيث لم تتضمن هذه القائمة مطلقا المصروفات التى يطلق عليها اسم طارئة أو اعيادية ولا تلك التى لم نجدها حتى مدونة فى القائمة المنفصلة التى تحرر خصصا لكل قرية اذ كانت تتم جبايتها على يد العسكر ، ولما كان طغيان البك وجشع الملتزم واحتياجات الحكومة وانتهاكات العربان ، وهذه أمور شبه دائمة ، تصل بهذه الأعباء الى مبلغ يماثل حجم ماتصل اليه الضرائب المقررة ، فسبكون من اليسور لنا أن نتفهم ماسبق أن قلناه عن اعتدال الضرائب المدونة وما بيناه فى نفس

(٩) وهو مايعادل ماتدفعه حاليا تبعا للقيمة الحالية للعملة (المترجم)

الوقت عن الحرمان والشقاء اللذين يستنزفان فى الحقيقة مزارع هذه الأرض ، التى تعد أخصب الأرضى العالم .

ومع كل ماسبق ، فقد لاحظنا ، وهو أمر بالغ الشذوذ لحد لا سبيل الى تفسيره ، كيف يكون الفلاحون اقل احساسا بالسعادة وحسن الحظ حين وجود الدهر عليهم بملتزم عادل ومنصف اذ يرونه ضعيفا واقل مهابة ، وهو مايتناقض مع استجابتهم لتلك الميزة المجافية لكل عقل ، ميزة ان يكون سيدهم رجلا قويا رغم ان الأول كان يعاملهم بنزاهة وانصاف . أن الآخر كان يبتزهم دون رحمة .

٤ — عن مصر العليا

فى مصر العليا ، أى فى ولايات قنا واسنا وجرجا واسيوط ومنفلوط والمنية وفى ثلث ولاية بنى سويف تتغير نظم الادارة بفعل أوضاع تتفق مع نظام الملكية القائم فى هذه المناطق .

وهناك تخلف أرض الأثر والوسية كل عام حيث أن الملتزمين والفلاحين يمتلكون الأرض على المشاع .

وبمجرد ان يسمح انحسار المياه ببذر الأرض ، يصل الى القرية المساح القبطى الذى عينه الملتزم ، فيقيس الاراضى القابلة للزراعة فى حضرة الملتزم وقائمقامه وموظفى الموقع . وتصبح الأرض التى تكون من نصيب الفلاحين لهذا العام هى أرض الأثر ، وتخضع لضرائب تساوى تلك التى يجيبها الملتزمون فى مصر السفلى . أما تلك الاراضى التى تخصص للملتزمين فتشكل أرض الوسية . ويدون فى أحد السجلات مساحات وحالات هذه الاراضى وتلك ، كما تحدد طبيعة الضرائب التى ستقدر عليها . ويعود سبب هذا النوع من التقسيم ومن التملك السنوى الى عدم انتظام او استواء الفيضانات ، والى غرابة ماحدثه ، حين تجعل فى بعض الأحيان أرضا كانت بالغة الجودة قاحلة ، او تجعل أرضا لم تكن تساوى شيئا خصية معطاء .

ويساعد كل من الشاهد والخولى المساح فى أعماله ، ويراعون أن تكون هذه الأعمال منصفة منتظمة وغير متميزة . وتتفق القباب ومهام بقبية

موظفى مكتب القرية بشكل نام مع مثيلاتها فى التنظيم الادارى لوحدات مصر السفلى .

ومهما تكن الاختلافات التى صنعتها العادة فى تسميات الضرائب العقارية التى تجبى فى الصعيد فان كافة فروعها ترتبط اما بالمال الحر واما بالزيادات التى الحقت بها تحت اسماء كشوفية وبرانى ، وهكذا فان الضرائب المقررة هناك ليست سوى التسميات المستخدمة للتعبير عن تطبيق هذه الضرائب على هذا النوع أو ذاك من المحصولات ، فيطلق اسم نبارى على الضريبة المفروضة على الاراضى التى تزرع بالذرة أو الأعلاف عندما تروى هذه الاراضى بشكل صناعى أى بواسطة الشادوف، ويطلق على نفس هذه المحاصيل اسم بعلى اذا ما كان الفيض الطبيعى قد وفر الرى الطبيعى لها ، وفى حالتنا هذه فان الفلاح الذى قد يقوم فى بعض الاحيان بحصدة ثانية يصبح ملزما بدفع الانجر (Ongre) أما تلك الاراضى التى تزرع بالقمح والشعير والفلو أو بغلال اخرى فتخضع لضريبة البياضى ، وذلك بخلاف ضريبة الشتوى التى يتم سدادها بمجرد أن تبدأ البذور فى الانبات .

ويدفع الفلاحون نقدا ضرائب النبارى والبعلى والانجر والشتوى ، لكنهم يسددون ضرائب البياضى عينا فى شكل حبوب . وفى هذه الأيام ، تقدر الغلال اللازمة لسداد هذه الضريبة بـ ٤/٥ اجمالى الضرائب المقررة ، وهو الامر الذى يبرهن على أن منتجات هذا الاقليم تتكون بصفة أساسية من الحبوب .

وفى حين تشكل المبالغ المحصلة عن الاراضى التى بذرت بالذرة والأعلاف ومحاصيل الشتوى المال الجرنقدى فان حصيلة البياضى تشكل المال الحر العيى (١) . أما الغلال التى تسدد بها هذه الضريبة الأخيرة

(١) يتراوح المال الحر المقدر على فدان واحد من أية درجة مزروع بالذرة أو الأعلاف من ١٠٠ الى ٢٥٠ مدينى بالنسبة لزراعات النبارى والبعلى والانجر ، أما المال الحر المقدر على فدان من أى نوع بالمثل (أى دون تفرقة بين درجات جودة الأرض) تم بذره بالحبوب فيتراوح بين ٢٠ الى ٤٠ مدينى عن الشتوى ومن ٢ الى ٤ ارادب من القمح بمكيال القاهرة عن البياضى .

فنتحول دوما الى أرادب من الشعير بنسب متفق عليها لتثبت القيمة المقارنة للشعير وللحبوب الأخرى : فأردب من القمح يماثل أردبا ونصف الأردب من الشعير ، وأردب وربيع الأردب من الشعير يعادل أردبا واحدا من الفول أو العدس أو البسلة وهكذا .

وقد سبق لنا القول ان الميرى والكشوفية لم يكونا يختلفان قط فى مصر السفلى ، وهو نفس ما يحدث فى الصعيد حيث تحصل هذه الضرائب كما راينا للتو ، نقدا وعينا ، وفوق ذلك فان الملتزمين هناك ملزمون بتحصيلها بنفس القيم التى حددتها اللوائح وبالطريقة التى يسدد بها الفلاحون المال الحر لهم : وهكذا فعلى الرغم من أن نوع زراعة الأرض يحدد فى مصر العليا طبيعة الضريبة التى يحمل بها هؤلاء الفلاحون ، فقد كان الأمر لا يختلف بالنسبة للسلطان ولحكام الولايات سواء زرعت الأرض بالذرة والأعلاف أو زرعت بالقمح والفول والشعير الخ .

ويطلق على القبطى الجابى للضرائب فى الصعيد ، وهو الذى يسمى بالصراف فى مصر السفلى ، اسم العامل ، وهنا كذلك يحل سجل المساحة محل سجل الشاهد فى قرى مصر الدنيا ، فيستخدم أساسا لتوزيع الضريبة أما النسبة التى بحب سدادها نقدا فلا بد أن تسدد قبل حصد المحاصيل ، وأما تلك التى تحصل عينا فتتم جبايتها بمجرد أن يتم الحصاد .

وينبغى أن تنقل الغلال الى مخزن يقع على شواطئ النيل مهما يكن موقع أملاك الممولين ، ومن المسموح أن تكون الحبوب مخلوطة بمقدار السدس بالأجسام الغريبة أو الطين أو القش أو بأية مواد أخرى ، فاذا تجاوزت هذه الأشياء عديمة القيمة نسبة السدس هذه فان الفلاحين ملزمون بتعويض ملتزميهم .

وتشتمل أملاك الملتزمين فى صعيد مصر على عدة نجوع مأهولة تشكل فى مجموعها وحدة إدارية واحدة تصل أهميتها الى حد أن الاقطاعيين (الملتزمين) الذين لا يقيمون بأراضيهم يضطرون لأن يعهدوا بها الى كاشف يتبعه عدد من القائمات يقيمون بالكفور أو النجوع التابعة للقرية الأساسية . وعندما يجد العامل (الصراف) نفسه فى حالة لا تمكنه من الوفاء بمتطلبات العمل الموكل اليه فانه يعهد بجزء من مهامه الى مرعوسين له يسمون قوباض Qoubâd يحصل هو منهم على جباياتهم وينظم لهم حساباتهم بحيث تندرج حركتهم ضمن حركته .

(وصف مصر - م ٧)

ولم يكن فلاحو مصر العليا على الإطلاق قنيانا (قنين) للأرض مثل حال فلاحى مصر السفلى ، فلم يكن الملتزم ليستطيع أن يرغمهم على البقاء وعلى العمل فى أرضه ، حيث لم يكن هؤلاء ليقبلوا فلاحا الأرض — وبالتالي يصبحون ممولين للضرائب — إلا بموجب عقد اختياري يقتصر على بذر وحصد زراعات عام واحد .

وقبل سيطره على بك كان شيخ العرب همام يحكم ولايات الصعيد باسم باشا القاهرة ، ولم تكن القوات العثمانية لتتوغل فى هذه البلاد مطلقا ، بل كان من النادر أن يظهر الأتراك فى الثرى التى كانوا هم ملتزمين لها . وكانت هذه الاحتياطات تهدف إلى إقامة حكومة تقى بلاده من مظالم الأجنبي وذلك بقيامه بتحصيل المجرى المستحق للباب المالى بكل دقة ويحرصه على ألا يتسبب مشايخ البلاد فى حدوث مايمكن أن يكون موضوع شكوى سادتهم (الملتزمين) ، لكن القضاء على هذا الحاكم العادل قد أسلم الصعيد إلى نفس طغاة مناطق مصر الأخرى : ومع ذلك فإن الضرائب والابتزازات هناك لم تتزايد بنفس معدلها (فى مصر السفلى) أما بسبب الإدارة والمراعاة اللتين لابد من الحرص على توفيرهما مع فلاحين قادرين على دمار سيدهم وذلك بهجرهم أرضه ، وأما ، وهو أكثر الأسباب احتمالا ، لأن التدهور والخفض المستمر فى قيمة المسكوكات النقدية لم تكن تبرر مطلقا زيادة هذه الضرائب هناك حيث تظل للضرائب العينية على الدوام نفس قيمتها . وقد كان فلاحو مصر العليا يعفون من رسوم : رفع المظالم ، وفردة التحرير وكذلك من معظم العادات الداخلة ضمن ما يطلق عليه اسم البرانى الجديد .

وكانت الحرية التى يتمتعون بها ، ووقت الفراغ الذى تتيحه لهم زراعة أقل مشقة تتوقف أعمالها طيلة ستة أشهر ابتداء من الحصاد حتى فيض المياه ، كان كل ذلك يسمح لهم بالانخراط فى العديد من ضروب الصناعة : فهم بصنعون الأقمشة والفخاريات والحبال والحصار . الخ . كما أنهم يمدون القاهرة بالكثير من العمال والخدم وبخاصة بوابو الوكالات الموجودة بهذه العاصمة ، ويتوجه هؤلاء عادة إلى قراهم خلال فصل الحصاد ثم يعودون إلى القاهرة بعد انتهاء مشاركتهم فى الأعمال المطلوبة .

ويدين شيوخ الصعيد لبعدهم عن مقر الحكومة وللنفوذ الذى اكتسبوه

تحت إدارة الشيخ همام بالاختصاصات (النى فى حوزتهم) وهى أبعد مدى عن تلك التى فى حوزة اخونهم المستقرين فى مصر السفلى ، كما أن الملتزمين هناك متساهلون غير مدققين فى التمسك بامتيازاتهم ، كما أنهم يعمفون الشيوخ من سداد الزبادات التى طرات على المال الحر ويمنحونهم امتيازات أخرى اذ كان من المهم بالنسبة لهم أن يربطوا الى مصالحهم رجالا ذوى ارادة ولهم سطوة على فلاحهم .

وسوف يوضح لنا الجدول الذى نورده فيما يلى حرقبا الضرائب النقدية والعينية التى تدفعها طهطا التابعة لولاية اسيوط خلال عام ١٢١٣ من الهجرة ، العام السابع من قيام جمهوريتنا (١٧٩٨) ، وسوف ينطبق مع كل ما انتهينا من قوله ماسا بأسلوب الادارة ووسائل جباية الضرائب المقررة فى الصعيد .

بيان بالضرائب المقررة على اراضى طهطا بولاية سيوط عن ع ١٢١٣ من الهجرة

طهطا : قرية رئيسة

المدمر - العتامنة - الواقات - كوم العرب
الهلة - الساحل - القبيصات - الحومدية (※) -
الطليمات - نزة - فزارة - جهينة - القرنة -
الخضر - عنييس - اولاد اسماعيل - الحرافشة -
بنى عمار - كوم اشقاو .

مساحة الأراضى المحملة بالضرائب مع بيان توزيعها :

ق	ف	النبارى	مدينى	مدينى
١٩	٦	زرعت لأول مرة بمحصول النيلة		
		بواقع الفدان ٣٦٢ مدينى	٢٤٥٩	
٩	٤	زرعت لثانى مرة بمحصول النيلة		

(※) هكذا فى النص الفرنسى el Houmdyeh وان كان الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن يوردها فى كتابه الريف المصرى فى القرن الثامن عشر وكذلك الاستاذ محمد رمزى فى قاموسه الجغرافى باسم الحريدية والتشابه بين الاسمين ممكن فى الكتابة بخط القزعة الذى كان متبعاً فى ذلك الوقت (المترجم) .

ق	ف	مدينى	مدينى
		٧٩٢	٠
١	١٨٢١	بواقع الفدان ١٨١ مدينى	٠
		زرت بالذرة والأعلاف بواقع	
		٢١١٣١٥	٠
١٢	٢١٤	١١٠ مدينى	٠
		زرت بالذرة والأعلاف بواقع	
		١٢٥٩٥	٠
١٧ (١)	٢٠٤٦	١١٠ مدينى	٠
		٢٢٧١٦١	

الشتوى

١٦	٩٤٢	المدمر
١٨	٣٧١	العتامنة
١٨	٦٢	الواقات
٠٨	١٧٣٢	الهلة والساحل
١٢	٣١٠٩	بواقع الفدان ٢٢١/٤ مدينى
١٤	٣٤٦	طهطا
٠٠	١٥٠	القيصيات
٠٠	١٢٠	الحومدية
٠٠	٥٠٠	الطليجات
٠٠	٤٢٠	نزة
٠٠	٢٥٠	فزارة
٠٠	١٤٠٠	جهينة
٠٠	١١٠	القرنة
٠٠	١٢٠	الخضر
٠٠	٥٧٠	عنييس
٠٠	٢٥٠	أولاد اسماعيل
٠٠	١٢٠	الحرافشة
٠٠	١٣٥	بنى عمار
١٤	٤٤٩١	بواقع ٢٢١/٤ م/ف (٩٩٩٣٨)
٠٢	٧٦٠١	
١٩	٩٦٤٧	تدفع الضرائب نقدا .
		١٢٥ فداناً تابعة لكوم العرب وقد خربت عن آخرها .
٠٨	٥	خصومات سابقة .
٠٨	١٣٠	
٠٣	٩٧٧٨	

الاجمالى المكون للمال الحر المبدئى

(١) مقام هذه الكسور هو ٢٤ (ومعروف أن الفدان يساوى ٢٤ قيراطاً) .
 (٢) لا يغيب عن بالنا أن هذا الاجمالى يختلف من عام لآخر تبعاً لنوع المحاصيل التى تبذر بها الأرض .

يخصم من ذلك :

انفاقات محلية ومصرفات ادارية دفعت الى مستحقين :
 خصومات لمشايخ القرى عن الاراضى التى يزرعونها بالمحصولات
 النبارى ومساحتها ٨ ق ٥٤ ف بواقع ١١٠ م/ف ٩٧٧ ر
 خصومات للمذكورين عن الاراضى التى يزرعونها بالحبوب :
 ٢ ق ٧٩٩ ف بواقع ٢٢١ م/ف ١٧٦٨٠ ر
 ٦ ق ٦٤٢ ف بواقع ٢٢١ م/ف ١٤٢٩٠ ر

٣١٩٧٠

للتجارين الذين يقومون باصلاح أدوات الرى ٤٤٠

لجامع أبو دومه فى طهطا لشراء الزيت والحصر ٠١١٠ ر

للمشايخ : محمد ٠٢٢٠ ر

عبد الله ٠١١٠ ر

سليمان النصيرى ٠٨٠٧ ر

عمر ٠٥٠٠ ر

موسى عبد الكريم ٠٢٢٠ ر

عبد الرحمن العربى ٠٣٩٧ ر

عادة لثيوخ من الصوامعة ٦٠٠٠ ر

عادة لثيوخ من الهلة ١٥٠٠ ر

عادة لثيوخ من المدمر ١٧٠٠ ر

للتشيخ ابراهيم العاجز ٨٥

لحراس المرفأ الذى ترسو عنده المراكب ٠٣٠٠ ر

للتشيخ بكرى الزواقى ١٠٠٠ ر

الى أبناء وهيلة (※) ٠٨٠٠ ر

٥٢١٣٦

٣٤٣٧٦١

الباقى

ويوزع هذا الباقى بمعرفة الملتزم على النحو الآتى :

— الى السلطان : ضريبة الميرى، وكان المطلوب هو

٤٣٩٥١٤ مدينى ولكن لا يخصص من ذلك هنا الا ٠٩٧ ر ٢١٢

فحيث أن حصيلة المال الحر لم تتجاوز ٣٤٣٧٦١

فانه لا يتبقى ما يزيد عن ذلك بعد سداد

الكشوفية التى سيأتى ببيانها . وفى حالتنا هذه

(※) أو الوهلة أو الوهيلة ونعندر لصعوبة التحقيق . (المترجم) .

لا يوجد أى فايز ويضطر الملتزم لأن يستقطع من
حصيلة البرانى مايكفى لسداد الميرى المقرر
(أنظر بعده) .

— الى حاكم الولاية عن ضريبة الكشوفية :

١٣١٦٦٤	{	٨٦٧٨٨	• مصاريف الولاية
		٦٠٠٠	• حق الطريق
		٣٨٨٧٦	• الكلفة

٣٤٣٧٦١

المبلغ الاجمالى

مضاف قديم او برانى قديم

مال المغارم المسمى مال تثنوى ومال صيفى :

١٩٢٧٤٧	{	٦٧٠٨٦	الجهة الشمالية
		١٢٥٦٦١	الجهة الجنوبية
١٣٣١٦			مال المراعى
١٩٦٦			مال الحروف
١٠٤١٢			حملة الكوبيات (الصرافين)
٣٧٠٠			غرامة العشر (ضريبة للاحسنان)
٥٤٠٥			عادات قديمة مستحقة على قرية المدمر
١١٠٠			غرامة العشر على الخرفان
٠٢١٠			خرفان الموسم
٠٥٤٣			عادات (او عوائد) على المقاييس
٢٥٠٠			عادات على السوق المقام كل سبت فى الهلة (*)
٠٢٤٠			عادات متنوعة
٤٤٠٠			من قرية نزة
٠٤٠٠			من ابراهيم الضيعة
٢٠٤٧٨			كلفة الملتزم (وهى عادة عينية تحولت الى نقدية)
١٠٠٠٠			عادة حوالة الحوالات
٢٠٤٤٠			ثمن نقدى لعجول قررتها العادة
			القيمة النقدية للضرائب المستحقة على كوم
٤٢٥٠٠			العرب نظرا لخرابها **
٨٥٠٠٠			عادات على سوق طهطا

٥٠٥٣٥٧

الاجمالى

(*) نجد على العامرس الجسرامى شريه باسم الحلة ولعلها هى نفس
الفريه لىكن الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن يورد من يسمون عربان هلة
لذلك آثرت ترك الاسم على النحو الذى ورد به . (المترجم) .

(**) أى ان هذه الضرائب بوزع على بقية القرى بسبب خراب هذه
القرية (المترجم) .

ويخصم من ذلك ما خفض عن أو دفع الى متفرقين :

١٥٦٠ر	حصة كوم اشقاو التى لم تعد تابعة لالتزام طهطا
٠ر٩٠٥	حصة كوم العرب التى خربت
٦ر٢٥٠	حصة كوم اشقاو عن حوالة الحوالات
٢ر٨٠٣	حصة كوم العرب التى خربت
١ر٢٧٧	حصة كوم اشقاو عن اجمالى ثمن العجول
٤٢٥	حصة كوم العرب
٧٣ر٣٧٥	مخصصات للعربان
١٠ر٨٥٠	عادات لمتفرقين من عادة حوالة الحوالات
٢٩ر٨٥١	تنزيل قديم
٤٤ر٤٣٤	أداة قائمقام طهطا

اجمالى الخصومات

١٧٣ر٧٣٠

وبذلك يكون صافى حصيلة المضاف القديم هو (*) ٣٣١ر٦٢٧

وبذلك يكون صافى اجمالى الضرائب المقررة هو : ٦٧٥ر٣٨٨

مضاف مستجد ، او برانى جديد

عادات السردارية عن زراعات النبارى بواقع

١٩ر٨٩٧	١٠/فدان
٣٨٢ر٤٧٤	على مختلف القرى :
٣٠٣ر٠٦٥	هدايا للملتزم من زبد وخلافه
٢٩٦ر٠٠٠	مبالغ فرضت على هذه القرى كضريبة فردة
١ر٠٠١ر٤٣٦	اجمالى المضاف المستجد

ويخصم من ذلك مادمع لمستحقين :

٢٦٩ر٨٤٧	هدايا معتادة لمتفرقين
	كسوة (هدية من الملابس لكبار
	الشيوخ عندما يجلبون العادات
١٠٠ر٠٠٠	(للملتزم)
٣٢ر٦٦٧	كسوة لصفار المشايخ (شرحه)

اجمالى الخصومات ٤٠٢ر٥١٤

٥٩٨ر٩٢٢

اجمالى صافى المضاف المستجد

وبذلك يبلغ اجمالى الضرائب المقررة على هذه القرية ١ر٢٧٤ر٣١٠

(*) اضطررت لادخال تعديلات طفيفة فى تنسيق هذه الجداول زيادة
فى الايضاح (المترجم) .

ويتم التوزيع الجديد لهذا المبلغ على النحو الآتى :

٤٣٩٥١٤	الى السلطان : ضريبة المجرى
١٣١٦٦٤	الى حاكم الولاية : ضريبة الكشوفية
	الى الملتزم { البرانى القديم ٣٣١٦٢٧
	{ البرانى الجديد ٥٩٨٩٢٢
٩٣٠٥٤٩	

ويخصم من هذه الحصيلة مادفعه الملتزم من
ماله لاستكمال المجرى ويبلغ
فيكون صافى حصيلة الملتزم
فمنحصل على نفس المبلغ المطابق

٢٢٧٤١٧
٧٠٣١٣٢
١٢٧٤٣١٠

اتفاقات محلية وخلافها تدفع لمستحقين :

٥٢١٣٦	خصما من حصيلة المال الحر
١٧٣٧٣٠	خصما من البرانى القديم
٤٠٢٥١٤	خصما من البرانى الجديد
(١) ٦٢٨٣٨٠	ويبلغ اجمالى هذه الانفاقات
	وبذلك يبلغ اجمالى عام الضرائب النقدية التى تسدها
١٩٠٢٦٩٠	هذه القرية

جدول بالضرائب العينية (المسددة فى شكل حبوب)

والمقررة على نفس هذه القرية

٢	ق	٧٦٠١	ف
			تخضع لضريبة التشتوى وتدخل هذه ضمن حساب الضرائب
			النقدية ، لكنها تسدد عادة ضريبة البياض

ويخصم من هذه المساحة :

٢٢	١١٨	ق	ف
			٧٠ ٠٠ يزرعها الملتزم لماثييته وخبوله
			٤٨ ٢٢ احترقت محاصيلها خلال عملية عسكرية دارت بين
			المماليك والفرسين

٤	٧٤٨٢	باقى المساحة وتسدد الضريبة بواقع ٢١/٤
		أردب من القمح لكل فدان ٢١(*) ١٦٨٣٤ أردبا من القمح

(١) ونرى من ذلك أن الانفاقات تبلغ ٤٩ ، جملة الضرائب التى
تسدها هذه القرية .

(*) سبق أن أوضح المؤلف أن مقام الكسور هو على الدوام ٢٤ .

زيادات فى المال الحر

ق	ف	
٦	٢٤٨	٦ ٢٩٨ رزقة هى برك المدمر والهلة ٥٠ نقص قديم
		وهذه المساحة تسدد الضريبة بواقع
١٢	٤٩٦	٢ أردب قمح / فدان
٧٦		رزقة بركة الأسدارية بواقع أردب
١٦	٥٠	١٦ / فدان { ١٢٦ ١٦ ٧٦ نقص قديم
		ضرائب على أراضى العمار والفرق
١٢	٤٤٢	١٢ ٤٤٥ فى المدمر والواقات
		٣ نقص قديم
٨	١١٣	٨ عن رزقة خميس فى الهلة
٨	٣٣	٨ أراض غائبة (لم يتيسر تحديدها) فى الهلة
١٦	٦٦	١٦ بواقع ٢ أردب / ف
٠٠	٧٩	٠٠ رزقة القلايح فى جهينة بواقع الفدان
		١٦ ١ أردب
٨	١٣٠١	٨ اجمالى الزيادات
٥	١٨١٣٦	٥ اجمالى المال الحر بالأردب بمكيال البلد
		فرق مكيال باحتساب زيادة قدرها ٨٠٪
٢١	١٤٥٠٨	٢١ كى يتم التقدير تبعاً لمكيال القاهرة
		اجمالى عام للمال الحر المسدد بالحبوب طبقاً لمكيال
٢	٣٢٦٤٥	٢ القاهرة (قمحا)

ويخصم من ذلك اتفاقات محلية ومصروفات ادارية دفعت الى مستحقين
تخفيضات لصالح الشيوخ كعادات لهم

ق	ف	
٢	٧٩٩	٢ ٨ ق ١٤٤١ ف زرع بمعرشهم
٦	٦٤٢	٦ بواقع ٢١ / ٢ أردب لكل فدان ٣٢٤٣
٤	٥٥	٤ لشيوخ فى قرى مخلقة ١٣ ٢٢١٩
١٢	٧	١٢ للشيوخ عثمان
٠٠	١٠	٠٠ » عمر طه
٠٠	١٠	٠٠ » محمد النصيرى
٠٠	٢٠	٠٠ » أحمد ابو السعود
٠٠	١٥	٠٠ » ابو زيد النحاس

« تابع »

١٠	المشيع احمد عمر
٥٠	» عبد الفتاح الحاجرى
٣٠ ٠٠	» مسعود
٧ ١١	» محمد الجابى
١٠ ٠٠	» غانم
٢٠ ٠٠	» محمد
٣٠ ٠٠	» القشير
	عادات مخصصة منذ زمن قديم للاشراف
	والعلماء ٢١١/٢ ٨٠٧
	عادات المطمسين (العمال المشرفين على
	الجسور) ٣١ ٠٠
٢١ ٠٠	لحراس الجسور
١٠٥	ايجارات مخازن الحبوب
	عادات قائم مقام طهطا
	للقائم بتسلم الحبوب فى المخازن
	٣ ٨٤
	٢ ٤٣
١١ ٦٧٩ ٩١/٢	١٥١/٢ ٦٤٨٨
	وتزيد هذه عند تحويلها الى مكيال
	القاهرة بواقع زيادة قدرها ٨٠٪
	١٨ ٥١٩٠
١٢٠٢٠ ١٢١/٢	اجمالى الخصومات
أردب قمح	
٢٠٦٢٤ ١٣١/٢	وبذلك يكون صافى حصيلة المال الحر
أردب قمح	
٣٠٩٣٦ ٢٠١/٤	وباتخاذ الشعير اساسا للتعامل فان هذه الكمية
	تعاادل باعبار أن أردب القمح = ١١/٢ اردبا من الشعير ٢٠١/٤
	وهذه توزع بمعرفة المنتزم على النحو الآتى :
٨٠٧٣	الى السلطان : ضريبة الميرى
٤٥٢٠	الى حاكم الولاية : كمصروفات للولاية وعليق ١٣
١٨٨ ٨١/٢	زيادة فى المكيال بواقع ٤١/٦ لـ
	كلفة اثناء جولاته :
٦٠	لطمامه (بالقمح)
٨	للبرغل
٨	للعددس
١٠٠	لطمام الخيول
١٧٦	اجمالى الكلفة
٣٤	الفرق عند تحويله الى شعير
٢١٠	وبذلك يكون الاجمالى فقط بالشعير
٤٩١٨ ٢١٣/٤	وهكذا يكون اجمالى مايخص حاكم الولاية
١٧٩٤٤ ٢٢١/٢	الى المنتزم وهو الفايز الخاص به
٣٠٩٣٦ ٢٠١/٤	وهى نفس الكمية المطابقة
أردبا من الشعير بمكيال القاهرة	

برانى يحصل لصالح الكاشف ويرسله اليه الملتزم
مقابل حكم القرية وتوابعها :

جراية السردارية : عادات لطعام السردار ولطعام خيوله خلال
مدة اقامة تبليغ
تخصم منها حصة كوم اشقاو التى لم تعد تابعة لهذه
القرية وتبلغ

٢٧ ليلة

١٣/٤ ليلة

فيكون الباقي بعد ذلك ٢٥١/٤ ليلة توزع كما يلى :

٧ ليالى فى الهلة
٥١/٤ ليالى فى طهطا
١٢ ليلة فى جهينة
عادات على قرى مختلفة
عادات على كىالى الحبوب
عادات على الرزق الآتية :

٢٥١/٤ ليلة بواقع الليلة ١٩١/٤ أردبا = ٢ ٤٨٦
٢٩٠
٣٠

ف ف

رزقة العلقية ومساحتها ١٨٤ بواقع الفدان
رزقة الربوة ومساحتها ٥٠ ١١/٢ أردب

٢٥١

١٢١٧ ٢

١٢٩٣ ١٤

٢٩١٠ ١٦

الزيادة مقابل الفرق بين المكيال ومكيال القاهرة

اجمالى برانى الكاشف

وباتخاذ الشعير أساسا للتعامل فان هذه الكمية تعادل

باعتبار أن أردب القمح = ١١/٢ أردبا من الشعير

٤٣٦٦

يخصم منها مادفع لمستحقين :

حصة كوم العرب ، وهى قرية خربة خصما من غذاء

الكاشف وخبوله (بالقمح) ١٠ ١١ بمكيال البلاد

مخصصات لحساب المشايخ وتسمى هبة المشايخ وتؤخذ

خصما من حصته

هبات لمنفرقين فى قرية عنييس

الاجمالى

يضاف اليها الفرق بين مكيال البلاد

ومكيال القاهرة بواقع ٨٠٪

الاجمالى بمكيال القاهرة

وباعتبار أن أردب القمح يساوى ١١/٢ أردبا من الشعير

فان هذه الكمية تساوى بأردب الشعير

وبذلك يكون اجمالى الضرائب العينية التى تسدها

هذه القرية

٢٠١/٤ ٣٣١٣٢

أردبا من الشعير

٢١٧٠

ويتم التوزيع الجديد لهذه الكمية على النحو التالي :

الى السلطان : ضريبة الميرى مقدرة بأرأدب الشعير	٨ر٠٧٣
مكيال القاهرة	
الى حاكم الولاية : ضريبة الكشوفية	٢١١/٢ ٤٩١٨
الى الملتزم : الفايط (او الفايط)	٢٢٣/٤ ١٧٩٤٤
الى الكاشف : البرانى الخاص به مقابل حكم القرية	٢ر١٩٦
وهى نفس الكمية المطابقة	٢٠١/٤ ٣٣ر١٣٢

مصرفات محلية وخلافها دفعت لمستحقين :

على نفقة المال الحر ، قمح ١٢١/٢ ١٢ر٠٢٠	أردبا
(عليق) وتنساوى (بالشعير)	١٩٣/٤ ١٨ر٠٣٠
على نفقة البرانى	٢ر١٧٠ ١٩٣/٤ ٢٠ر٢٠٠ (١)
اجمالى كمية الحبوب التى دفعتها هذه القرية	
بأرأدب الشعير	١٦ ٥٣ر٣٣٣

مقدرا بأرأدب
الشعير مكيال
القاهرة

يبلغ الميرى من الفلال المحصلة من مصر العليا	٣٦٥ر٠٧٣
وبسبب نقص المعلومات الكافية فنحن لانستطيع أن نبين هنا على وجه الدقة حصيلة الفروع الأخرى من الضريبة ، فاذا ما قدرناها طبقا للنسبة القائمة بين الميرى النقدي الذى يبلغ ١٢ر١٥٨ر٦٧ مدينى والميرى من الفلال فسوف نقدر :	
الكشوفية القديمة والجديدة والتى تبلغ حصيلتهما النقدية	٩ر٢٧٠ر٦٠٢ مدينى بـ
٢٧٨ر٣٦١	
الفايط والبرانى القديم والجديد والتى تبلغ حصيلتهما نقدا	٣٩ر٥٣٩ر١٨٥ مدينى بـ
١ر١٨٧ر٢١٣	
وبذلك يصل الاجمالى ، غير شامل للانفاقات المحلية التى تخصم مباشرة من حصيلة القرى لتتفق مباشرة فى الأغراض المخصصة لها ، الى	١ر٨٣٠ر٦٤٧

(١) تعد هذه الترية واحدة من القرى التى تبلغ المصروفات المحلية بها حد الاسراف ، اذ نلاحظ كيف أنها تبلغ ٦١٪ (من الحصيلة) .

جدول باستخدامات الميرى المحصل فى شكل حبوب

المجموع لأرانب الشعير	شريعة من الشعير = ١٥ أردبا	شريعة = ١٢ أردبا من القمح و ١٨ أردبا من الشعير	
١٣,٩٢٣	٦٥١	٢٣١	الى الباشا الى الأوجاقات
٢٠,٣٦ ١/٢٤	٧١	١٢ ١/٢٤	الى خمس من هذه الفرق العسكرية الى نفس هذه الفرق نظير الذهب لاستقبال المحمل
٤٣٥	١٧	١٠	الى كيوخيات (كيوخيا) هذه الفرق الخمس الى أوجاقات تفكجيان ، جمولييان ، شراكسة
٤٨٠ ١٨	٢١	٩	الى الـ ٧٤ شورجى بالأوجاقات
٣٠,٢٦٠	٢,٠١٧	٨ —	الى حاميات القلاع (أو الطوابى) الى حراس القلاع على طريق القاهرة — مكة
٢,٤٤٢	٧٤	٧٤	الى البكوات :
١٠,٨٢٤	٣١٩	٣٣٥ ١٢	الى أمير الحج للتزود بالمؤن أثناء الطريق إلى دفتر دار البك إلى فرق البكوات
١٠٠٤٤	٣١٩	٥٨	الى البكوات القباطنة الثلاثة للسويس والاسكندرية ودمياط والى قائد رشيد الى قائد السويس
١٢,٩٤٤	٤٧٣	٢٠ ٣٢٤ ٦	الى قاضى القاهرة
١٢٣٩ ٦	٣٣	١٠ ٤١	الى أفندية الديوان
١٥٩٦٠	٦٠٨	٣٨٠	الى خدم الديوان
٢,٣٢٢	٦٠٨	١٢٩	الى كتبة سجلات القل
٢٨٤٠	٣٢	٢٠	الى صناع البارود اللازم للحكومة لطعام الثيران المستخدمة فى مجرى العيون بمصر العتيقة
٦١٢	١٦	٢٠ ١٦	الى المؤسسات الخيرية الآتى بيانها :
٢,٧٧٤ ٦	١٠٥ ١٨	٦٦	الى المسجد الكبير المسمى بالجامع الأزهر الى العميان ومرضى المارستان
٥٢٢	١٠٥ ١٨	٢٩	الى المفاربة وطلاب آخرين يدرسون بجامعة الأزهر
٢٥٤	١٠٥ ١٨	١٣	الى موظفى وخدم الجامع المسمى بالإمام الشافعى
٦١٢	٣٠	٩	الى الأوقاف الاسلامية بمصر
٤,٦٤٢ ١٢	٣٠٩ ١٢	—	عادات لعائلى البكرى والسادات وغيرهما
١٥٤,٣٣٩ ٤			

المجموع بأرهاب الشعير	شريحة من الشعير = ١٥ أردبا	شريحة = ١٢ أردبا من القمح أو ١٨ أردبا من الشعير	
١٥٧ ١٢	١٠ ١٢	—	أوقاف متفرقة لصالح مشايخ القاهرة
٥٠٧ ١٨	٣ ٦	٢٥ ١٢	وقف إبراهيم باشا لصالح جامع أثر النبي
٩٣ ٣	— ٥	٥	وقف اسماعيل باشا لصالح : قارئ القرآن بالقلعة
٢٢٥	—	١٢ ١٢	المفتين العلماء الأربعة
٦٤,٠٥٣	—	٣,٥٥٨ ١٢	رساليات الى مكة والمدينة : الى شريف وخدم الحرمين بمكة والمدينة
٨٦٤	—	٤٨	الى قضاة هاتين المدينتين
١,٣٥٩	—	٧٥ ١٢	الى بحارة المراكب التي تنقل الفلال الى مكة
٣٩,٣٢٦ ٢٣	—	—	نثریات يحملها البكوات كنققات للإشراف على التحصيل
٧٣,٦٣٥	إجمالي مطابق لحصيلة الميرى من الفلال		

وتدين الاراضى القابلة للزراعة فى مصر بوجودها لفيضانات النيل، فلم تروها مياه النيل لابتلعها الرمال . وحيث لا تسقط الأمطار مطلقا فى هذه البلاد فان درجة فيضان النيل تعد الأساس الأوحد لقياس الأعمال والحاصل ، وبشكل مبدئى ، فان الضريبة لا تكون واجبة الأداء على الفلاحين اذا لم تغمر الفيضانات الأرض ، ومع ذلك ، فحدث بكفى أن تفتح الحكومة الخليج حتى يصبح الفيضان كافيا بشكل شرعى وكافيا لى تتقرر الضريبة . فانه يترتب على ذلك أن عدم حدوث فيضان كاف لم يكن ليعفى الأرض فى كل الأحوال من الضرائب . ولم يكن الباب العالى يؤجل مطلقا تحصيل الميرى . كذلك قلما كانت الحكومة تنقص من قيمة ضريبة الكشوفية . ومع ذلك فعندما يكون الفيضان مدمرا أو زائدا عن الحد مما يؤدى لان تصبح الحاصل ضعيفة أو سيئة فان على الملتزم أن يوقف تحصيل الفايز ، ولكنه كان يفرض جبايته فى العام التالى بالإضافة الى الفايز المقرر هذا العام . ولم تكن هناك أية لوائح ترغم البكوات أو الملتزمين على دفع الضرائب عندما تسوء أحوال الحاصل ، لكن

مشاعرهم الانسانية او بالأحرى كان عجز مهولهم فى معظم الأحيان ، كان يحدد قيمة التخفيضات التى كانوا يقررونها فى بعض الأحيان للفلاحين .

خامسا : عن الأوقاف

سبق لنا أن شرحنا المقصود بكلمة أوقاف ، ويبقى علينا الآن أن نوضح ماتشتمل عليه دخولها :

العوائد النقدية من الأوقاف السلطانية :

على سبيل التذكرة	{	دشيشة الكبرى	١٩٠٧٧٦٥ ر مدينى
		المحمدية	١٢٠٦٢٧٤ ر
		الاحمدية	٥٨١٠٣٣ ر
		المرادية	٩٦٩٨٥٧ ر
		الحرمين	٦٣٨٦٧٠ ر

المرى المقرر على ناظر وقف دشيشة الكبرى ٥٠٠٠٠ مدينى

المبرى المقرر على الأوقاف الخصوصية :

وقف سليمان باشا	١٠٢٠٠٠
» السلطان الفورى	٣٧٥٠٠
» السلطان الاشرف	٢٥٠٠٠
» السلطان بيبرس	٢٠٠٠٠
» الوزير خاير باى	٣٠٠٠٠
» قايتباى	٣٠٠٠٠
» عيد الله	١٥٠٠٠
» الوزير حياض باى	١٢٥٠٠

وكانت هذه الأوقاف الثمانية تسدد فيما مضى

علاوة على ذلك مبلغا قدره ١٢٠٠٠٠ ر
وهو مايسدد الباشا الآن بالنيابة عنها لأن أحد

اسلافه قد أعفاها منه . وبذلك يبلغ اجمالى عوائدها ٣٩٢٠١٧٨ ر

اجمالى العوائد النقدية للأوقاف بنوعيتها : ٤٤٢٠١٧٨ ر

وتعادل بالجنيهات التوربة ١٥٧٩٢ ر ١٥ جت

وبالفرنكات ١١٠٠٠ ١٥٧٩٧ ر ف

وقد كان السلطان محمد بك شراكسة ، حاكم مصر الأسبق ، قد أسس وقف دثيشة الكبرى واحترم تصرفه هذا السلطان سليم ، حتى أن ملتزمى الأراضى التى عينها هذا السلطان لايزالون يدفعون حتى اليوم الضرائب المستحقة على هذا الوقف الى ناظره ، وعلى التوالى انشأ السلاطين محمد وأحمد ومراد ، خلفاء سليم الذين اعتلوا عرش القسطنطينية من بعده ، الأوقاف التى تحمل أسماءهم بدون أن ينتقصوا من قيمة الموارد العامة ، ذلك أنهم عندما جددوا عقود الأراضى أخضعوا الملتزمين الجدد لضرائب (أخرى) تكون (أو تعادل) عوائد هذه الأوقاف . ويعود وقف الحرمين الذى أنشأه أحد السلاطين ، وأقر سليم تصرفه هذا ، الى أصل مشابه لأصل وقف دثيشة الكبرى ، وإن كان يختلف عنه فقط فى عدم وجود ناظر له ، وفى أن عوائده تحصل وتدار بمعرفة الروزنامجى ، فى حين أن لكل من هذه الأوقاف ناظرا موكلًا بإدارتها تحت رقابة هذا الموظف المالى .

وتشكل المبالغ التى أوردناها كافة الموارد النقدية لهذه الأوقاف الخمسة ، وحيث لم يكن لهذه المبالغ الا أن تنتهى الى يد الروزنامجى ، الذى كان ينفقها كلية فى الأغراض المخصصة لها دون أن يشير الى ذلك فى سجلاته ، وحيث كانت تبدو هذه المبالغ وكأنها تنتمى لممتلكات خاصة وليست جزءا من الضرائب أو الانفاقات العامة فإننا لم نوردناها هنا الا على سبيل التذكيرة .

وبخلاف هذه المبالغ فإن للأوقاف السلطانية عوائد عينية من الغلال ومواد الأغذية الأخرى خصصت بدورها لنفس هذه الأغراض ، وكان يعهد بالنقود والحبوب التى تم تحصيلها ، بعد سداد كل المصروفات ، الى أمير الحج الذى يحملها الى مكة والمدينة حيث كانت توزع طبقا لوصية المؤسسين (منشئ الوقف) .

أما الأوقاف الخاصة (أو الأهلية) التى أشرنا اليها فكانت قائمة بمصر بالفعل عندما فتحها سليم . ومع اقرار هذا السلطان لتصرفات مؤسسيها فقد أخضعها لضربة الميرى التى لم ينقطع نظارها عن دفعها لخزينة الروزنامجى ، لكننا لم نقدم هنا أية اشارة لتلك الأوقاف التى انشأها السلاطين والباشوات منذ عصر هذا الحاكم بسبب كثرة عددها ، لأنها لم تكن تخضع لدفع أى ميرى .

(وصفاً ، مصر — م ٨)

الفصل الثاني

الضرائب على الوظائف

حيث كان الضباط الذين يعينهم السلطان يحصلون على دخولهم على هيئة تحويلات على الميرى فى القرى ، ولاسيـ ما فى هيئة ضرائب غير مباشرة كان يعهد اليهم بجبايتها ، فقد كان هؤلاء يدفعون للسلطان ضريبة الميرى التى نشير اليها باعتبارها ضريبة على الوظائف ، حيث كانت هذه الضريبة تفرض على مجموع دخول الواحد منهم وليس على هذه او تلك من الضرائب أو العادات التى كان يتمتع بها .

ويوضح لنا الجدول الآتى أصحاب الوظائف الخاضعين لدفع الميرى :

الباشا ١٦٢٥ر٠٠٠ مدينى

٢٦٧٩٤

الدفتدار

البكوات والكشاف حكام الولايات الآتية :

١٨٣٠ر٠٩٦	قنا
	أسنا
	جرجا
	سيوط
	منفلوط
	المنية (١)
٣١٩٦٤٠	بنى سويف
٣٥١٩٨٠	الفيوم
٢٠٣٢٤٢	اطفيح
١٠٧٠٤٠	الجيزة
١٥٤١٩٥	القليوبية
٦١٩٠٧٨	الشرقية
٣٦٢٧٤٠	البحيرة
٣٩٦١٦٨	المنصورة
٨٦٩٢٤٠	القربية
٦٠٧٩٣٠	المنوفية
٥٨٢١٣٤٩

(١) كان يحكم هذه الولايات الست بك واحد .

الروزنامجى
منرجم السديوان
امين الضربخانه (دار سك النقود)
اغوات أوجاقات :

٥٣ر٥٩١	المتفرقة
٢٨١ر٣٤٢	الجاويشيه
١٠٧ر١٨٢	جاموليان
١٠٧ر١٨٢	تفكجيان
١٠٧ر١٨٢	شراكسة
٤٥ر٣٨٢	مستحفظان
٤٨ر٢٣٠	عزبان
٧٥٠ر٠٩١	

الكخياوات الثلاثة لأوجاقات جاموليان وتفكجيان وشراكسة (١) ٦٠٠٠
كتبة الأوجاقات :

٥٥ر٩٧٠	المتفرقة
٥٨ر٩٤٦	الجاويشيه
٣٧ر٥١٣	الجاموليان
٣٢ر١٥٥	التفكجيان
٢٦ر٧٩٤	الشراكسة
٦٤ر٣٠٩	المستحفظان
١٥ر٠١٨	العزبان
٢٩٠ر٧٠٥	
٥١ر٧٩٤	المعرجى باشى
٦٦ر٩٩٣	الجيجى باشى
٦٩ر٠٠٠	القافلة باشى
٤٤٣ر٦٣٨	امير احتساب (٢)

(١) فى الأزمنة الأخيرة كان الباشا يسدد الميرى المقرر على هؤلاء .
(٢) لم يكن يدفع فى الأزمنة الأخيرة سوى ٢٦٩ر١١٩ مدينى ، حيث
قبل الباشا طلب هذا الموظف وبدأ يدفع بدلا منه الـ ١٧٤ر٥٢٨ مدينى .
الباقية .

٢٩٤٣٣٢	أمين عنبر
٢٤٢٠٩	أغا المشاقفة
١٥٦٠٠	سردار جرجا
	أغوات قسلاخ :
٢١٨٤٠	الاسكندرية
٧٢٨٠	سارى احمد بالاسكندرية
٩٨٨٠	الروخنة بالاسكندرية
١٦٦٤٠	أبى تيم
٢٧٠٤٠	رشيد
٤١٦٧	القرين
٨٦٨٤٧	
٣٠٠٠٠	شيخ الدالين
	الولاية (١) *
١٥٤٦٤	والى القاهرة
١٥٤٦٤	» مصر العتيقة
١٥٤٦٤	» بولاق
٤٦٣٩٣	
	الامنية :
٧٤٨١٤	أمندى الشرقية
٧٨٩٧٤	» الغربية
٧١٧٥٠	» الشهر
٨٢٠٣٦	» الغلال
٢١٤٣٦	» غلال الميرى
١١٧٨٦	» الكوريكى
١٣٣٩٨	» كشيدة
٦١٩٤٣	» الأيتام الخ
٩٩٦٩٤	» الجوالى
٥١٥٨٣١	

(١) هم الأئمة الأخيرة حل الباشا محل هؤلاء الولاية الثلاثة فى دفع الميرى المستحق بلبيهم *

أمندى الرزقى

٢١٤٣٦

١٠٨٧٠ر٧٧٣	الاجمالى
٣٨٨ر٢٤١ ج ت	وهو يعادل
٣٨٣ر٤٤٨ ف	وبالفرنكات
١٧س	١٠ د
٧٩س	

وكان الباشا ، وهو الذى يحتل أسمى هذه المناصب ، هو الشخص الذى تؤول اليه عادة الطوان ، فعند موت أحد الملتزمين ، لم يكن لوريثه أن يحصل على الحجة اللازمة لكي يخلفه فى أرضه ووظيفته وحقوقه الا بعد أن يدفع للسلطان عوائد ثلاث سنوات من صافى دخوله ، ومع ذلك فلم يكن يلتزم عند وراثته لاحدى القرى الا بأن يسدد ثلاثة أمثال ما يظنه بشكله المحدد (**) وفى مصر ، نزل السلطان عن هذا الحق الى الباشا الذى كانت له زيادة على ذلك عادات على الفلال والاطعمة وعلى كل الأشخاص الذين ينبغى ، اذا مارشحو لتقلد احدى الوظائف ، أن يتقدموا كي يحصلوا على خلعة منه هى الجبة أو القفطان .

أما الدفتردار فكان يتمتع بأناوة قدرها ٢٠٠٠ را مدينى عن كل كيس (**) من ثمن اية أرض تعطى للتمزم جديد ، وكان الدفتردار يسلم هذا الملتزم تقسيطا ، هو عقد ضرورى لكي يمارس حقوقه سواء كان هذا التغيير (فى شخص الملتزم) قد تم عن طريق الارث أو عن طريق البيع والشراء .

وكان البكوات أو الكشاف حكام الولايات يحصلون على رواتب من الخزينة العامة ، كما كانوا يحصلون على مورد كبير نحو ما عن طريق النسبة المقررة لهم من عادات الكشوفية التى كانوا يحصلونها لحسابهم الخاص .

ويتمتع الروزنامجى بخصم (يستبقيه لنفسه) من مجموع كل بند من بنود حصيلته المالية ، كما كان يحصل على هدايا أو بالأحرى على

(*) أى بدون احتساب البرانى . (المترجم) .
 (***) يساوى الكيس ٢٥٠٠ مدينى (المترجم)

معاشات سنوية من الباشا والأوجاقات ، بالإضافة الى عادة كان يجيبها من كل من كان يتبغى عليه ان يتعامل معه .

كما كان مترجم الديوان يحصل على عادة (او اتاوة) من كل من يتلقى قرارا بتنصيبه على احدى الوظائف .

اما مدير الضربخانة او مدر سك النقود فكان يعين من قبل الباشا العالى . وكانت الفوائد التى تؤول اليه عن طريق صنعه للقطع النقدية هى التى تشكل راتبه ، ومع ذلك فقد كان يدفع ، بخلاف الميرى المقرر على وظيفته ، خمسة عشر كيسا الى الباشا ، ولم يكن له عمل محدد (بلوائح معينة) اذ كان عليه فقط ان يحرص على ان تكون المسكوكات التى يصدرها تتفق مع الشكل المطلوب . ومنذ عهد على بك ، ترك هذا المنصب لباشا القاهرة الذى كان يسدد الميرى المقرر عليه والذى كان يبيع التزامه على الدوام الى البك ، شيخ بلد القاهرة .

اما الاغوات ، أى قادة الأوجاقات السبعة فكانوا يتمتعون بحقوق مختلفة داخل فرقهم العسكرية ، وحيث كان أغا الانكشارية هو الذى يشرف على كل العسكر ورجال الشرطة فى مدينة القاهرة فقد كان يحصل منهم على اتاوات مضاعفة عن الاطعمة التى كان هو يحدد أسعارها اما أغا الجاويشية فكان يحصل على مبلغ مساو للمبلغ الذى يحصل عليه الدفتردار ، أى ١٠٠٠ مدينى عن كل كيس ، فى كل مرة يمتلك ملتزم جديد أرضه .

وكان السكخيوات الثلاثة ، أى الباشا اختيارية (باشا اختيار) ، او ملازمو أوجاقات الجاموليان والتافكجيان والشراكسة يحصلون على رواتبهم من الباشا . وفى الأزمنة الأخيرة كان هذا الحاكم هو الذى يسدد الميرى المقرر على هذه المناصب الثلاثة ، اذ أنه ، جريا على سنة استنهاج احد أسلافه ، لم يعد يقوم بدفع الرواتب المقررة لهذه الوظائف ، وأصبح هؤلاء اليوم يحصلون على معاشاتهم من فرقهم العسكرية .

وكان للأفندية عريفي (**) الأوجاقات السبعة حصنة يستقطعونها من الأموال التي تمر بين أيديهم ، وعلاوة على ذلك فقد كانت فرقهم تصرف لهم رواتبهم .

أما المعرجى باشى فكان موكلا بإدارة كل المباني العمومية ، وكان يحصل في اليوم الواحد على زرمحوب واحد عن كل منشأة يأمر بالعمل فيها مع مراقبة هذا العمل ومن هنا نجد أنه كان المثرف على الهندسة المدنية والعسكرية .

وكان الجيجى باشا موكلا بإمداد الترسانات بالبارود والذخيرة ، وكان يحصل على ثمن ذلك من الخزينة العامة فيما عدا ما كان يستخدم من بارود في الألعاب النارية الثلاث التي كانت تتم مرة عند وصول الباشا ، وأخرى عند رحيل المحمل ، وثالثة عند إرسال الخزنة (مال السلطان) إلى القسطنطينية . وكان يرأس كل العمال الذين يصنعون البارود . وتتكون موارده المالية من عادات مختلفة تتم خصما من الميرى ومن عادات أخرى يحصلها من قريتين من قرى القليوبية .

أما القافلة باشى أو مفتش القوافل التي ترحل من مصر أو تلك التي تجتازها فكان له حق شبه مطلق في توفير المرشدين أو الأدلاء وكذا الجمال التي تلزم لهذه القوافل ، وتدفع له كل قافلة أتاوة . وفوق ذلك فقد كان يحصل ١/٤ بوظاقة عن كل فردة (**) من البن تنقل من السويس إلى القاهرة .

وكان أمين الاحتساب يراقب التجار ويلاحظ ما إن كانوا يغيرون في الموازين أو المكييل كي يغشوا الناس . ويتكون راتبه من عادات مقررّة لصالحه على التجار ، وعندما وجد أن الميرى المقرر على وظيفته بالغ الضخامة ، فقد انقصه أحد الباشوات : ١٧٤٥/١٩ مدينى كان يدفعها (أى الباشا) نفسه . وكان على خلفاء هذا الباشا أن يحذوا حذوه إذ لا يمكن لدخول السلطان أن تقل .

(*) في الأصل الفرنسى **quartiers - maitres** ومعناها العريف البحرى أو الأدنى درجات البحرية .
(**) بالة ترن ١٨٥ ك.ج (المترجم) .

أما أمين عنبر ، فكان بحكم وظيفته كمدير للمخازن العمومية يحصل على العادات المقررة لصالحه نقداً وحبوباً من الملتزمين الذين يسددون ضرائبهم عينا ، وكان كل الموظفين العاملين تحت امرته يحصلون على رواتبهم منه . وكان مخولاً له عند استلامه الغلال من الممولين أن يستخدم مكاييل أكبر حجماً على نحو طفيف من تلك التي يستخدمها عند تسليمه هذه الحبوب لتوزيعها على الجهات التي حددتها اللوائح .

أما أغا المشاق ومهمته توفير مشنقة الكتان فكان يحصل لنفسه من الملتزمين في مصر السفلى على ٢٠ إلى ١٠٠ مدينى عن كل قرية هناك ، وكان ملزماً بأن يرسل إلى القسطنطينية كمية المشنقة التي تطلب منه . وكان يحصل على ثمن اثاثاته شريطة أن يحصل على شهادة من قاضي بولاق تحدد كمية هذه الاثاثات وأثمانها .

وكان سردار جرجا ، هو ملازم البك حاكم الصعيد ، وكان هذا المنصب يمنحه قرية بندار التبينات وراتباً يحصل عليه خصماً من دخول البك .

وكان أغوات القلاع أو الطوابى يحصلون على راتب من الخزينة العامة كما كانوا يفرضون اتاوات مختلفة (عادات) على المأكولات والأغذية التي تباع في المناطق التي يديرونها ويتولون حمايتها .

أما شيخ الدالين ، أى رئيس السماسرة والوسطاء في القاهرة ، فكان يفرض اتاوة على كل الدالين الذين يبيعون في الأسواق العامة الأسماك والبيضات والملايس . الخ وبخلاف ذلك فقد كان كل واحد من هؤلاء الشيوخ (شيوخ الدالين) يستطيع أن يبيع بنفسه ذلك أن وظيفة الدالين في الأسواق لا غنى عنها ، وكان عدد هؤلاء الشيوخ اثنين : أحدهما تركى والآخر مصرى .

وكان الولاية الثلاثة : والى القاهرة ، ووالى بولاق ، ووالى مصر العتيقة مكلفين بالقيام بتفاصيل أعمال الشرطة تحت رقابة أغا الإنكشارية . وكانت لهؤلاء عادات أو اتاوات يفرضونها على التجارة وعلى المخالفات ، وكانوا يحصلون على راتب يدفعه الباشا ، ومنذ نحو سبعين عاماً ، امتنع هذا الأخير من دفع هذه الرواتب ، وأرغم والى القاهرة على استرضاء زميليه ، وأن ظل هو نفسه ملزماً بدفع الميرى

المستحق على هؤلاء الضباط الثلاثة ، وادى هذا الوضع الى جعل والى بولاق ومصر العتيقة تابعين له ، وكان يتمتع بالاضافة لما سبق براتب مقرر على الخزينة العامة . كما كان ملحقا بخدمة الديوان حيث كان يشغل وظائف تماثل مايقوم به الحاجب او الشخص الذى يحضر للجلسات .

ويمسك افندى الشرقية وافندى الغربية وافندى الشهر بسجلات الميرى المقرر نقدا على كل الولايات ، فكان الاول موكلا بولايات مصر السفلى فيما عدا ولايات الدلتا التى كانت تدخل فى اختصاص الثانى . اما الثالث فكان مختصا بولايات مصر العليا . وكان هؤلاء يحصلون على رواتبهم من الخزينة العامة ويفرضون عادات على الملتزمين الداخليين ضمن دوائريهم . اما افندى الغلال فكان يمسك بسجل لكل الاراضى التى تسدد الميرى فى شكل حبوب ، وكان يحصل على راتبه بنفس طريقة اقاربه . وكان الافندى المشرف على حبوب الميرى يراقب اعمال امين العنبر ، وكان يمسك سجلا بكل الغلال التى تدخل الصوامع (مخازن الحبوب) الهامة كما كان يمسك سجلا ينظم عمليات استخدامها . ولم يكن بمقدور امين العنبر ان يتصرف فى شئ دون ان يشركه فى ذلك ، وكان الباشا والروزنامجى يشتركان فى دفع راتبه ، وكان يحصل بخلاف ذلك عادات على التوزيعات التى تتم بمعرفة امين العنبر . اما افندى الكوريكى فكان يمسك بالنسبة لهذا الفرع من فروع الميرى المقرر على الاراضى سجلا يبين الضرائب الواجبة السداد على كل قرية . اما اتعابه فكان يشارك فى دفعها كل من الوالى والروزنامجى والملتزمين . وكان افندى الكشيدة طواشيا مكلفا بدفع الرواتب المقررة لاقاربه الذين كان السلطان ينفقهم الى مصر ، وهو التكدير الذى كان يطبق على هؤلاء التعمساء حين يفقدون حظوتهم عند سيدهم . اما افندى الايتام .. الخ فكان يمسك بسجل المعاشات التى خصصها السلطان للايتام والارامل والشيوخ وغيرهم ، وكان يحصل على راتبه هو من الباشا كما كان يحصل على اتاوة من كل طرف مستفيد من هذه المعاشات . والافندى الجوالى هو الكاتب الذى يستخدمه الاغا الذى ترسله القسطنطينية سنويا لتحصيل الخراج اى الضريبة المقررة على الرعايا غير المسلمين . ويدبر الاغا راتب هذا الافندى من حيلة هذه الضريبة . وكان

كل هؤلاء يسيرون شئون وظائفهم تحت اشراف الروزنامجى ، وهو الأمر الذى كان يعرض بعض هؤلاء للعزل (❖) .

ويمسك أندى الرزق بسجلات الأراضى أو الأملاك العقارية التى يطلق عليها هذا الاسم (رزقة) . وكان يقوم بعمله مستقلا عن سلطة الروزنامجى ولا تدخل أعماله فى إطار أعمال الأخير ، وكان الباشا يجرى له راتبا ، كما كان يحصل علاوة على ذلك رستما عند أية عملية احلال أو ابدال تتم بخصوص هذه الرزق .

هؤلاء هم شاغلو الوظائف التى كانت خاضعة لضريبة الميرى . وقد لمسنا كيف أنها لم تكن تشكل دخولا تضاف الى الخزينة العامة بقدر ما كانت تشكل أتاوات أو عادات على الأراضى والأشخاص .

الفصل الثالث

الضرائب العامة على الصناعة والتجارة

اولا — الجمارك

أنشأ السلطان سليمان أربعة جمارك رئيسية فى مصر هى :
جمرك فى بولاق ومصر العتيقة ،

» فى الاسكندرية ،

» فى دمياط

وجمرك فى السويس .

وكانت عوائد هذه الجمارك تؤد الى الجهات التى سيأتى ذكرها مع مزاعة تسديد ضريبة الميرى على النحو التالى :

(❖) فى حين أن اللوائح تقرر أن الوظائف ثابتة على نحو ما سبق ورودها فى الدراسة (المترجم) .

مدينى

الى اوجاق الانكشارية : عوائد جمركى بولاق ومصر
العتيقة للذين ضما معا وكانا يدفعان ميرى واحدا
قدره ٤٣١١٨٧٢ ر

الى نفس الفرقة العسكرية : عوائد جمرك الاسكندرية
مقابل ميرى قدره ٦٣٩٤٤٣٩٦ ر (١)

الى نفس الفرقة العسكرية : عوائد جمرك دمياط مقابل
ميرى قدره ٢٣١٨١٦٢ ر

الى الباشا : عوائد جمرك السويس مقابل ميرى قدره ٦٠٥٦ ر ٧١٠٧٦ ر

١٩٤٤٤٨٦ ر

الاجمالى

وهو مبلغ يعادل ١٠ د ١٢ اس ١٨١ ر ٦٩٤ ج ت
وبالفرنكات ٨١ اس ١٠٧ ر ٦٨٥ ف

وحيث أن روح الاسلام تستهجن وتحرم كافة ضروب الربح التى
تتحقق عن غير طريق العمل والاحتراف ، وحيث أن الأرباح التى تأتى عن
طريق الجمارك بعيدة عن هذه النشأة ، فقد كان يعهد بتحصيل هذه
الضريبة فى العادة الى مسيحيين أو الى يهود أصبحوا هم ملتزميها .

وبدل الموقع الجغرافى للجهات التى انشئت بها مكاتب الجمارك على
البلدان التى كانت ترد منها الواردات أو تلك التى ترسل اليها الصادرات ،
اذ كانت تجارة سنار وممالك دارفور وفزان الخ تتم بواسطة قوافل تصل
الى مصر القديمة ، أما تجارة تركيا وأوربا وآسيا فكانت قسمة بين
شغرى الاسكندرية ودمياط ، وكانت الاسكندرية تقوم بصفة أساسية
بتجارة أوربا وبلاد البربر (المغرب) ، أما السويس فكانت تتولى تجارة
الجزيرة العربية والهند .

(١) لم يكن البكوات الذين استأثروا لأنفسهم بكل الجمارك يدفعون
فى السنوات الأخيرة كضريبة ميرى على جمرك الاسكندرية سوى
١٤٧ ر ١٣١٤٧ ر مدينى ، لأن الباشا ، ونتيجة لمطالبات مستمرة من اوجاق
الانكشارية ، كان يسدد بدلا من هذا الأوجاق (عندما كان يدير الجمارك
لحسابه) حصة قدرها ٢٤٩ ر ٣٣١ ر مدينى .

وبقدر ما توضح لنا التعريف الآتية المنتجات التي تزود بها هذه البلدان مصر، وتلك التي تستوردها منها ، فستدلنا كذلك على قيمة الرسوم الجمركية التي كان ينبغي عليها أن تدفعها وفقا للوائح السلطان سليمان .

الواردات — تجارة سنار ودارفور وفزان الخ

السلعة	الرسوم التي تخضع لها عند وصولها لجمرك مصر العتيقة
الششم (عتار طبي) (وهو حبوب سوداء تشبه حبسة العدس الجافة) السكرابيج (سباط من الجلد) سن النيل المبيد : الذكور الاناث الطواشي الصمغ العربي الدره (انثى الببغاء) ريش النعام تراب الذهب التمر هندي	<p>١٠ مدينى للجوال الصغير ٩٠ مدينى للجوال الكبير ١٠٪ من السلعة عينا ٧ مدينى عن كل حمولة جبل ١٢٠ مدينى عن الواحد ١١٠ مدينى عن الواحدة ٢٤٦ مدينى عن الواحد ٨ مدينى عن كل حمولة جبل ١٥ مدينى عن كل قفص + دره واحدة ضريبة عينية ١٠٪ من السلعة عينا لاشئ ٤٠ مدينى للقنطار و٨ مدينى عن حمولة الجبل</p>

تجارة أوربا وآسيا ودول البحر

الرسوم الجمركية							أسماء السلع
في الاسكندرية (١)							
من أوروبا عن طريق أزمير	من إنجلترا	من ليفورنيو وترينتا	من البندقية	من مارسيليا	من بلاد البربر	من بلاد السلطان	
%	%	%	%	%	%	%	
—	—	—	—	—	—	١١	مشمش
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	صلب
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	لبر
—	—	—	—	—	—	—	ثوم
٥	—	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	شبة
—	—	—	—	—	—	١١	صوفان (اسفنج طبي)
—	—	٥-٣	—	٥-٣	—	١١	لوز
٥	—	٥-٣	—	—	—	—	عنبر أصفر
—	—	—	—	—	—	—	هلب للراكب

(١) في معظم الأحيان ، كانت السلع الواردة من بلاد السلطان وكذلك الواردة من بلاد البربر تسدد عينا تلك الرسوم التي كانت تخضع لها في جمرک الاسكندرية ، أما تحصيل الرسوم التي كانت مفروضة على الواردات الآتية من مارسيليا والبندقية وليفورنو وترينتا وإنجلترا . ثم من كل هذه البلاد عن طريق أزمير ، فكان يتم نقدا ، وفقا لتعريفه نسبتها أدنى على الدوام من النسبة الى الثمن الحقيقي للسلع المستوردة .

(٢) لم تكن الرسوم في جمرک دمیاط تتغير مطلقا تبعا للآلة التي تأتي منها السلع كما هو الشأن في الاسكندرية ، وكانت الرسوم التي

التي كانت تخضع لها					
في بولاق (٣)					في دمياط (٣)
اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية	من بلاد النصارى		من بلاد السلطان وبلاد البربر		من أوروبا وآسيا وبلاد البربر
	إلى تجار غير المصريين	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	
مديني	%	%	%	%	%
لكل قنطار	٦	—	—	١٠	١٠ طازج ١٢ جاف
للصندوق	٣٨	٣	١	٢	٤
للبرميل	٦٠	٣	١	٢	٤
		—	—	—	١٠
للصندوق	٣٠	٣	١	٢	١٠
للقطعة	١٨	—	—	—	٤
للقنطار	٦	٣	١	—	١٠
للصندوق	٦٠	٣	١	٢	٤
		—	—	—	١٠

يحصلها هذا الجمرك والتي تفرض بشكل متساو على سلع أوروبا وآسيا وبلاد البربر تسدد في جزء منها نقدا وفي الجزء الآخر عينا ، كما كانت الرسوم النقدية تتحدد وفق تقييم خاص وقريب من الواقع بالنسبة لقيمة السلع ، وكان يتم ذلك بمجرد اتمام عملية الانزال .

(٣) كانت السلع القادمة من الخارج والتي تصل الى القاهرة تخضع لرسوم مقررّة في جمرك بولاق بخلاف تلك التي سبق لها أن سدّدتها في شغرى الاسكندرية ودمياط .

الرسوم الجمركية							أسماء السلع
في الاسكندرية							
من أوروبا عن طريق أزمير	من إنجلترا	من ليفورنيو تريستا	من البندقية	من مارسيليا	من بلاد البربر	من بلاد السلطان	
%	%	%	%	%	%	%	
—	—	—	—	—	—	—	فضة خام في شكل سبائك
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	زئبق
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	أسلحة
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	سلفور الرصاص
٥	—	٥-٣	٥-٣	—	—	—	ذريتيخ
٥	—	٥-٣	—	٥-٣	—	—	زهو الخزامى
—	—	—	—	—	١٠	—	برادق بخارية
—	—	—	—	—	١٠	—	برنس (معاطف صوف)
—	—	—	—	—	—	٥	جوارب
—	—	—	—	—	١١	—	سمن
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	مجوهرات
٥	—	٥-٣	٥-٣	—	—	—	اسيداج أبيض
—	—	—	—	—	—	—	عجول
—	—	—	—	—	—	١٠	خشب للوقود
—	—	١١	—	—	—	١٤-٧	خشب للبناء
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	خشب فرنامبوك
٥	—	٥-٣	٥-٣	٥-٣	١٠	—	قلنسوات حمراء
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	—	شمع
—	—	—	—	—	—	٤	وبر لباد من بروصة
—	—	—	—	—	—	١٠	حرير ووبر الحرير والقطن

التي كانت تخضع لها

في بولاق					في دمياط
من بلاد السلطان وبلاد البربر	من بلاد النصارى		من أوروبا وآسيا وبلاد البربر		
	إلى تجار مصريين	إلى تجار من غير المصريين			
إلى تجار أوروبيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار من غير المصريين	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوروبيين	إلى تجار مصريين
%	%	%	%	%	%
—	—	—	—	—	١٠
٤	٢	١	٣	٨٩ لكل ٧٥ رطلا	١٢
٤	٢	١	٣	١٢ للقطعة	١٠
٤	٢	١	٣	١٠ لكل ١٢٠ رطلا	١٢
٤	٢	١	٣	٥١ للبرميل	—
٤	٢	١	٣	٥١ للبالة	—
٤	—	—	—	٦ للواحد	١٠
٤	٢	—	—	٥ للواحد	١٠
٤	—	—	—	٢ لكل ١٠	—
١٠	—	—	—	٦ إلى ٣٠ للجرة	١٢
١٠	٢	١	٣	٨٠ للصندوق	١٠
٤	٢	١	٣	١٢ لكل ٧٥ رطلا	١٢
—	—	—	—	١٨٠ مديني للواحد	١٢
١٠	—	—	—	٥٠-٨ مديني لكل ١٠٠ قطعة	١٢
٧	٢	١	٣	٦٠ للقطعة	١٢
٤	٢	١	٣	١ للزوج	١٠
٤	٢	١	٣	٣٠ للصندوق	١٢
٤	—	—	—	٣٠ - ١٠ للواحد	—
٤	—	—	—	٣ - ٣٠ للقطعة	٦٠ مديني للقطعة

الرسوم الجمركية							أسماء السلع
في الاسكندرية							
من أوروبا عن طريق أزمير	من إنجلترا	من ليفورنيو ومارسيلا	من البندقية	من مارسيلا	من بلاد البربر	من بلاد السلطان	
%	%	%	%	%	%	%	
—	—	—	—	—	—	١٤	قطران
—	—	—	—	—	—	—	منسوجات خشنة لصنع الملابس
—	—	—	—	—	—	—	بن
—	—	—	—	—	١١	—	نكراوية
—	—	—	—	—	—	١١	خروب
—	—	—	—	—	—	—	أطواق ولطارات
—	—	—	—	—	—	—	جلود خرفان وماعز
—	—	—	—	—	—	١١	لحم مملح
—	—	—	—	—	—	١٠	شيلان
—	—	—	—	—	١٠	—	شيلان صوف
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	خمارات
—	—	—	—	—	—	٥	شال أنقرة
—	—	—	—	—	—	—	شعوع
—	—	—	—	—	—	—	فخم
٥	—	٥-٣	—	—	—	—	كستناء
—	—	—	—	—	—	—	خيول
٥	—	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	صنوبر
—	—	—	—	—	١١	١٠	ورنيش خام
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	—	مسامير
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	قرمزية (للصبغة الحمراء)

التي كانت تخضع لها

في بولاق					في دمياط
اشترائها تجار مصريون في الاسكندرية	من بلاد النصارى		من بلاد البربر		من أوروبا وآسيا وببلاد البربر
	إلى تجار غير المصريين	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	
مدينى	%	%	%	%	%
٢٣ للجرة	—	—	—	١٠	١٠ — ١٣ ١/٢ %
٨ للباله	—	—	—	—	١٠
٥٠ للباله	—	—	—	١٠	٥
٧ للقنطار	—	—	—	١٠	—
١ لكل ١٠٠ طوق	—	—	—	٤	١١
٨ للباله	—	—	—	١٠	١٢
١٢ للبرميل	—	—	—	١٠	١٠
٥ للواحد	—	—	—	٧	١٠
٢ للواحد	—	—	٢	٤	١٠
١٠ للقطعة	٣	١	٢	٤	١٠
١٥ للقطعة	—	—	—	١٠	١٠
٢٥ للصندوق	—	—	—	٤	١٢
	٣	—	—	—	١٠ مدينى لكل قفتين
٦٠ للقنطار	٣	١	٢	٤	—
	—	—	—	—	١٨٠ مدينى للحصان
٩٣ لكل ٧٥ رطلا	٣	١	٢	٤	—
١٨ للقنطار	—	—	—	٧	—
٢٠ للبرميل	٣	١	٢	١٠	١٠
١ للآفة	٣	١	٢	٥	١٠

الرسوم الجركية							أسماء السلع
في الاسكندرية							
من أوروبا عن طريق أزمير	من البحر المتوسط	من اليونان	من اليونان	من اليونان	من اليونان	من اليونان	%
من أوروبا عن طريق أزمير	من البحر المتوسط	من اليونان	من اليونان	من اليونان	من اليونان	من اليونان	
—	—	—	—	—	—	—	ثمار جوز الهند
—	—	—	—	—	—	—	قلفونية
٥	—	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	١٠	حلويات
٥	—	٥-٣	٥-٣	—	—	—	
—	—	—	—	—	١١	—	
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	—	مرجان
٥	—	٥-٣	٥-٣	—	—	—	مرجان فالصو
—	—	—	—	—	—	١١	حبال
—	—	—	—	—	—	١١	زغب القطن
—	—	—	—	—	—	—	زرد
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	—	سكاكين خشنة
—	—	—	—	—	—	١٠	ملاعق خشبية
—	—	—	—	—	—	—	جلود ابران
—	—	—	—	—	١٠	—	جلود فاسي
—	—	—	—	—	—	٥-٤	جديد مصنوع
—	—	—	—	—	—	٥	نحاس خام
—	—	—	—	—	—	٥	نحاس قديم
—	—	—	—	—	—	—	من القليل
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	أوراق مذهبة
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	أوراق
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	مقاوير طبية

التي كانت تخضع لها

في بولاق					في دمياط
اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية	من بلاد النصرى		من بلاد السلطان وبلاد البربر		من أوروبا وآسيا وبلاد البربر
	إلى تجار من البربر	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	
مدنى	%	%	%	%	%
				١٠	١٠
٥٠ للبرميل	—	—	—	١٠	١٢
٢٥ للصندوق	٣	١	٢	١٠	١٢
٩٠ للبرميل الكبير	٣	١	٢	٤	١٠
٥٠ للبالة	—	—	—	١٠	—
٦٠ للصندوق	٣	١	٢	٤	١٠
٢٥	٣	١	٢	٤	١٠
١٠ لكل ١٢٠ رطلا	—	—	—	٤	١٢
٢٣ للقنطار	—	—	٢	٤	١٢
				١٠	١٢
٥٠ للبرميل الكبير	٣	١	٢	٤	—
٨ للبالة	—	—	—	١٠	١٢
					١٠
٤ للواحد	—	—	٢	٤	١٠
٦٠ للقنطار	—	—	—	١٠	١٢—١٠
٥٣ للقنطار	—	—	—	١٠	١٢
٦٠ للقنطار	—	—	—	١٠	١٢
					١٠
٩٠ للصندوق	٣	١	٢	٤	١٠
٢٥ للقطعة	٣	١	٢	٤	٥
٥٠ للبالة	٣	١	٢	١٠	١٢

في الاسكندرية							أسماء السلع
من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ومارسيليا ليفورنيو	من انجلترا	من أوروبا عن طريق الزيمبر	
%	%	%	%	%	%	%	ماء القرنفل
—	—	—	—	—	—	—	مشروبات روحية
—	—	—	—	—	—	—	اسفننج
—	—	—	—	—	—	—	عبيد
٥	—	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥	قصدير
٥	—	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥	أقمشة
—	—	—	—	—	—	—	د من حلب
—	—	—	—	—	—	—	د من الأموال
—	—	—	—	—	—	٤	د من تركيا
٥	٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	١	خزف
—	—	—	—	—	١١	—	فاصور (عقار طبي)
٥	٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	١١	حديد
٥	٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥	زنك
—	—	—	—	—	—	٥١	كتل من الحديد
—	—	—	—	—	—	٥١	سنايك الخيل
—	—	—	—	—	—	—	دوبارة
—	—	—	—	—	—	—	أسلاك
٥	٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	أسلاك من الحديد
—	—	—	—	—	—	—	والنحاس الأصفر
٥	٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	١٠	فناجين
٥	٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	فانلات مصبوغة

التي كانت تخضع لها

في بولاق					في دمياط
اشترأما تجار مصريون في الاسكندرية	من بلاد النصارى		من بلاد السلطان وبلاد البربر		من أوروبا وآسيا وبلاد البربر
	الى تجار غير مصريين	الى تجار مصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	
مديني	%	%	%	%	%
				١٠	١٠
					١٠
١٥ للباله	--	--	--	٤	١٠
					١٤٦ مديني اكل أربعة
١٣١ للبرميل	٣	--	٢	٤	١٢%
١٥ - ٦٠ للقطعة	٣	١	٢	٤	١٠
٥%	--	--	--	٥	٣٠ مديني للقطعة
٥%	--	--	--	٥	٤٠ " " "
٨ - ٥٠ للقطعة	--	--	--	٤	١٠%
٢٥ للصندوق	٣	١	٢	١٠	١٠
٥٠ للباله	--	--	--	١٠	--
١٧٨ لكل ١٠٠ قضيب	٣	١	٢	٤	١٠ -- ١٢
٣٥ للبرميل	٣	١	٢	٤	١٠
٤٠ للقنطار	--	--	--	١٠	--
٤٠ للقنطار	--	--	--	١٠	--
٨ للقنطار	--	--	--	٤	١٢
١٥ للقنطار	--	--	--	٤	٦٢ مديني لكل ١٠٠ رطل
١٢ للقنطار	٣	١	٢	٤	--
٨ للصندوق	--	--	--	١٠	١٠%
٨ للقطعة	٣	١	٢	٤	--

الرسوم الجمركية							أسماء السلع
في الاسكندرية							
من عن طريق أوروبا	من انجلترا	من ليفورنيو ومارسيلا	من البندقية	من مارسيلا	من بلاد البربر	من بلاد السلطان	
%	%	%	%	%	%	%	
—	—	—	—	—	—	١١	فوة (عقار طبي)
—	—	—	—	—	—	١١	جين
—	—	—	—	—	—	١١	فواكه جافة
—	—	—	—	—	—	١١	عفصة
—	—	—	—	—	١١	—	جدارى (للصباغة)
—	—	—	—	—	١١	—	جيا قلو
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	قرنفل
—	—	—	—	—	—	—	صمغ من سوريا
—	—	—	—	—	—	٥	قطران
—	—	—	—	—	—	—	بذور الخيار
—	—	—	—	—	—	—	بذور النيلة
—	—	—	—	—	—	—	بذور البطيخ
—	—	—	—	—	—	—	رمان
—	—	—	—	—	—	—	حشيش (١)
—	—	—	—	—	—	—	حشيش مفرط
—	—	—	—	—	—	—	فاصوليا
—	—	—	—	—	١٠	—	أحرمة (حرام) من كل نوع
—	—	—	—	—	١٠	—	حرام حرير
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	قطع غيار الساعات

(١) وهو نبات القنب الذى يستخدم فى اعداد عقارات مسكرة او يدخن مخلوطا بالتبغ .

التي كانت تخضع لها

في بولاق					في دمياط
اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية	من بلاد النصارى		من بلاد السلطان وببلاد البربر		من أوروبا وآسيا وببلاد البربر
	الى تجار مصريين	الى تجار غير المصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	
مدينى	%	%	%	%	%
٥٠ للباله	—	—	—	١٠	—
٦ للقنطار	—	—	—	١٠	١٠—١٢
٥ — ٩ للسلة	—	—	—	١٠	١٢
١٨ للقنطار	—	—	—	١٠	١٢
٥٠ للباله	—	—	—	١٠	—
٥٠ للباله	—	—	—	١٠	—
٤٥ للقنطار	٣	١	٢	٤	١٠
					١٠
٧ ١/٢ للقفه	—	—	—	٤	١٢
					٧ مدينى للربع
٨٠ للجوال	—	—	—	٤	٨ مدينى للجوال
٦٠ للجوال	—	—	—	٤	١ ١/٢ مدينى للربع
١٤ للباله	—	—	—	٤	١٢
١٤ للباله	—	—	—	٤	٣ مدينى للآفة
١٤ للباله	—	—	—	٤	١٢ %
				١٠	١٢
٤٠ للواحد	—	—	٢	٤	١٠
٥٠ للواحد	—	—	—	٤	—
١٠ للصندوق	٣	١	٢	٤	—

الرسوم الجمركية								
في الاسكندرية								
أسماء السلع	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من ماريشيليا	من البندقية	وماريشيليا	من ليفورنير	من إنجلترا	من أوروبا عن طريق أزمير
	%	%	%	%	%	%	%	%
زيت	٧	٢ - ٣ للجرة	—	—	—	—	—	—
زيت للصباغة	٥	—	—	—	—	—	—	—
النيلة	—	—	—	—	—	—	—	—
جرار مائية بالسماد	—	٤ م للواحدة	—	—	—	—	—	—
العرقسوس	—	—	—	—	—	—	—	—
كلكاب أوقية قاب للسيدات	١٠	—	—	—	—	—	—	—
صوف	١١	١١	—	—	—	—	—	—
نحاس أصفر	٥	—	٥ - ٣	٥ - ٣	٥ - ٣	٥ - ٣	—	٥
رقائق فضية وفالصو	٥	—	—	٥ - ٣	٥ - ٣	٥ - ٣	—	٥
مصايدج زجاجية	—	—	—	—	—	—	—	—
مشروبات روحية	—	—	٥ - ٣	٥ - ٣	٥ - ٣	٥ - ٣	٥ - ٣	٥
علب (نوى السكرين)	٥	—	—	—	—	—	—	—
رخام في شكل كتل وأعمدة	—	—	—	—	—	—	—	—
وبلاط وموائد	—	—	—	—	—	٥ - ٣	—	٥
سلع من الهند	—	—	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠
صمغ المصطكاه	٥	—	—	—	—	—	—	—
خردوات	٥	—	٥ - ٣	٥ - ٣	٥ - ٣	٥ - ٣	٥ - ٣	٥
رحى طواحين	—	—	—	—	—	—	—	—
عسل	١١	١١	—	—	—	—	—	—
زنجفر (أكسيد الرصاص الأحمر)	—	—	—	٥ - ٣	٥ - ٣	٥ - ٣	٥ - ٣	٥

التي كانت تخضع لها

اشترائها تجار مصريون في الإسكندرية	في بولاق				في دمياط
	من بلاد النصارى		من بلاد السلطان وببلاد البربر		من أوروبا وآسيا وببلاد البربر
	الى تجار من غير المصريين	الى تجار مصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	
مدينى	%	%	%	%	%
١٢ للجرة	—	—	—	١٠—٧	١٢
٣ للجرة	—	—	—	٧	١٢
				١٠	١٢
٢ للواحدة	—	—	—	—	—
٦٠ للصندوق	—	—	—	١٠	١٠
٨ للباله	—	—	—	١٠	١٠
١٢ للباله	—	—	—	٥	١٢
٤٥ للبرميل	٣	١	٢	٤	١٢
٣٠ للصندوق	٣	١	٢	٤	١٠
٢٤ - ٤٤ للباله	—	—	—	—	٨٠ مدينى للقفص
٢٥ للصندوق	٣	١	٢	٤	٪ ١٠
١٤ للباله	—	—	—	١٠	—
٢١ للقطعة	٣	١	—	—	—
٪ ١٠	—	—	١٠	١٠	١٠
٢٠ للصندوق	—	—	٢	١٠	—
٣٠	٣	١	٢	٤	١٠
٢٧ مدينى للواحدة	—	—	—	٢٧ م للواحدة	٨٦ مدينى للواحدة
٦ - ٦٠ للجرة	—	—	—	٪ ١٠	٪ ١٢
٧٦ للبرميل	٣	١	٢	٤	—

الرسوم الجمركية							أسماء السلع
في الاسكندرية							
من أوروبا عن طريق أزمير	من إنجلترا	من ليفورنيو ومارسيلا	من البندقية	من مارسيلا	من بلاد البربر	من بلاد السلطان	
%	%	%	%	%	%	%	
٥	—	٥-٣	٥-٣	—	—	—	مرايا
—	—	—	—	—	—	—	هاونات
—	—	—	—	—	١٠	—	مناديل سيدات
—	—	—	—	—	—	١٠	موسلين
—	—	—	—	—	—	٤	موسلين مطبوع
—	—	—	—	—	١١	—	خراف
—	—	—	—	—	—	—	اماء سوداوات
—	—	—	—	—	—	٧	بندق
—	—	—	—	—	—	١١-٥١	جوز
—	—	—	—	—	—	١٠	جوز اصنع النارجيلات
—	—	—	—	—	—	١٠	بيض السمك المسمى كافيار
—	—	—	—	—	—	—	بصل
—	—	—	—	—	١١	١١	زيتون
٥	—	٥-٣	٥-٣	—	—	—	ذهب الميع
—	—	—	—	—	١١	—	كافورية
—	—	—	—	—	—	—	قرب
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	ورق
—	—	—	—	—	—	١٠	بطيخ من يافا
—	—	—	—	—	—	—	جلود ماعز
—	—	—	—	—	—	١٠	أمشاط خشبية
٥	—	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	جلود وفراء

التي كانت تخضع لها					في دمياط
في بولاق					
اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية	من بلاد النصرى		من بلاد السلطان وبلاط البربر		من أوروبا وآسيا وبلاط البربر
	الى تجار مصريين غير مصريين	الى تجار مصريين	الى تجار أوروبيين	الى تجار مصريين	
مدينى	%	%	%	%	%
٦٠ للصندوق	٣	١	٢	١٠	—
٢ للواحد	—	—	—	١٠	١٢
١٠ — ٥ للواحد	—	—	٢	٤	—
٤٠ — ٣ للقطعة	—	—	—	١٠	١٠
٤٠ — ٣	—	—	—	٥	١٢
				—	—
				—	١٨ مدينى للواحدة
٦ للقنطار	—	—	—	١٠	٪ ١٢
٦	—	—	—	١٠	١٢
٨ للصندوق	—	—	—	١٠	١٠
٣٠ للبرميل	—	—	—	١٠	١٢
					١٥ مدينى للقفعة
١٢ للحجرة	—	—	—	١٠	٪ ١٢
١٢ للملبة	٣	١	٢	٤	١٠
٥٠ للباله	—	—	—	١٠	—
١ للواحدة	—	—	—	١ م للواحدة	٣ مدينى للواحدة
٣٩ — ٧٦ للباله	٣	١	٢	٪ ٤	٣ — ٢ مدينى للرطل
١ للواحدة	—	—	—	١٠	٪ ١٠
٣ للجلد	—	—	—	٤	١ مدينى للجلد الواحد
٨ للباله	—	—	—	١٠	٪ ١٢
١٧ — ٣٣٠ للقطعة	٣	١	٢	٤	—

الرسوم الجمركية							أسماء السلع
في الاسكندرية							
من أوروبا عن طريق أزمير	من إنجلترا	من ليفورنيو وماريسيليا	من البندقية	من ماريسيليا	من بلاد البربر	من بلاد السلطان	
%	%	%	%	%	%	%	
٥	—	٥-٣	—	٥-٣	١١	—	صوانات البندقية
٥	—	٥-٣	٥-٣	—	—	—	ألواح وعوارض خشبية
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	رصاص
—	—	—	—	—	—	١٠	شعر ماعز
—	—	—	—	—	—	—	كثير من عربان الطور
—	—	—	—	—	١١	—	سمك مجفف وملح
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	—	فلفل بالقرنفل
—	—	—	—	—	—	—	تفاح
٥	—	٥-٣	٥-٣	—	—	—	خزف
—	—	—	—	—	—	—	رصاص بنادق
—	—	—	—	—	—	—	بودرة رصاص (للصق)
—	—	—	—	—	—	٥ ¼	برقوق
—	—	—	—	—	١١	—	قتيب (عقار طبي)
—	—	—	—	—	—	١٠	ذيول الخيل
٥	٥-٣	٥-٣	٥-٣	٥-٣	—	٥	خرقة وحدايد من كل صنف
—	—	—	—	—	—	—	عنب في صناديق
—	—	—	—	—	—	١٠	عنب طازج
—	—	—	—	—	—	١١	عنب جاف
—	—	—	—	—	—	—	مواقد طينية
—	—	—	—	—	—	١١	هرقسوس

التي كانت تخضع لها

في بولاق					في دمياط
من بلاد البربر وبلاد السلطان	من بلاد النصارى		من أوربيين إلى تجار	مصريين إلى تجار	من أوربا وآسيا وبلاد البربر
	إلى تجار مصريين	إلى تجار غير مصريين			
%	%	%	%	%	%
٤	٢	١	٣	٣٠	—
٤	٢	١	٣	١ — ١٥ للواحد	٢٩ مدين لكل ١٠ ألواح
٤	٢	١	٣	٧ للسكنة	١٢ %
٤	—	—	—	٥٠ للبالاة	١٢
١٠	—	—	—	٦ للقنطار	—
١٠	—	—	—	٦٠ للبرميل	—
٤	٢	١	٣	١ للواحدة	—
١٠	—	—	—	٦٠ للصندوق	٣٠ مدين للصندوق
١٠	٢	١	٣	—	١٠ %
—	—	—	—	١٨ للبالاة	١٢
٧	—	—	—	٥ — ٩ للسلة	١٢
١٠	—	—	—	٥٠ للبالاة	١٢
١٠	—	—	—	٨	—
١٠	١	١	٣	٣٨ للصندوق	١٠
١٠	—	—	—	١٥	٣٦ مدين للصندوق
١٠	—	—	—	١٠ للسلة	١٠ %
١٠	—	—	—	٥ — ٩ للسلة	١٢
١٠	—	—	—	١ لسكل موقد	١٠
١٠	—	—	—	١٣ للبالاة	١٢

الرسوم الجمركية

[illegible]

التي كانت تخضع لها

اشتهأها تجار مصريون في الاسكندرية	في بولاق				في دمياط
	من بلاد النصارى		من بلاد السلطان وبلاد البربر		من أوروبا وآسيا وبلاد البربر
	إلى تجار مصريين	إلى تجار غير مصريين	إلى تجار أوروبيين	إلى تجار مصريين	
مدينى	%	%	%	%	%
٥١ للرطل	—	—	٢	١٠	—
١٨ للصندوق	—	—	—	٤	١٢
٣ - ٣٠	—	—	٢	٤	} القادم من سوريا ٣٠ م للالة الصغيرة ومن دمشق ١٠ %
٣ - ٣٠	—	—	٢	٤	
٢٥ للقطعة	٣	١	٢	٤	
٤٠ للصندوق	—	—	٢	١٠	١٠
—	—	—	—	—	١٠
٨ للالة	—	—	—	١٠	١٠
١ - ٣ للواحدة	—	—	—	١٠	—
٢٥ للصندوق	٣	١	٢	٤	—
٧ - ٢ للرطل	—	—	—	٤	١١ - ٢٠ مدينى للرطل
٧ - ٢	—	—	—	٤	
٥ للعبة	—	—	—	١٠	١٢ %
١٥ - ٦٠ للقطعة	٣	١	٢	٤	١٠
٨ للالة	—	—	—	١٠	١٠
٦ لكل ١٦٥ رطلا	٣	١	٢	٤	—
٢ لكل زوج	—	—	—	٤	١٢
٩٨ البرميل الكبير	٣	١	٢	١٠	—
٨٠ لكل ٧٥ رطلا	—	١	٢	٤	—
٦٠ المقنطار	—	—	—	١٠	١٢

التي كانت تخضع لها				
في دمياط				
في بولاق				
اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية	من بلاد النصارى		الى بلاد السلطان وبلاد البربر	
	الى غير مصريين	الى مصريين	الى تجار أوربيين	من تجار مصريين
مدينتى	%	%	%	%
١٢ - ٣ للواحد	—	—	—	٤
٢٧ للباية	—	١	٤	٤
٢ - ٥ للواحدة	—	—	—	٤
١٢ - ٥	—	—	٢	٤
٩٠ للبرميل	٣	١	٢	٤
١٥ - ٣ للقطعة	—	—	—	٥
٥ - ١ للقطعة	—	—	—	٤
١ لكل أربعة	—	—	٢	٤
٥ - ١ للقطعة	—	—	—	٤
٤٠ - ٣	—	—	—	١٠
١٢ - ١	—	—	٢	٤
٢٠ - ٤	٣	١	٢	٥
٢٨ للباية	—	—	—	١٠
٨	—	—	—	١٠
٨	—	—	—	١٠
٧ للقنطار	٣	١	٢	٤
—	—	—	—	—
—	—	—	—	—
٧٥ للبرميل الكبير	٣	١	٢	٤
٢ للخروج	—	—	—	٤
من أوروبا وآسيا وبلاد البربر				
%				
١٢ - ٢١ مدينتى للسرج				
من تركيا ١٠ % ، من سوريا				
٢ - ٤ للآلة؛ للسعوط ١٢ %				
١٠				
١٠				
—				
١٠				
٥				
١٠ %				
١٠				
١٠				
١٠				
١٢				
١٠				
١٠				
١٠				
٥٠ مدينتى للبرميل				
—				
١٠ %				

تجارة الجزيرة العربية والهند

الرسوم التي تخضع لها في جمرک السويس مقر وصولها	اسم السلعة
١٦٥ مدينى للقنطار	ألوة (صبر)
١٦٥ د د	عنزروت
٩٩ د د	حتليت
١٦٥ د د	مرهم من مكة
١٦٥ د د	صمغ جاوة (لبان جاوة)
٩٩ د د	خشب هندى
لا يسدد أى رسوم	خشب عطرى
١٦٥ مدينى للقنطار	خشب الصندل
٦٦ د د	خشب فرنامبوك
٤٠٠ مدينى للفرد	بن من موخا
٨٢ د د	بن بقشره
١٦٥ د د	قرقة
٣٤٠ مدينى للقنطار	قاقلة (بذور تنتج زيوت عطرية)
قطعة عيننا عن كل ١٠ قطع	أحزمة
شرحه	شيلان
٦٦ مدينى للقنطار	ششم
٢٥ د د	جوز الهند
لا تسدد أى رسوم	حلويات
١٦٥ مدينى للقنطار	كوبال (صمغ اللطلاء)
٦٦ د د	البوصير (ثمرة سم السمك)
لا يسدد أى رسوم	غزل قطن هندى
٩٩ مدينى للقنطار	—
٢٦ د للآردب	سن السمك
لا يسدد أى رسوم	—
شرحه	—

الرسوم التي تخضع لها في جرك السويس مقر وصولها	اسم السلعة
٢٣ مدينى للقنطار	بخور
قطعة عينا عن كل ١٠ قطع	أقشة
١٦٥ مدينى للقنطار	—
قطعة عينا عن كل ١٠ قطع	أقشة قطنية
لا يسدد أى رسوم	تنباك (نوع من التبغ)
٦٦ مدينى للقنطار	زنجبيل
لا يسدد أى رسوم	صمغ
١٦٥ مدينى للقنطار	صمغ
٣٢ د	صمغ لك (عصارة راتنج لصبغ الجلود)
لا تسدد أى رسوم	بذور سوداء
٢٩٦ مدينى للقنطار	حب الملوك (بذور مسهلة)
٦٦ د	أصابع هرمس
١٩٨ د	نيلة وارد الهند
١١٠ د	خولان (عقار طبي)
٦٦ د	كرم
٦٦ د	—
لا يسدد أى رسوم	ليف
قطعة عينا عن كل ١٠ قطع	موسلين
٦٦ مدينى للقنطار	لهليلج
١٦٥ د	مر (أو صر)
٣٢ د	جوز ضد القيء
لا يسدد أى رسوم	جلود ماعز وخراف
٦٦ مدينى للقنطار	جمالونات وارد الهند
١٣٢ د	فلفل
٩٩ د	فلفل بالقرنفل
قطعة عينا عن كل ٢٠ قطعة	خزف

الرسوم التي تخضع لها في جمرک السويس مقر وصولها	اسم السلعة
لا تسدد أى رسوم	جذور (نبات) لتنظيف الاسنان
٩٩ مدينى للقنطار	راوند
٣٢ " "	ريته (ثمرة شجر الصابون)
١٦٥ " "	زرنیخ أحر
٩٩ " "	قاتل الدود (دواء)
لا يسدد أى رسوم	سنامكى
٦٦ مدينى للقنطار	لاوندة هندی
٩٩ " "	ترید (جذور عشب مسهلة)
٦٦ " "	جذور الزعفران

السلع

تجارة سنار ودارفور وفزان

السلع	الرسوم التي تخضع لها عند خروجها من جمرک مصر الحقيقية	السلع	الرسوم التي تخضع لها عند خروجها من جمرک مصر الحقيقية
عنب مرجان سن السمک مذهبات أجواخ أقشة سحرية قرنفل	١٢ مدينى لحولة الأتان و ٢٤ مدينى لحولة الجمل	نصال سيوف محلل مرايا ذهب لميع خردة وحاديد لاوندة أقشة قطنية	١٢ مدينى لحولة الأتان و ٢٤ مدينى لحولة الجمل

تجارة أوروبا وآسيا وبلاد البربر

السلع	الرسوم التي تسددها في الاسكندرية (١)			في دمياط (١)
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد الانصارى	الى بلاد السلطان والبربر واوربا
الصلب	% -	% -	% -	% ١٠
ألوة (صبر)	% ٥	٢٢ مدينى للقطار	% ٣	% ١٠
بنسون	% -	-	% -	% ١٠
حنليت	% ٥	٣٣٠ مدينى للقطار	% ٣	% ١٠
أطباق من الخزف	% -	-	% -	% ١٠
مرم من الهند	% ١٠	-	% -	% -
قح	% -	-	% -	% -
خشب الآلوة	% ١٠	-	% -	% -
خشب هندى	% -	-	% -	% ١٠

١
١٥١
١

(١) كانت الرسوم التي تحصل في الاسكندرية ودمياط تفرض دون تمييز على التجار من كل الجنسيات وكانت تتم جبايتها طبقا للتقدير السلع المشهورة اذنى من قيمتها الاصلية .

السلع	الرسوم التي تسدها في الاسكندرية				... في دمياط
	إلى ولايات السلطان	إلى بلاد البربر	إلى بلاد النصارى	إلى بلاد السلاطى والبربر وأوربا	
خشيب عطرى وخشب الصباغة	—	—	—	٪	١٠
خيوط وبر	—	٢ مدينى للقطامة	—	—	—
مطافه (وبر) حرير	—	٣٠ ٢	٪ ٣	—	—
وبر صنع القاهرة	—	١٥ ٢	٣	—	—
وبر عادى	—	٢٥ ٢	٣	—	—
وبر أحمر	—	٣ ٢	—	—	—
بن	٣٠ مدينى للقطار	١٦ مدينى للقطار	٣	٣ مدينى للقطار	٣ مدينى للقطار
فاقلة	٪ ٥	٣٣٠ مدينى للقطار	—	٪ ١٠	—
رماد الصودا	٢ مدينى للقطه	—	٤٠ مدينى للقطه	—	—
أطواق (إطارات)	—	—	—	—	٣٠ مدينى لكل ١٠٠ إطار
شيلان صوف من الفيوم	٣ مدينى للواحد	—	—	—	٣ مدينى للواحد

السلع	الرسوم التي تسدد لها في الاسكندرية			الى ولايات الاسكندرية	الى بلاد البربر	الى بلاد انصارى	الى بلاد السطاط والبربر وأوربا
	السلع	الى ولايات الاسكندرية	الى بلاد البربر	الى بلاد انصارى	الى بلاد السطاط والبربر وأوربا	الى بلاد السطاط والبربر وأوربا	الى بلاد السطاط والبربر وأوربا
شيلان واقشة من الهند	شيلان واقشة من الهند	١٠	—	—	١٠	١٠	١٠
خارات (خار)	خارات (خار)	—	—	—	١٠	١٠	١٠
ششم	ششم	٥	٣٣ مدينى القنطار	—	٣٣ مدينى القنطار	١٠	١٠
مساهير (حجم كينز)	مساهير (حجم كينز)	—	—	—	١٠	١٠	١٠
القرمزية	القرمزية	—	—	—	١٠	١٠	١٠
نمار جوز الهند	نمار جوز الهند	٥	—	—	١٠	١٠	١٠
كوبال (صنع للعلاء)	كوبال (صنع للعلاء)	—	٣٣ مدينى البالة	—	—	—	—
ثمرة البوصير (سم السمك)	ثمرة البوصير (سم السمك)	٥	٨٦ %	٣	٣	١٠	١٠
قرون اللبدان والماعز	قرون اللبدان والماعز	٥	١٢٠ مدينى القنطار	٣	٣	١٠	١٠
قطن على هيئة لوزات	قطن على هيئة لوزات	—	—	—	—	١٠	١٠

١
٣٥١
١

السلع	الرسوم التي تسدها في الاسكندرية			الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	في دمياط
	الى ولايات السلطان	%	%			
قطن في شكل رزم غزل قطن من الهند أحمر أزرق أبيض غزل قطن أغلبية حراب	—	٢٧ ١/٢ مدينى القنطار	٣	—	١٠	الى بلاد السلطان والبربر وأوروبا
	—	٣٠٠ مدينى القنطار	٣	—	—	%
	—	٢٠٠ مدينى القنطار	—	—	—	١٠
	—	٥٥ مدينى القنطار	٣	—	—	١٠
أغلبية حراب أغلبية وسجا جيد من الهند أغلبية من سوريا شمر عرفة الخيزول	٤ مدينى القنطار الواحد	—	—	—	—	١٠
	—	٢٠ مدينى القنطار	—	—	—	٣ مدينى للواحد
	—	٦ مدينى القنطار	—	—	—	٣ مدينى للواحد
	—	٦ مدينى القنطار	—	—	—	٣ مدينى للواحد
جلود جاموس جلود بقر وجمال وثيران مجرة	٤ مدينى للجلد	٦ مدينى للجلد	٣	—	—	٣ مدينى للواحد
	٢ مدينى للجلد	٦ مدينى للجلد	٣	—	—	٣ مدينى للواحد
	٣ مدينى للجلد	١٣ مدينى للجلد	٣	—	—	٣ مدينى للجلد
	٣ مدينى للجلد	١٣ مدينى للجلد	٣	—	—	٣ مدينى للجلد

السلع	الرسم التي تسددها في الاسكندرية			في دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوروبا
بلح مخفف (تمر) سن سملك ديتي منشوش وهو أقشة قطانية تسمى نانكين أو باران ويسمىها الإنجليز ديتي ماء الزهر بخور عسل سود عقاقير طبية من كل نوع قصدير أقشة صوفية تسمى زعبوط أقشة حيرية من الاسكندرية والمخلة الكبرى	١٢ — ١٣ مدينى للقطار ٥ % — — ٥ مدينى الواحد ٢٥ مدينى الواحد — — —	١٣ مدينى للقطار ٣٣٠ مدينى للقطار ٢ مدينى للقطعة — ٣٠ مدينى للقطار — ٦ مدينى للقطار — —	٣ % ٣ % ٣ % — ٣ % — ١٠ % ١٠ % ١٠ % ١٠ مدينى للقطعة ١٠	٤٥ مدينى للقطعة — — — — — ٤٥ مدينى للقطعة ١٠

السلع	الرسوم التي تسدها في الاسكندرية			
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوروبا
ذلك حديد على هيئة قضبان زنجبيل صمغ الك صمغ الكون بذور كوشن كتان خشن حناء (الصمغ) ظافر وشعر للنساء أصابع هرمن درجة أولى درجة ثانية درجة ثالثة الإيالة عاج	%	%	%	%
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—
	—	—	—	—

السلع	الرسوم التي تسددها في الاسكندرية			
	الى ولايات الاساطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	في ديمياط
	%		%	%
كلخ	—	١١٠ مدينى للقنطار	—	١٠
خولان (عقار طي)	—	د ١١٠	—	١٠
كرم	٥	د ٨٦	٣	١٠
صوف	—	د ٢٧	٣	١٠
خضر وت وجوب وعلف	—	١٦ مدينى الإردب	١٦ مدينى الإردب	١٠٠ مدينى الإردب
كتان	٥	٤ مدينى للباقة	٣	١٨ مدينى لكل ١٠٠ رطل
كتان مغزول	—	٦ مدينى للباقة الصغيرة	٣	د ٢٦ ١/٢
حياشى جوخ	—	—	—	% ١٠
قندور بخارية	—	—	—	١٠
موسلين من الهند	١٠	—	—	١٠
اهليلج	٥	٨٦ مدينى للقنطار	٣	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
✓	٥	٨٦ مدينى للقنطار	٣	% ١٠

السلع	الرسوم التي تسددتها في الاسكندرية			
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد انصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوروبا
صدف لؤلؤ	—	٦٦ مدينى للباية	٣ %	—
ملح النطرون	—	٣٣ مدينى للباية	٤٠ مدينى للقفة	—
حصر	—	—	—	٢ مدينى للواحدة
بنديق	—	—	—	١٠ %
بنديق من الهند	١٠	٨٦ مدينى للقنطار	—	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
جوزة القتيه	٥	٨٦ مدينى	٣	١٠ %
جلود	١ مدينى لكل جلد	—	—	١ مدينى لكل جلد
جلود رقيقة	٨ مدينى	—	—	٣ مدينى لكل جلد
ريش النعام	٥ %	—	٣	١٠ %
حصن	—	—	—	٩ مدينى للإردب
سمك ملح	٤١ مدينى للبرميل الكبير	—	—	—
سمك مجفف	٨ مدينى للبرميل	—	—	—

السلع	الرسوم التي تسدها في الاسكندرية				٠٠٠ في دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبيرواوريا	
فانفل	%	%	%	%	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
خنزف	٥	٨٦ مدينى للقطار	٣	—	—
رصاص بن دق	١٠	—	—	—	١٠ %
مسحوق لصباغة الخيزول	—	—	—	—	٣٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
ارز	—	٤ مدينى للاردب	—	١٣٣ مدينى للاردب	٧٠ مدينى للاردب
عبادات صوفية للفلاحين	٢ مدينى الواحدة	—	—	—	٣ مدينى للقطعة
زهور جافة	—	٢٧٤ مدينى للقطار	—	—	—
زعفران	—	—	—	—	٦ مدينى لكل ١٠٠ رطل
—	٥	١٣ مدينى للباله	٣	—	١٠ %
ملح	—	—	—	—	٢٥ مدينى لكل ١٠٠ ارادب
ملح النوشادر	٥	٣٠ مدينى للقطار	٣	—	١ مدينى للرطل
ملح البارود	—	—	٣	—	١٠ %
بنزور الييسر	—	٢٦ مدينى للقطار	٣	—	—

السلع	الرسوم التي تسدها في الاسكندرية			
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوروبا
سنامكى	٥	—	٣	١٠
خبث	—	١ مدينى للقطعة	—	—
مناشف (فوط) صنع دمشق	—	١٢ - ٦ مدينى للقطعة	—	—
مناشف (فوط) صنع القاهرة	—	٦ مدينى للقطعة	—	—
كبريت	—	—	—	١٠
مسكر	٥	٢٠ ١/٢ مدينى للقطعة	٣	١٠
سكر مكرر	٥	٤١ مدينى للقطعة	—	١٠
تبغ	١٠	—	—	١٠
بودرة تبغ (سموط)	—	—	—	١٠
تفاز	—	—	—	١٠
نمر هنلى	٥	٤٥ مدينى للقطعة	٣	١٠
مناخل (منخل) ناعمة	—	—	—	١٠
فناجين من الخزف	—	—	—	١٠

السلع	الرسوم التي تسدها في الاسكندرية			في دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوروبا
لوازم النسيج	%	%	%	%
أقشنة هماو في	—	٣٧ ½ مدينى القنطار	٣	—
صلصال لصنع النارجيلات	—	٤٠ مدينى القنطار	—	—
أقشنة عاتكى	—	—	—	٥
زرقاء	—	١٥ مدينى القنطار	—	—
ضابولى من القسطاططينية	—	٣	٣	—
من مصر	—	٢٠	—	—
عادية	—	٥	—	—
من القطن	—	١٥	—	—
الكتان	—	—	٢	٣٠٠ مدينى للباقة
للمصان	—	—	٢	—
من الهند	—	—	٢	١٠

(وصف)

السلع	الرسوم التي تسدها في الاسكندرية			في دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد انصاري	الى بلاد السلطان والبربر واوروبا
<p>أقصد ملوكة</p> <p>درجة أولى</p> <p>عادية</p> <p>شعبية</p> <p>فستلى</p> <p>جبتي</p> <p>للارائك</p> <p>للفلاح</p> <p>سهن</p> <p>عمائم</p> <p>خراطين نارجيلات على شكل أعواد</p> <p>جذور الوصران</p>	%	%	%	%
	—	٦ مديني للقطعة	٣	—
	—	د	—	—
	—	٤٠ د	—	—
	—	د	—	—
	—	٣٠ د	—	—
	—	د	—	—
	—	٢٠ د	—	—
	—	د	—	—
	—	٣ د	—	—
١ مديني للقطعة	—	د	٣	—
	—	للإبالة	—	—
	—	د	—	—
	—	٤	—	—
١ مديني للقطعة	—	—	—	—
	—	٣ مديني للقطعة	—	—
	—	د	—	—
١٠	—	د	—	—
	—	٣٠ د	—	—
١٠	٥	٢٦ مديني للقطعة	٣	١٠

تجارة الجزيرة العربية والهند

السلع	الرسوم التي تسددها في جمرک السويس	السلع	الرسوم التي تسددها في جمرک السويس
صلب ابر عنبر أصفر سلفور الرصاص زرنیخ قح مواسير بندق قرمزیه ومصنوعات زجاجية من كل نوع أجواخ شمعية حديد فول أسلاك حديد	لم يكن تصديرها يخضع لأي رسوم	أسلاك نحاس أصفر نصال سيوف عدس مرايا ذهب لميع ورق ناعم مصقول قروش أسبانية رصاص أرز جنیهات ذهبية من البندق كبريت تالاري (ريال) امبراطوري نحاس قديم أملاح معدنية	لم يكن تصديرها يخضع لأي رسوم

وكانت الواردات القادمة من ممالك سنار ودارفور وفزان تبلغ النيل عادة عند أسوان أو سيوط . وقد لا يكون بوسعنا أن نضفى أية صبغة من الشرعية على الرسوم التي قررت العادة سدادها فى الولايات التى تعبرها هذه الواردات قبل أن تصل الى القاهرة ، ولقد أدى سلوك الحكام الذين فرضوا هذه الرسوم بشكل استبدادى الى نشأة مبدأ خلاصته أن من المستحيل أن يدع واحد من البكوات قافلة تمر بولايته دون أن يخضعها لأداء ضريبة له . ولقد تحولت هذه المطالب التى كانت تعسفية فى الأصل ، بسبب تقادمها وبسبب مراعاة أولئك الذين قرروها لعدم المبالغة فى مقدارها حرصا على مصالحهم ، وحتى لا تؤدى الى توقف التجارة التى تتحملها — تحولت فى السنوات الأخيرة الى اتاوات مستقرة ومعترف بها . ومن المعروف ، أنه بخلاف الرسوم التى كانت تسدد فى جمرک مصر العتيقة :

كان يدفع عن أي عبد أو أمة	٤٨٠	مدينى
والجمل المحمل بالصمغ	٩٠٠	»
» بريش النعام	١٩٨٠	»
» الذى لا يحمل شيئا	٢٤٠	»

ومنذ أصبحت مصر فريسة للانقسامات الداخلية ، ومنذ أصبح الصعيد هو مأوى الحزب الذى تدور عليه الدوائر ، وجرجا هى المقر المعتاد للبك الموكل بأمر احتواء هذا الحزب ، بدأت القوافل التى كانت تصل الى أسوان لتعبر على التوالى الولايات التى يحتلها كلا الحزبين المتنافسين تتعرض لسداد ضعف الرسوم المعتادة .

وبخلاف هذه القوافل ، كانت هناك قوافل أخرى تصل الى بولاق ، قادمة من الطور ومن وسط أفريقيا ومن سوريا .

وكانت الأولى ، وهى تتألف من عربان يقطنون جبل سيناء ، تنقل الى القاهرة والى كل مصر السفلى الصمغ والفحم والكثيرى ، وكانت هذه السلع تخضع لرسوم دخول مقررة فى جمرک بولاق (١) .

(١) لم يكن الفحم يدفع أى رسوم .

أما الغرض الرئيسى للقافلة فكان هو الحج الى مكة ، وكانت تبدأ من اقصى امبراطورية مراكش متخذة طريقها الى القاهرة ، ضامه اليها فى طريقها حجاج الجزائر وتونس وطرابلس ثم تكمل رحلتها مع قافلة مصر سابقة اياها او متخلفة عنها بمسافة مسيرة يوم واحد .

وكانت هذه القافلة تضم بعض التجار يحملون الى الجزيرة العربية سلعا صغيرة الحجم مثل الأجواخ والقرمزية الخ ، ويجلبون منها البن المشهود له بأنه أجود أصناف البن ، وذلك بسبب عدم مروره بالبحر ، كما يجلبون كذلك الشيلان والبخور ، وبصفة عامة كل ماخف حمله وغلا ثمنه . ولم يكن هؤلاء التجار يسددون أى رسوم جمركية ، ذلك أن كل السلع التى تصدر أو ترد مع قافلة الحج ، كانت معفاة من كل الرسوم .

وعندما تكون الملاحه خطرة ، كانت تصل من سوريا بعض القوافل ، حاملة نفس السلع التى تمدها هذه البلاد مصر عن طريق دمياط ، وفى هذه الحالة كانت صادرات مصر الى سوريا تصل اليها عن نفس الطريق ، وكانت رسوم الدخول والخروج تقتصر على تلك التى تحصل فى جمرک بولاق .

وكانت التجارة مع أوروبا تنهض مستقرة على أسس اتفاقيات تحدد الرسوم التى ينبغى عليها أن تسددها، وتعود أقدم هذه الاتفاقيات طرا ، وهى تلك التى عقدت مع الفرنسيين والبنادقة ، الى فترة قريبة من وقت فتح مصر على يد السلطان سليم ، وبعد ذلك تمتع بنفس هذه الامتيازات كل من الالمان والانجليز ، ثم على التوالى كل الامم الاوربية التى تحالفت مع العثمانيين ، ويكفى أن نقارن الرسوم التى كان رعيا السلطان يدفعونها ، بتلك الرسوم بالغة الاعتدال التى تحصل من الاوربيين ، كى نتبين المزايا التى كان الآخرون يتمتعون بها ، ولم تكن ثمة سوى حالة واحدة يحظى فيها المصريون أو الأتراك بمعاملة أفضل من معاملة الاوربيين، هى حالة شرائهم السلع من الاسكندرية بقصد ارسالها الى القاهرة ، فقد كانوا عندئذ يخضعون لسداد رسم ثابت يسبب عن كل باله أو قطعة ، يؤدونه فى بولاق ، على حين كان الاجنبى الذى يفعل نفس الشئ يدفع رسما قدره ١ أو ٢ ٪ ، وهو نفس الرسم الذى يخضع هو له حين تصله نفس هذه السلع من أوروبا أو تركيا .

لكن ذلك لا يحول بيننا وبين ان نبين الى اى حد كانت التجارة الأوربية تحت السيطرة الاستبدادية للماليك ، تتعرض للابترازات وللمعاملات السيئة ، وفد يكون تقدير السلع لايزال حتى اليوم ادنى من قيمتها الفعلية (عند تقدير الرسوم) ، ومع ذلك فان مطالب التجار التى تنهض على اسس اتفاقيات تسليم تتعارض مع كل تغيير فى السلع لم تكن لتحول دون تقييم هذه السلع بشكل يتناسب مع قيمتها المسائية ، ولقد كان من المتفق عليه بجلاء ان السفينة الأفرنكية (الأجنبية) التى تعدد الرسوم فى احد ثغور الامبراطورية (العثمانية) تتمتع باعفاء كامل فى بقية الثغور بمجرد ابرازها التذكرة (تذكرت) التى حصلت عليها من الجمرع هناك ، ومع ذلك فلم يكن هناك من يعترف بهذا البند فى الاتفاقيات ، فكانت المراكب الأوربية القادمة من ولايات السلطان تعامل وكأنها حملت فى الموانى التى قدمت منها ، سواء أبرزت او لم تبرز « تذكرت » الجمارك .

وكان محظورا تصدير الغلال والأرز والبن على السفن الأوربية وكذلك على السفن اليونانية برغم انها من رعايا السلطان ، وان ظل التدليس يهيب على الدوام لهذه السلع ان ندخل ضمن حمولات هذه السفن مقابل بعض الهدايا ، لكن تصدير القمح والأرز كان اكثر من ذلك صعوبة ، وكان الامر يتطلب خرقا اكبر للوائح التى تمنع تمام ذلك عن طريق سفن مسيحية حتى ولو كانت هذه الجيوب متجهة الى احدى ولايات الامبراطورية (العثمانية) ، ومع ذلك فحيث امكن اسنصدار فرمان خول لنا حتى نقلها بحرا فى حالة انعدام وجود سفن مسلمة ، فقد توصلنا عن طريق هذه الحيلة الى نقل هذه الغلال الى اوربا بعد ان كانت سفننا تقوم بجولة لواحد من الثغور التركية ، وهكذا امكن لفرنسا خلال عام ١٧٩٣ والأعوام التالية ان تستورد الكثير من السلع الغذائية من مصر . وكانت كل حمولة من هذا النوع تدفع من ١٣ الى ١٥ ألف مدينى رسوما جمركية ، وبالمثل فقد ادخلت العادة رسم تخليص على الحمولات التى تتكون من سلع اخرى كان تقديرها يتم بالاتفاق بين رجال الجمارك وقبطان السفينة . وكانت سفن راجوزة تخضع بالإضافة الى ذلك لرسم قدره ٢٪ لصالح حكومتها ، التى كانت تترك ١/٤ هذا الرسم للجمرك حتى تكفل لرعاياها وسائل شحن سهلة . ومع ذلك فان هذه البدع التى كان الافرنج يخضعون لها حتى يحصلوا على عمليات تجارية مربحة أو يقوموا بجولات كانت محظورة عليهم

لم تكن مجحفة أو ضارة بالتجارة الا فى أنها كانت الأساس الذى هيا
لنشأة اتاوات أخرى باهظة بشكل حقيقى .

وفى عهد حكومة على بك قام حنا فخر ، المسيحى السورى ، والذى
كان قد حصل على التزام جمرك دمياط بكثير من المكائد والدسائس
حتى أمكنه الحاق الدمار باليهود، ففقدوا التزام الجمارك الذى كانوا يديرونه
منذ زمان لاتعبه الذاكرة .

وقد سبق لنا القول بأن الرسوم التى تحصل عن السلع فى
الاسكندرية أو دمياط لم تكن لتعفيها من أن تسدد رسوما جمركية أخرى فى
بولاق عندما تصل الى القاهرة ، ولما كان ملتزمو الجمركين الأولين متوحدى
المصالح مع ملتزمى جمرك بولاق فقد كانوا يزودون التجار بوسائل تمكنهم
من التخلص من جزء من الرسوم واجبة الأداء فى الجمرك الأخير ، ولكن
حين أصبح حنا فخر ملتزما عموميا فقد أبطل أمور التدليس هذه وذلك
بأن وضع تحت أمرته عوائد جمارك الاسكندرية ودمياط وبولاق (١) ، ومع
ذلك فان عدم حرصه على أن يحتفظ لكل جمرك باختصاصاته المتميزة ،
بالإضافة الى لا مبالاته التى كان يرى معها أنه سيحصل ولا بد فى بولاق
على ما كان ينبغى أن يحصل عليه فى الاسكندرية أو دمياط — كل ذلك
قد التى بالشكوك حول العائد الخاص الذى يحققه كل جمرك ، وفى
نفس الوقت فان اضطراب هذه العوائد ، وهو الأمر الذى جر معه
اضطرابا فى الرسوم الجمركية نفسها ، قد أدى بالضرورة الى انعدام
التوافق أو التلاؤم الذى كان ينتظر حدوثه من وراء ادخالها (الجمارك)
ضمن التزام شخص واحد . ولقد فرضت تحت ادارته ، وتحت ادارة الذين
أعقبوه ، رسوم باهظة على كل الرحلات الى ليفورينو وترىستا ، كما
خضعت السفن التركية والافرنجية التى كانت تشحن فى دمياط ، بالإضافة
الى ذلك ، لاداء اتاوة قدرها ٢٠٠ بوظقة ، ظلت تتضاعف خلال السنوات
الآخرة حتى بلغت نصف رسوم شحن ، وحيث لا تقدم أية ذرائع لتبرير
مثل هذه المظالم الاستبدادية ، فقد كان بمقدور التجار أن يجدوا دوافع

(١) لم يكن جمرك بولاق مستقلا عن جمرك مصر العتيقة فيما يختص
بتسديد الميرى % ومع ذلك فقد ضمن الأول فى عقد مدير عموم الجمارك فى
حين ظل الجمرك الثانى فى عهدة وكيل خاص .

حقيقتة لالقاء اليوم على وكلاء الأمم الأوروبية في تساهلهم في هذه الأمور لولا أنهم يدركون كيف أنه من العسير على هؤلاء أن يصارعوا بنجاح ضد رجال الجمارك في مصر . ولقد كانت المكاسب التي يهيئها رجال الجمارك لهؤلاء البكوات تضمن لهم سطوة تجعل كل شيء رهن مشيئتهم في المواقع والثغور التي يتم فيها تحصيل الرسوم ، وكان السردارات والأغوات والضباط العسكريون الآخرون الذين يتولون القيادة هناك يجازفون بمناصبهم أو بتعرض أنفسهم للعقاب إذا هم ساروا على غير هوى هؤلاء . وكانت الوسائل العديدة التي في حوزتهم والتي يستطيعون بها تسهيل أو تعويق أو حتى منع عمليات الشحن تخضع للتجار والإمر كذلك لسلطوتهم (١) .

أما في جمرک السويس فلم ترتفع إلا الرسوم المقررة على البُن ، فمنذ نحو سبعين عاما أمر الباب العالي نفسه بأن تزيد هذه الرسوم لنبلغ ١٤٦ مدينى عن كل فرد لصالح أمير الحج ، كما فرض الكخياوان ابراهيم ورضوان لحسابهما خمس بوطاقات أخرى عن كل فرد ، أما على بك الذى تلاهما في الحكم فقد غالى على هذه البدعة ، وأخيراً وصل بها مراد و ابراهيم الى ١٨ بوطاقة (عن كل فرد) حين توقف صندوق الجمرک عن ايراد اية حصيلة .

ونقدم هنا بعض لمحات عن الأسباب التي أدت به الى هذه الحالة من الافلاس . فعندما حصل البكوات على نصيب من دخول الجمارك لم يتغير شيء في الأسلوب المتبع في تحصيل الرسوم . فبمجرد أن تلامس السفن المحملة بسلع الجزيرة العربية والهند شاطئ السويس كان أفندى الإدارة في الجمرک — وهو يحمل اسم قاضي البحار — يرسل الى المرفأ كاتباً موكلاً بتقدير واردات البُن ، وبأن يحرر بياناً بأسماء التجار الذين وردت هذه السلع لهم : ويرسل هذا البيان الى قاضي البهار ليتخذ منه أساساً لتقدير وتوزيع الرسوم واجبة السداد والتي قررها الباشا والبكوات . وكان تسليم البُن يتم فور تمام هذا الاجراء

(١) فر احدثهم وهو انطون قسيس فرعون من مصر ليستقر في تريبستا بعد أن كدس ثروة طائلة تتكون من عدة ملايين من حصيلة التزام الجمارك .

ويقوم النجار الذين أصبحوا ملاكا لهذا البن بسداد الرسوم التى قدرت عليه ، وقد استفاد قادة الحكومة من نظام للامور جعلهم فى علاقة منفعة مع التجار فحصلوا لأنفسهم منهم على قروض ، وأدت التسهيلات التى قدمت لهؤلاء لاستيفاء ديونهم عن طرق خصومات تتم على مقدار الرسوم التى كان عليهم أن يسددوها طبقا لرساليات البن التى جاءتهم ، بالإضافة الى ربح (القروض) البالغ ٢٠٪ الذى وعدوا به والذى كان يضمن الحساب بالفعل — أدت بهؤلاء الى أن يصبحوا المساهمين والملتزمين لهذا الجمرک . ولم تلبث كل دخولهم أن أصبحت تعتمد اعتمادا تاما على هذه المنشأة . وهكذا كفت واردات البن عن أن تصبح وفيرة ، وتناقصت تبعا لنسبة الرسوم التى حملت بها ، وكف التجار الأجانب عن ادارة الجمرک (أى الذين لا يتعاملون معها بالقروض) عن المضاربة على هذه السلعة الغذائية ، وحين رأى الأوربيون أنهم سيحصلون على فوائد أكبر اذا ما جلبوا هذه السلعة عن طريق رأس الرجاء الصالح فقد أخرجوها من طريقها المعتاد ، بل أن الشرقيين انفسهم أخذوا يفضلون استجلابها الى أزمير عن طرق Tokat والخليج الفارسى عن مواصلة التزود بها عن طريق السويس (١) ، وحين لم تعد رسوم البن تهية وسيلة أكيدة لتغطية القروض التى لم يكن البكوات يكفون عن أن يجعلوا منها مصدرهم الثابت للدخل أصبح خراب المساهمين أمرا يستحيل تجنبه ، وبعد بضع سنوات شعر البكوات خلالها بمدى الخسارة الهائلة التى لحقت بهم، إذ كانت الأرصدة التى تهيتها الجمارك قد ضاعت ، وظل سداد القروض معلقا .

وعندما طرد القبطان باشا حسن البكوين ابراهيم ومراد من القاهرة، وولى مكانهما اسماعيل بك ، فقد أراد الأخير إعادة قيام تجارة البن فثبت رسوم الجمارك بـ ٢٢ بوطاقة عن الفرد (٢) وفى نفس الوقت فقد ضمن هذا الرسم الـ ٥٤٦ مدينى المخصصة للباشا وأمير الحج وكذلك الـ ٩٠٠ مدينى اللازمة للوفاء بالديون المستحقة للتجار (على البكوات) وقد أدت هذه اللائحة الى احياء الثقة ، وجدد التجار المصريون (٢)

(١) وهذا برهان جديد على أن التجارة تستطيع فى النهاية أن تشق لنفسها طريقا آخر كى تتخلص من المظالم الخرقاء .
(٢) كما سبق القول فإن الفرد هو بالة تزن ١٨٥ ك.ج (المترجم) .
(٢) لم يكن التجار الأجانب المقيمون بمصر يتلقون أية ارسالية بن من الجزيرة العربية ، بل كانوا يشترون من التجار المصريين البن الذى يصدرونه الى أوروبا .

معاملاتهم ، واوشكت الواردات أن تماثل في حجمها الكبير مكائث عليه
في الماضي ، ومع ذلك ولسوء الحظ فقد مضت التجربة دون أن يستخلص
منها الاستبداد الجشع والنهم الدرس الواجب استخلاصه ، فما أن استقر
ابراهيم ومراد بالقاهرة مرة أخرى حتى بدءا ابتزازاتهما من جديد ، واعادا
الأمور قريبا من الحالة التي وجدها عليها اسماعيل ، ولم يتغير عائد
الجمرك (أى لم تزد حصيلته) بسبب الرسوم الباهظة التي فرضها ،
لسكن الواردات هي التي أصبحت بالغة الضالة .

ولم تكن السلع الأخرى التي تصل عن طريق السويس تدفع شيئا
آخر بخلاف الرسوم التي أنشأها السلطان سليمان ، ولسنا نجد سببا
يفسر هذا الاعتدال الذي يتناقض كثيرا مع الأساليب المعتادة في الإدارة
المصرية .

وبخلاف ذلك كانت تجبى في كل مكاتب تحصيل مصروفات جمركية
بلغت حدا من الكثرة أنها كانت تشكل عائدا ضخما للملتزمين وتغطي
مصروفات المكاتب ورواتب الكتبة ، فقد كانت كل السلع تخضع لهذه
الرسوم حتى تلك السلع التي كانت تجارها حرة . وكانت هذه المصروفات
أقل جسامة بالنسبة للأوربيين عنها بالنسبة لأبناء البلاد .

وكان رجال جمارك بولاق ومصر العتيقة والاسكندرية والسويس قد
اكتسبوا ميزات ووظائفهم بحصولهم من الباشا على الفرمان الذي
أنشأ أو اعترف لهم بالمراكز التي يشغلونها والذي أخضعهم لدفع الميرى :

فكان جماركا مصر العتيقة وبولاق	
يدفع ٢٠٨٠ ر. مدينى	
وكان جماركا الاسكندرية يدفع . . . ٢٧٠٤٠ ر.	
وكان رجال الجمارك بالسويس يدفعون :	
بالنسبة للشخص المقيم منهم بالقاهرة ١٦٣٤٣٣	
بالنسبة للشخص المقيم منهم بالسويس ٤١٠	
عن الوزن ٥١٠	
الاجمالى ١٩٣٤٧٣ ر مدينى	

تعاادل ١٥ س ٦٩٠٩ جنيها توريا ، وتعاادل بالفرنكات ، ٤٦ س
٦٨٢٤ فرنكا فرنسيا .

وحيث شغل المدير العمومى للجمارك المعين فى عهد على بك كل هذه المراكز فيما عدا مركزى مصر العتيقة والسويس فقد سدد الميرى المقرز عليها ، ولا نعرف لماذا لم يسلك الباشا نفس السلوك تجاه مدير جمرک السويس ، خصوصا منذ أصبح هذا الجمرک مضمنا عقد الملتزم العمومى .

وقد أنشأ البكوات الممالك جمرکين آخرين فى القصير ورشيد .

وقد حال الاتجاه الذى سارت فيه حكومة القاهرة لجذب تجارة الجزيرة العربية الى السويس ، دون أن يكون حجم انزال السلع فى القصير كبيرا ، وكانت الرسوم الجمركية تحصل هناك (فى القصير) لصالح كاشف قننا لعادة قررها هو نفسه أو ورثها عن أسلافه .

ولم يكن الغرض من انشاء جمرک رشيد تقرير رسوم جديدة ، بقدر ما كان الهدف منه هو التحقق مما اذا كانت لم ترتكب أية عمليات خداع أو تدليس فى جمركى بولاق والاسكندرية ، وهناك ، كان يتم التحقق من أن كمية ونوع السلع قد جاءتا مطابقتين للمخالصات الجمركية التى كان لابد من ابرازها وذلك بجعل حمولات السفن القادمة الى هذا الموقع تنتقل (من مراكبها) الى مراكب أخرى . وقد توصل رجال الجمارك — قبل مجيء الفرنسيين بسنوات قليلة — لأن يلحقوا بعمليات المراجعة والفحص هذه فرض رسم على كل كميات الساع ، وان كان الأوربيون قد تمسكوا بامتيازاتهم ولم يخضعوا مطلقا لهذه الرسوم ، وفى نفس هذا الوقت ، سمح مراد بك ، بعد أن أغرته المكاسب الهائلة التى سوف تعود عليه من تصدير الحبوب الى العالم المسيحى ، بتصدير هذه الحبوب مقابل تحصيل رسم قدره زر محبوب واحد (عملة ذهبية) لكل أردب ، وادت عمليات الشحن البحرى التى كانت تتم فى رشيد الى نشأة جمرک ، جنى منه مراد ، وهو الذى كان يديره لحسابه الخاص ، أموالا طائلة .

وحيث لم يكن يدفع أى مال ميرى الى الخزينة عن جمركى القصير ورشيد فان من الضرورى أن نشير اليهما باعتبارهما عبئا مضاعفا على حركة التجارة ، وليس باعتبارهما يشكلان جزءا من عوائد السلطان .

ولابد أن نضع في نفس هذه المرتبة تلك الرسوم التي كانت تفرض على التجارة الداخلية ، والتي كانت تعرف في بولاق والاسكندرية ورشيد ودمياط والسويس باسم جمارك صغرى أدت الى نشأة ضرائب أو مكوس على الاستهلاكات (التجارة) ، وكان التزام هذه المكوس يعطى عادة لرجال الجمارك الذين كانت لديهم المعرفة اللازمة بطبيعتها وتنوعاتها المعقدة .

ونقدم فيما يلي جدولاً بهذه الرسوم ، حصلنا عليه عن طريق هؤلاء الكتبة أو الموظفين الذين استبقيناهم في وظائفهم بعد وصولنا .

تمريفة الرسوم التى تحصل باسم جمارك صفرى فى مصر
على السلع القائمة من الخارج
وعلى السلع القادمة من داخل مصر

١ - سلع قائمة من الخارج

[illegible]

عندما تكون السلعة من المدين الموضحة وتكون تخضعه للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية						عندما تكون السلعة قادمة من داخل مصر وتدخل المدين الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلي						السلع
السويس	دمياط	رشيد	الاسكندرية	بولاق	مصر المتينة	السويس	دمياط	رشيد	الاسكندرية	بولاق	مصر المتينة	
		٦٠ للبرميل						مفتق				مقشحات
							شرجة	٩٠ للبرميل				هسايز
							شرجة	٤٥ للبرميل				مبيعات خشب
							شرجة	٩٠ للبرميل				قمرزبة
							شرجة	٤٥ للبرميل				جوز الهند
							شرجة	٩٠ للبرميل				حلويات
							شرجة	٤٥ للبرميل				من البندقية
							شرجة	٩٠ للبرميل				بوصري
							شرجة	٤٥ للبرميل				مرجان
							شرجة	٩٠ للبرميل				جبال
							شرجة	٤٥ للبرميل				مناكين شمعية
							شرجة	٩٠ للبرميل				بوظقات للصاغة
							شرجة	٤٥ للبرميل				حل من الزجاج والسكر يستال

ورد الألف وندة

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن المارحجة فإنها تخضع للرسوم البلدية فيما يلي					عندما تخرج السلع من المدن المارحجة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم البلدية						
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
ذهب خام ذهب براق قرب اللياه شبابيب وارد القسطنطينية ورق وارد جنوة و البنديقية جلود مصبوغة قذاحات للبنادق فستق رصاص ريش النعام	-	-	-	مدني	شرحه	-	-	-	-	-	-	-
	-	-	-	٩٠ للباله	-	-	-	-	-	-	-	-
	-	-	-	٤٥ للصندوق	شرحه	-	-	-	-	-	-	-
	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	-	-	-	٢٢-٤٥ م ١ ١/٢ للرزمة	-	-	-	-	-	-	-	-
	-	-	-	شرحه	٦ م للرزمة	-	-	-	-	-	-	-
	-	-	-	٢٠ م للكموم	-	-	-	-	-	-	-	-
	-	-	-	٢٠ م للزيميل الكبير	-	-	-	-	-	-	-	-
	-	-	-	٤٥ للصندوق	-	-	-	-	-	-	-	-
	-	-	-	٥ للسنيكة	-	-	-	-	-	-	-	-
-	-	-	٩٠ للصندوق	شرحه	-	-	-	-	-	-	-	-

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل الملمدن المورخنة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلي						عندما تخرج السلع من المدن المورخنة وتكون تخضعة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاقي	الاسكندرية	مديني	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاقي	الاسكندرية	مديني	دمياط	السويس
حراير	-	-	-	-	٩٠ للصندوق	-	-	-	-	-	-	-
منافيتج	-	-	-	-	٦٪	-	-	-	-	-	-	-
كبريت	-	-	-	٣٠ للبرميل الكبير	١٠٠ رطل	-	-	-	-	-	-	-
أحذية	-	-	-	٤٥ للباية	١٢ م	-	-	-	-	-	-	-
تنغ وارسوريا	-	-	-	-	٦٪ للزوج	-	-	-	-	-	-	-
توكيا	-	-	-	-	٤٨ للقفه	-	-	-	-	-	-	-
أكياس نفوق	-	-	-	-	شرحه	-	-	-	-	-	-	-
تفتاز	-	-	-	-	٤٠ لكل	-	-	-	-	-	-	-
عمر هندي	-	-	-	-	١٠٨ رطل	-	-	-	-	-	-	-

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المدينة فيما يلي								عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية							
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيده	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيده	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيده
من أكب حملة بالأكولات أو حطب الوقود	من ٤- ٥٤ من المركب الواحد	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	للجرة ٥٤٠-٥	للجرة ٥	-	للجرة ٢٠	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	٢٧	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	للأردب	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
أبقار	١٢ مدبني	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	للواحدة	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
خشب من العميد	٢٠	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	للحمولة	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
طواقي بيضاء	واحدة من	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
	كل عشرة	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم التالية						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
أغذية صوفية	١٢ كل ١٠٠ قطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
قطنة	٢٠٠ كل ١٠٠ قطعة	٢٥-١٠ لكل الواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
والخيول	١م للقطنة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
جرار كبيرة (بالص)	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
جلود أبقار وجاموس	١٣٧٤ لكل	—	—	—	—	—	—	١م الواحد	—	٢م الواحد	—	—
جلود من دمنور	١٠٠	—	—	—	—	—	—	٢م الواحد	—	٣م الواحد	—	—
نحاس قديم	٢٥٠ — ٣	٢٤م للقطنة	—	—	—	—	—	٢م للواحد	—	—	—	—
كون	٢م للأردب	—	—	—	—	—	—	٢٠م للباله	—	٢م للواحد	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموصلة فيها إلى					عندما تخرج السلع من المدن الموصلة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية				
	مصر العتيقة	بولاك	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاك	الاسكندرية	رشيد
جبوب النيل واردة الصعيد	٢٢ م القنطار	-	-	-	-	-	٥ م القفة	-	-	-
الفاخرة	١١ م الجوزة	-	-	-	-	-	٩ - ٤٤ م الجوزة	-	-	-
مهار لصنع الخمر	-	-	-	٢ لكر	-	-	٦ م الأردب	-	-	-
صوف	-	-	-	٢ م الببالة	-	-	-	-	-	-
عدين بحروش	-	-	-	٢٠ م الببالة	-	-	-	-	-	-
كان	-	-	-	٢٠ م الببالة	-	-	-	-	-	-
خشن	-	-	-	٢٠ م الببالة	-	-	-	-	-	-
كان مغزول	٥ م الجوزة	-	-	٢٠ م الببالة	-	-	-	-	-	-
كان على شكل رزم	١٠٠ لكل	-	-	٢٠ م الببالة	-	-	-	-	-	-
كان مبياني أجولة	٢٠٠ حزمة	-	-	٢٠ م الببالة	-	-	-	-	-	-
مكدنة وشعرية	-	-	-	٢٠ م الببالة	-	-	-	-	-	-

١٠ - ٨
للجوال

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسم المدينة فيا على						عندما تخرج السلع من المدن المار بخلفو تكون مخصصة					
	مصر المتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر المتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
بصل	٢ مدينى الجوال	—	—	—	—	٢٤ الجواله	—	—	—	مدينى	—	—
برقال	—	—	—	—	٤٠ مدينى	—	—	—	—	—	—	—
شعير	٧ مدينى الاردب الجواله	—	—	—	—	٢٤ الجواله	—	—	—	—	—	—
بطيخ	٩ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	—	—	—	—	—	—
جلود ماعز	٩ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	—	—	—	—	—	—
جلود خراف	٩ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	—	—	—	—	—	—
جلود رقيقه	٩ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	—	—	—	—	—	—
جلود طازجه	٩ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	٨ مدينى الباله	—	—	—	—	—	—
حجر كدكان (حجر مشق)	٢٠ دراهم الباله	٢٠ دراهم الباله	٢٠ دراهم الباله	٢٠ دراهم الباله	٢٠ دراهم الباله	٢٠ دراهم الباله	—	—	—	—	—	—

ولكى تصبح الفكرة التى نقدمها من تجارة مصر تامة ، كان لزاما علينا ان نقدم فى جدول اخير الارقام الدقيقة لعوائد المصارف ، بالاضافة الى قيمة وحجم وطبيعة الواردات والصادرات التى تمت هناك خلال الاثنى عشر عاما التى سبقت وصولنا الى هذه البلاد ، وان كان المديرون الفرنسيون الذين عيناهم فى كل ديوان عقب وصولنا ، لم يقدموا لنا بشكل يبعث على الرضا ، ما طالبناهم به من بيانات مستخلصة من السجلات التى كانت توضح دخول وخروج السلع خلال هذه الحقبة من الزمن . وقد اخبرنا المدير الفرنسى لجمرك الاسكندرية ان مراقبى الصحة قد احرقوا اوراق سلفه واوراق الجمرك كله لان سلفه هذا قد مات اثر اصابته بالطاعون . اما مديرا جمركى دمياط والسويس فقد سلما الينا بيانين لا يشيران مطلقا الى قيمة او طبيعة او حجم السلع الموردة او المصدرة ، وان كنا نستطيع استنادا اليهما ان نعرف فقط على حصيلة الرسوم التى حققتها هذان الجمركان منذ العام ١٢٠٦ وحتى العام ١٢١٢ من الهجرة ائى العام السادس من قيام الجمهورية الفرنسية (١٧٩٧) ، وبيان هذه الحصيلة كما يلى :

السنة الهجرية	دمياط				السويس
	واردات	صادرات	إجمالي	واردات	صادرات
	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى
١٢٠١	٨,٤٢٧,٩٠٧	٥٣٢,٠٠٣	٨,٩٥٩,٩١٠	٤١,٦٥٧,٥٢٧	لم تكن
١٢٠٢	٨,٩٠٧,٥٤٠	٨٤٥,٢٤٤	٩,٧٥٢,٧٨٤	٤٣,٣٧٥,٩٤٣	الصادرات
١٢٠٣	٨,٠٠٦,٩٢٠	٦٨٨,٧٢١	٨,٦٩٥,٦٤١	٥٠,٠٩٦,٦٨٢	تخضع لآى
١٢٠٤	٧,٣٨٣,٠٨٥	١,٣٠٩,١١٣	٨,٦٩٢,١٩٨	٢٨,٤٨٤,٣٥٨	رسوم
١٢٠٥	—	—	—	٣٥,١٧٦,٨٩٩	
١٢٠٦	١٠,٧٥٨,٩٨٤	٣,٠٢٤,١٠١	١٣,٧٨٣,٠٨٥	٣٩,٥٢٦,٤٩٢	
١٢٠٧	١٢,٠٢٨,١٧٧	٤٦٦,٣٠٢	١٢,٤٩٤,٤٧٩	٤٣,٧٨٣,٢٩٢	
١٢٠٨	٩,٦٣٥,٤٠٥	٣١٢,٨٨٢	٩,٩٤٨,٢٨٧	٢٧,٣٥٧,٢٨٦	
١٢٠٩	١١,٨٩٥,١٠٨	٨٣,٦٨٨	١١,٩٧٨,٧٩٦	١٧,٢٥٤,٩٨٥	
١٢١٠	١٣,٨٠٢,٧٤٥	٨٧٣,٣١٧	١٤,٦٧٦,٠٦٢	٤٤,٣١٠,٨٥٨	
١٢١١	١٤,٦٢٣,٧٢٨	٢,٠٣١,٤٥٦	١٦,٦٦٥,١٨٤	٣٦,٥٩٤,٦١٢	
١٢١٢	١٠,٧٣٧,٤٨٨	٦٤٥,٢٣٢	١١,٣٨٢,٧٢٠	٣٤,٤٩٥,٥٧٥	
	١١٦,٢١٧,٠٨٧	١٠,٨١٢,٠٥٩	١٢٧,٠٢٩,١٤٦	٤٤٢,١١٤,٥٠٩	
المتوسط السوى	١٠,٥٦٥,١٩٠	٩٨٢,٩١٤	١١,٥٤٨,١٠٤	٣٦,٨٤٢,٨٧٦	

ملاحظات :

(١) لم تحقق السنة القمرية ١٢٠٥ من الهجرة أى عائد فى دمياط لأنها واحدة من السنوات التى اكتشف المحاسبون المصريون انهم يفقدونها كل ٣٣ سنة لأنهم لا يقدرّون الضرائب الا بحساب السنوات الشمسية . ومع ذلك فلم تكن أى من هذه السنوات القمرية الاثنتى عشرة فيما يختص بجمرك السويس هى تلك التى تفقدها الادارة التركيخه للجمرك كل ٣٣ عاما بالمثل .

(٢) اذا كان الممالك يجنون فى السنوات الاخيرة ستة ملايين من التزام الجمارك ، كما أكد لنا البعض ذلك ، فلا بد أن رجال الجمارك كانوا يرتكبون الكثير من المظالم ، اذ ان حصيلة الرسوم المسجلة ، وفقا لما لدينا من بيانات ، لم تتجاوز اكثر من ثلاثة ملايين .

وتساوى معا ٤٨٣٩٠.٩٨٠ مدينى
ويزعم تجار القاهرة ان حصيلة جمرك الاسكندرية
هى نفسها تقريبا نفس حصيلة جمرك دمياط ، واذا
تبيننا هذا الرأى نجد لدينا
الرسوم المحصلة فى الجمارك بما فيها عوائد جمركى
بولاق ومصر العتيقة والتي يقال انها تصل الى
نحو ١٥٠.٠٠.٠٠٠

فلا تنتج سنويا سوى ٧٤٩٣٩.٠٨٤

تعاادل بالجنيهات الطورية
وبالفرنكات
١٨ ر ٢٦٤٣٣٥٣ (١)
٩٠ ر ٧١٩٠٧٦١٠
ثانيا - رسوم متفرقة

اما الرسوم الأخرى التى أنشأها السلطان سليمان ، نهى تلك التى
نوضحها فى الجدول التالى :
البحرين : وهو خاص بأوجاق العزبان والذى
يدفع عنه لخزينة السلطان مئرى قدره ٩٩٢ر٩٦٤ (٢)
الخردة : وهو خاص بنفس الأوجاق الذى
يسدد عنه مئرى قدره ٩٠٨ر١٧٤
رسوم على لبس سنط العنبر والسنامكى وهى

(١) كان المالك فى المدة الأخير يحصلون ضرائب من الجمارك تصل إلى ستة ملايين
- كما ضمنا نحن ذلك لأنفسنا - وطبقنا لرؤيتنا الخاصة ، فقد كانت الرسوم المدونة لا تصل
إلى ثلاثة ملايين ، وعلى ذلك فقد استخدم موظفى الجمارك نوعا من الابتزاز والضغط
(٢) لكن هذا الأوجاق لم يكن يدفع عن هذا الرسم من مال مسمى
سوى ٨٠٤ر٩٩٢ مدينى ، لأن الباشا قد استجاب لطلبات هذا الأوجاق
وأعفاه من مبلغ ١٦٠.٠٠.٠ مدينى .

(وكانت هذه ملاحظة وضعت بجوار الأرقام ، وقد حولتها الى هامش
زيادة فى التبسيط .
المرجم)

خاصة بأوجاق الانكشارية الذى يدفع عنها مال ميرى
 قـدره ٩٠.١٦٦٦
 رسوم على الجزارين فى الاسكندرية وتخص
 اوجاق الجاويشية الذى يدفع عنها ميرى قـدره ٤٣٢٥٦

اجمالى المال الميرى المقرر على هذه الرسوم ٢٨١٨٥٨٨ ر مدينى

د	س	
٢	١٧	١٠.٠٦٦٣ جنيهات توريا
وبالفرنكات	١٤	٩٩٤٢١ فرنكا فرنسيا

ومن المفترض ان رسوم البحرين قد وصلت الى القيمة التى وجدناها
 عليها عند وصولنا الى مصر ، عن طريق زيادات متتالية . وقد وجدناها
 تنقسم الى خمسة فروع : الاول والثانى والثالث وتشتمل على رسوم
 الفلال التى تصل الى بولاق ومصر العتيقة ، اما الرابع والخامس
 فيشتملان على رسوم على كل المراكب التى تعمل على النيل وفى الثغور
 والبحيرات .

وكانت الخردة تحصل على عروض اللهو العمومية والمهرجين
 والمشعوذين والعوالم والطبالين وكذلك على الاضرحة وعلى كل الصنائع
 والتجار فى مدن كثيرة . وهذه الرسوم المضمنة داخل هذا البند والتى كانت
 تتضاعف دونما حد فى عهد البكوات لم تكن معروفة على سبيل الحصر
 بالنسبة للإدارة الفرنسية ذلك أنه عندما انشئ التزام لهذه الأنشطة لم يوضح
 ما كان يحصل منها لسداد الميرى المستحق عنها .

أما الرسوم المقررة على لب السنط والسنامكى فتعطى (لدافعها)
 الحق المطلق فى حصد هذين المحصولين وبيعهما . وينمو السنامكى تلقائيا
 عند مداخل الصحراء الممتدة الى جنوب أسوان . وكان يعهد بحق جمعه
 عادة الى اشخاص يقومون بتداوله كسلعة تجارية . وكانت المراكب
 المستخدمة فى نقل هذا العقار الطبى تتمتع ببعض الاعفاءات . وفى
 السنوات الأخيرة ، كان ثمة عائلة واحدة من أسنا تتعامل مع ملتزم الحكومة
 بخصوص جمع لب السنط ونقله الى القاهرة . وسواء يعود الأمر الى نقص
 فى الانتاج أو تم بسبب مضاربات كانت تستهدف رفع سعره فقد أصبحت

شحناته اقل حجما ، ذلك أن مصر كانت تهيبء لاوربا فيما مضى أكثر من الف وخمسمائة قنطار من السناكى فى حين تقلصت صادراتها الحالية منه الى ٨٠٠ أو ١٠٠٠ قنطار فقط . وكان لب السنط يخضع لنفس الاحتكار ، وكان ملاك الاشجار التى تنتجه مضطرين لبيعه للملتزم الذى حصل على حق التزامه من البكوات . وقلما كان يصدر الى العالم المسيحي لب السنط الذى تنتجه مصر ، اذ هو اقل جودة بكثير من ذلك الذى يصلنا من المستعمرات لأنهم فى مصر يجمعونه قبل تمام نضجه ، وتكاد تركيا تستهلك كل انتاجه .

وتتكون الرسوم المفروضة على جزارى الاسكندرية والقاهرة من اطراف وجلود ورعوس . . البخ الحيوانات التى تذبح هناك .

وقد أصبحت الحصيلة الموضحة فى الجدول الآتى بيانه مادة للالتزام مشابه للالتزام الذى انشئ للرسوم التى انتهينا من الحديث عنها بمجرد أن اقرها السلطان ، عندما أقر أولئك الذين استحدثوها على دفع ميرى عنها . وسندخل فى بعض التفاصيل حول هذه الرسوم لأن البيانات الواردة بالجدول قد لا تكون كافية للتعريف بها .

أماكن تحصيله	الميرى المقرر على الملتزمين	
فى القاهرة	١٠٢٤٠٠	على دمع الذهب والفضة . .
،	١٢٦٢٢	على مبيعات العبيد السود . .
،	١٢٢٦٨٥	على الحمامات التركية الخاصة . .
فى بولاق	١٢٥٠٠	على صنع ملح النوشادر . .
،	٥٠٠٠٠	على وكالة الزعفران . .
،	٥٠٠	على سبعة محلات جزارة لبيع الضأن على وكالة السمك المملح (السردين
،	٣١٢	والفسينخ)
فى دمياط	٤٤٢٧٨٣	على الصيد فى البحيرة . .
فى رشيد	١٥٢١٤٣	على شيخ الدلاين
فى رشيد	١٢٠٨٢	على وكالة الباشا
فى السويس	٦٣٢٠٠٥	على وكالة البهار
الحلة الكبيرة	١٠٠	على الموقع الذى تصل إليه مراكب النيل

أماكن تحصيله	الميرى المقرر على الملتزمين	
		على وكالات القطن :
في بولاق	١٣٢٣٦	. . .
في دمياط	٥٠٠	. . .
في رشيد	١٢٠٨٢	. . .
		على وكالات الارز :
في دمياط	١٨٢٢٢٥	. . .
في رشيد	١٢٠٨٢	. . .
د س ج ت ويعادل ١٥ ١٢,٦٥٢	٣٥٤٢٥٨	. . الإجمالي
س ب وبالفرنكات ٩٠ ١٢,٤٩٥		

وكان الرسم المقرر على دمع الذهب والفضة يذهب الى ملتزم يحصل على اناوة تفرض على تصنيع هذين المعدنين ، وكان هذا الملتزم يرسل قطع الذهب والفضة بعد ان يستوثق من انهما بالعيار المطلوب - الى دار سك النقود حيث يختتمها الاغا بخاتم الدمغة الذى فى حوزته . وكان الملتزم يجرى اختبارا للعمال الذين يريدون احتراف مهنة الصاغة ، ويفرض رسما على من يتقبلهم داخل هذه الحرفة . وكانت عوائد هذا الرسم فى مدن الاسكندرية ورشيد ودمياط والمنصورة وبلبيس والسويس تدخل فى دائرة التزامه ، وكان يحصل هذه العوائد بنفسه فى القاهرة حيث كان كل الصاغة فيما مضى يلزمون بالعمل هناك تحت رقابته فى وكالة واحدة .

وقد بدأ الصاغة محاولتهم التلصص من هذه العادة التى تهدف الى منعهم من تزيف أو تحريف صنف المجوهرات والمصنوعات الذهبية التى يتداولها الناس حين حصلوا على اذن يسمح لهم بالعمل فى بيوتهم ، وبعد ذلك بدىء فى التفاساضى عن تلك الضرورة التى كانت توجب عليهم أن يخضعوا مصنوعاتهم لدار سك النقود ، ومع ذلك فحين أخذ سكان الريف ينفرون من شراء أشياء ذهبية أو فضية غير مضمونة ، فقد التمس الملتزمين الاذن له بحمل خاتم دمغة خاص به ، وحين تحقق له ذلك بدأ القوم يقبلون

بكل ثقة - وقد خدعهم التشابه بين هذه الدمغة وبين الدمغة القديمة - على شراء مجوهرات وحليا طبعت عليها هذه الدمغة ، وهكذا بدأت اشرباء تباع باعتبارها ذهباً أو فضة خالصين فى حين أن تسعة أعشار سببكتها مريف ، وهكذا أيضاً بدأنا نرى الملتزم متواطئاً مع الصاغة ليثرى بفعل هذه الخيانة الصارخة .

وبالمثل فقد كان الرسم المقرر على بيع العبيد حكراً على أحد الملتزمين ، فلم يكن بالإمكان بيعهم الا فى وكالة بعينها ، حيث كان وكيل هذا الملتزم يحصل على الرسم مقابل تسليم الحجة اللازمة لتسجيل البيع . وكان من الضروري أن يوقع الملتزم هذه الحجة النى تبين جنس واسم العبد ، ومكان واسم البائع والمشتري ، وكانت تنتقل الى ايدى من يتناولون شراءه بعد ذلك ، ثم تسلم الى العبد نفسه عندما يمنح حريته . وكان يكفى اعلان بعثقه يتم فى حضرة شهود ، كى يجعله متمتعاً بكافة الحقوق الممنوحة لكل رعايا السلطان ، ولم يكن هناك سوق ولا رسوم بالنسبة للعبيد البيض لأن المماليك الذين لا يتكاثرون الا عن طريق الشراء (※) كانوا يجدون من مصلحتهم أن يسهلوا عملية البيع .

أما رسم حمام الخاصة فيستمد اسمه أصلاً من تلك الكراهية التى سيطرت طيلة الأزمان بين الأتراك وأبناء القاهرة ، لذلك فقد أمر أحد البكوات بإنشاء حمام عند سفح القلعة كى يتفادى المشاجرات التى كانت تنشعب بين رجاله وبين المصريين فى الحمامات حيث كان الوضع الذى حتمه القرآن يجذب الى هناك هؤلاء وأولئك . وقد عهد بملكية هذا الحمام الذى بنى لتفادى هذه اللقاءات الى أحد الملتزمين شريطة أن يجعل استخدامه مقصوراً على الأتراك . لكن صيانة هذا الحمام لم تكن تقع على عاتقه .

وكانت ١٥٠٠ مدينى يدفعها للخزينة ملتزم ملح النوشادر تكفى لمنحه امتيازاً تاماً بصنع هذه المادة وبيعها ، وفيما مضى كانت توجد عدة مصانع مشابهة فى مصر السفلى ، لكن الامتياز الذى منح لمصنع بولاق قد السفى وجودها .

(※) تذكر بعض دراسات فى وصف مصر أن جو مصر لم يكن مناسباً لهؤلاء ، مما كان يترتب عليه أنهم لا ينجبون أو أن تموت الغالبية العظمى من ذريتهم . انظر المجلد الاول من الترجمة العربية ، الفصل الخاص بالماليك .
(المترجم)

أما زعفران مصر العليا القادم الى القاهرة ، فلم يكن بالمستطاع أيداعه الا فى وكالة تسمى وكالة الزعفران ، وتقع فى بولاق ، وكان يباع هناك بعد أن يجبى مالکها الرسوم المقررة عليه والتي كانت تجعل من حقه تلك الالاف الخمسة من المدينى ، التى كان يسددها للخزينة .
وكان الميرى المقرر على محلات الجزارة السبع ، لبيع الضأن يمنح أصحابها الحق فى بيع هذه السلعة الغذائية ببولاق بدون منافسة .

وتصل الى بولاق كمية هائلة من السمك الملح القادم من دمياط . ويتمتع صاحب الوكالة التى ينبغى أن يباع فيها ، بعد دفعه ميرى يبلغ متوسطه ٣١٢ مدينى يسدده للخزينة بحق تحصيل بعض رسوم بسيطة يدفعها اليه تجار السمك .
أما الصيد فى بحيرة دمياط (المنزلة) ، فهو احتكار كامل ، يدفع الملتزم عنه لخزانة السلطان ميرى قدره ٤٤٧٨٣ مدينى .
وقد استحدثت فى رشيد ، تقليدا لما هو حادث فى القاهرة ، وظيفة شيخ الدلائن ، ويقوم هذا الرجل بتحصيل رسم على كل السماسة الذين يقومون ببيع الملابس والبياضات والهلهيل فى الأسواق العامة .

وكانت السلع التى تصل الى رشيد ، والتي كانت نودع فى وكالة الباشا ، تخضع لدفع رسم يسمى رسم اقامة لصالح ملتزم هذه المنشأة .

أما السلع التى كانت تصل الى السويس فلم يكن بالمستطاع تخزينها الا فى وكالة البحار حتى تقوم القوافل بنقلها الى القاهرة ، ومقابل هذا التخزين ، كان يتم تحصيل رسم لحساب الباشا ، على يد كاتب يرسله الى السويس للتعرف على أحجام الواردات ، وهذا الرسم مستقل عن المحسروانات الجمركية .

وتخضع المراكب التى تقوم بالملاحة النيلية والتي تصل الى المحطة الكبيرة لدفع رسم بسيط لصالح الملتزم الذى يدفع عن ذلك مبلغ الـ ١٠٠ مدينى المقرر كمال ميرى مقرر (على حصيلة هذا الرسم) .

وينطبق ما قلناه عن وكالة الزعفران ببولاق على وكالات القطن والارز الواقعة ببولاق ودمياط ورشيد . ولم يكن بمقدور هذه السلع أن تودع وأن تباع الا فى هذه المخازن حيث كان الملتزمون الذين يقومون بدفع الميرى المقرر والمبين (بالجدول) يحصلون على رسوم ايجار أو اقامة أنشئت لصالحهم .

وعادة ما كانت الجهارك (الصفرى) والرسوم المتفرقة الاخرى التى انتهينا من تناولها والتى انشأها السلطان سليمان ، أو تلك التى ادخلها خلفاؤه توكل الى أفراد كانوا هم ملتزميها . وحيث أن الباشا والواجقات الذين كانت هذه الرسوم قد فرضت فى الأصل لصالحهم قد بداوا يفقدونها على التوالى ، رسما بعد آخر ، بسبب تزايد سطوة البكوات ، فقد باتت هذه الرسوم غنيمة للمماليك الذين كانت لهم القوة والنفوذ والاعتبار ، ومع ذلك فان هؤلاء المماليك ، على ما يبدو ، لم يغيروا من اغراض تلك الرسوم أو اهدافها ، لأن هؤلاء حين شغلوا الرتب العليا فى كل اوجاق لم يخصصوا انفسهم بتلك العوائد التى آلت اليهم الا باعتبارهم قد خلفوا الذين كانوا يشغلونها قبلهم ، وبخضوعهم كذلك لدفع الميرى (المقدر على حصيله هذه الرسوم) .

وكانت توجد بالاضافة الى هذه الرسوم ، رسوم اخرى لم تكن تخضع لدفع الميرى ، وليست لها اية صلة بخزانة السلطان ، ومع ذلك فحيث كانت تشكل فيما يبدو جزءا من رواتب البكوات وآخرين من قادة المناطق ، وهم الذين انشأوها ، وحيث اعتاد الناس على سدادها ، فقد وضعها الفرنسيون فى مرتبة الرسوم التى انشأها أو اقراها السلطان ، وواصلوا تحصيلها ، وسنوضحها فى الجدول التالى : ولقد كانت لهذه الرسوم نفس طبيعة الرسوم التى تخضع لدفع الميرى . ولم يكن هناك فرق بين هذه وتلك الا فى أن الأخيرة كان قد اقراها السلطان ، فى حين لم تكن تنقص الأخرى سوى موافقته .

وسنقدم بعض التفاصيل حول الرسوم التى لا تيسر معرفتها على النحو الكافى فى البيانات الموضحة بالجدول .

بيان الرسوم	الأماكن التى تحصل فيها
رسم قاصر على بيع الملح ، . . .	فى بولاق
رسوم تسمى رسوم الاسكاليات وتفرض على السلع التى تصل فى مراكب قادمة من القرى الواقعة على شواطىء الفرع الشرقى للنيل فى مصر السفلى ،	.
رسوم سبك الفضة :	فى القاهرة
» على سوق الأغنام ودواب الحمل .	»
» على دباغة الجلود وتبييض الأقمشة .	»
» على نقش الأقمشة البلدية .	»

بيان الرسوم	الاماكن التي تحصل فيها
رسوم على احتكارية نصر على النطرون .	في الطرانة بولاية البحيرة
• على الصيد :	
في النيل . . .	في القاهرة وبولاق ومصر العتيقة
في بحيرة الماء . . .	في الإسكندرية
في البسوغاز . . .	في رشيد
• على صنع وبيع المشروبات الروحية .	في القاهرة والإسكندرية ودمياط
• تسمى السردارية والجاويشية أو رسوم الحاكم	والحملة الكبيرة
• الحملة أو رسوم على الأسواق . . .	في دمياط ورشيد
• احتساب أو رسوم على السلع الغذائية	في رشيد ودمياط والحملة الكبيرة
الداخلة إلى	وسمنود والمنصورة
• على الجبوب التي تدخل إلى المدن	الإسكندرية ، رشيد ، الحملة
الموضحة لكي تباع هناك . . .	الكبيرة
• تسمى إيجاراً وإقامة وتقرر على السلع الموضحة	باب الشعرية ، وهي سوق القاهرة ،
وتحصل في الوكالات المسماة :	الإسكندرية ، ودمياط ، رشيد
الصابون وبذور النيلة .	في القاهرة
السكر	في بولاق
الأرز	•
النيلة	•
بذور البرسيم والكتان	•
والزعفران . . .	•
تقاوى هذه المحاصيل	•
زيت الكتان . . .	في دمياط
البلح الجاف (التمر) . . .	•
• تحصل عند دخول القطن . . .	في بولاق ودمياط والمنصورة
• على خروج الأقمشة المصنوعة . . .	في الحملة الكبيرة
• على الجبوب والكتنا كيت التي أفرخت	
في المعامل	

ولا يصنع الملح الا على سواحل مصر السفلى وبخاصة فى رشيد. وكان الفلاحون الذين يلتقطونه ملتزمون بتسليمه بسعر محدد الى ملتزم عينته الحكومة ، كان هو — صاحب الامتياز الوحيد فى توزيعه فى بولاق بسعر اعلى ، لكنه محدد بالمثل . وقد الحق بهذا الامتياز رسوم لم يكن هناك حد لزيادتها على المأكولات والاعلاف والمواشى والفواكه . الخ الى تباع فى اسواق عدد كبير من القرى . وليس لدينا ما يفسر هذا الخلط والتعقيد فى سياسة فرض الرسوم ، و يعتقد البعض ان احتكار الملح كان يدخل فيما مضى ضمن الخردة ، وان الزيادات المستجدة التى الحق بهذا الرسم (الخردة) هى التى جعلته هائلا لهذا الحد ، وعندما تم تقسيم هذا الرسم بين اثنين من الممالك الاقوياء فان الذى جاء احتكار الملح منهما ضمن نصيبه، لم يعد ملزما بدفع الميرى .

وكان ينم تجهيز الذهب والفضة المخصصين لعمال التطريز وغيرها من الأشغال ، فى مكان يتوفر به كل ما هو ضرورى لذلك ، ويدفع الصانع الذى يشتغل فيهما للملتزم رسما يعرف باسم كحل الفضة . أما الرسوم التى تفرض على سن الفيل واصداق الحلى وقرون الكركدن الخ فكانت تحمل نفس هذا الاسم دون أن ندرك ما الذى يجمع بين اشياء كهذه لا تربطها فيما بينها اية رابطة .

ويؤخذ النطرون من البحيرات التابعة لقرية الطرانة ، ويدفع الفلاحون الضرائب المقررة عليهم (عينا) من هذا الملح ، وهم بذلك يزودون الملتزم بدخل اكيد ، اذ ان كل قرى مصر السفلى كانت ملزمة بشراء كمية محددة منه سنويا وبسعر محدد . ومنذ بضع سنوات ، حين أصبحت فرنسا وإيطاليا وانجلترا تتزود بالنطرون من مصر ، أعطى البك الملتزم التزام تحصيل رسم النطرون الى الميسو روزتى Rosetti التاجر البندقى الذى توسع فى استغلال النطرون بدرجة هائلة ، والذى كان يبيعه فى أسواق التجارة الخارجية بسعر أدنى من السعر الذى يفرضه على أبناء البلاد وينظر الى النطرون فى مصر ، باعتباره مادة ذات ضرورة أولية ، بسبب استخدامه فى تبييض الكتان والقمشة .

ولم تكن المشروبات الروحية والمسكرة عموما تصنع الا فى بيوت الأقباط واليهود ، ولم يكن بوسع الحكومة أن تبيع تداولها اذ يحرم القرآن

تناولها على المسلمين ، لكن اغا الانكشارية ، بعد ان حصل على اتاوات هائلة ، لم يكن ليخشى على الاطلاق ان ينتهك شريعة التنبى ، وبدأ يتغاضى عن بيعها داخل حانات غير ظاهرة .

وقد يستحيل علينا أن نجد ضربا من ضروب الصناعة أو التجارة يعفى من رسوم مشابهة أو مماثلة لتلك التى انتهينا من التعريف بها . وكان الملتزمون والبكوات والسردارات والاغوات حكام المواقع يضاعفون من هذه الرسوم فى المناطق التى تخضع لسلطتهم ما أن يجدوا الفرصة سائحة لذلك . من هنا كان هذا التعقيد المحير والذى لا يدع لنا الوسيلة الواضحة لتبين الاعباء التى أثقل بها هؤلاء وأولئك كاهل المصريين . وكانت الرسوم التى يفرضها الملتزمون على مواد الاستهلاك فى قراهم ضئيلة الأهمية، وتعرف باسم حملة . وعلى العموم فلقد كانت تكبل التاجر والزارع فى كل خطوة يخطوها اتاوات وضرائب باهظة . لكن الفرنسيين لم يجبوا الا تلك الضرائب التى انتهينا من بيانها ، فلقد أهملوا تحصيل العدد الأكبر من الرسوم اما لانها لم تكن معروفة لنا على الاطلاق ، واما لاننا وجدها استبدادية تجاوزت كل حد مفترض ، وبالمثل فقد عدلوا عن تحصيل رسم الحملة فى كل القرى التى أصبح الفرنسيون ملتزمين بها .

الفصل الرابع

الضرائب على الأشخاص

يخضع رعايا السلطان من غير المسلمين لضريبة شخصية تسمى الخراج (الجزية) طبقا لنص وارد فى القرآن ، يخضع لهذه الضريبة سكان البلاد التى تخضع لاتباع محمد ، حين لا يعتنق هؤلاء الدين الاسلامى . وهناك تقدير بأن ضريبة الخراج كانت مفروضة على ٩٠.٠٠٠ (تسعين الف) نفس ، ويقوم بجبايتها اغا ترسله القسطنطينية كل عام . وكان يصل الى مصر ومعه عدد مماثل من الحوالات أو صكوك السداد ، مؤشرا عليها بالاحرف الاولى ومسجلة ومدموغة فى وزارة المالية ، وعليها ختمه وختم اثنين من الشهود يصحبانه كمساعدين له . وكانت هذه الصكوك تجدد كل عام ، وتكون الوانها على المتعاقب حمراء ، أو بيضاء ، أو صفراء ، وقد صممت هذه البطاقات بحيث تكون :

٩٠.٠٠ بر بطاقة منها مخصصة للطبقة الغنية .

و ١٨.٠٠٠ ر.ب. بطاقة منها لحدودى الدخل ؛
و ٦٣.٠٠٠ ر.ب. بطاقة منها للمعوزين .

ويقوم الاغا بتسلم هذه الصكوك الى المولين بعد ان يسجل اسماءهم وبياناتهم ، محصلا ٥٥٣ مدينى عن كل واحد من الطبقة الاولى ، و ٢٨٣ مدينى عن الواحد من الطبقة الثانية ، و ١٤٣ عن الفرد الواحد من الطبقة الاخيرة . لكن اللوائح لم تكن تلزمه ان يسدد من هذه الضريبة ، طبقا لعادة روعيت فيها مصالحه ، وتبعاً لهذا المعدل ، سوى : ٤٤٠ مدينى ، ٢٢٠ مدينى ، و ١١٠ مدينى (على التوالى) .

وكانت صكوك السداد تبقى بأيدي المولين من الاقباط واليهود ، وكانت تشكل بالنسبة لهم وعلى نحو ما نوعاً من الحماية ، فلم يكن لهم اى حق فى حماية السلطان اذا ما اهلوا الاحتفاظ بها .

وعندما كان يتم تحصيلها ، كان الاغا يتولى تنظيم حساباته مع الروزنامجى . وكانت الـ ٩٠.٠٠٠ حواله او صك تحسب طبقاً للبالغ التى كان من المقرر ان تعود بها بحسب معدلاتها المبدئية (١) . وكان يستنزل من هذه الحوالات :

١ — الحوالات التى لم يتم استخدامها .

٢ — مصروفات وراتب افندى الجوالى المكلف بالتحصيل .

٣ — المعاشات التى يحددها السلطان خصماً من حصيلة الخراج وتبلغ ١٦ كيساً مصرياً او ٤٠٠.٠٠٠ مدينى .

وبعد ذلك يسدد الاغا الميرى المقرر على وظيفته وقدره ٢٥٠.٩.٨١

د س

مدينى تساوى ٩ ٨٩٦١٠ جنيهاً تورياً او ٧٥ ٨٨٥٠٣ فرنكاً .

٩.٠٠٠ (١)	بواتع ٤٤٠ مدينى	.	.	.	٣٩٦٠.٠٠٠ مدينى
١٨.٠٠٠	بواتع ٢٢٠ مدينى	.	.	.	٣٩٦٠.٠٠٠ مدينى
٦٣.٠٠٠	بواتع ١١٠ مدينى	.	.	.	٦٩٣٠.٠٠٠ مدينى
<hr/>					
	الإجمالى	.	.	.	١٤٨٥٠.٠٠٠ مدينى

وقد يدفع هذا الميرى على الاعتقاد بأنه كان يستقى الفائض لصالحه إذا ما بلغت الحصيلة لحد أعلى من المقرر لها ، ومع ذلك فمن الثابت أنه لم تكن له أى مكاسب الا رسم العادة الذى قدمنا تفاصيله من قبل ، كما أن المبالغ التى كانت تتجاوز الأرصدة التى تمنصها مصروفات النحصيل وكذا المعاشات والميرى ، كانت تضاف الى الخزنة التى ترسل الى السلطان .

وعادة ما كان الاغا يعطى التزام نحصيل الخراج المقرر على اقباط ويهود مصر العليا الى البك حاكم جرجا ، دون أن يسلمه الحصاة المحددة من الحوالات التى كان يحملها ، لكن اقباط ويهود هذه المنطقة كانوا يحصلون من هذا البك على حوالات خاصة لها نفس الثمن ونفس الفاعلية اللتين كانتا لتلك التى يوزعها الاغا . وكان الأخير ، حين يحتسب قيمه هذه الحوالات التى احتفظ بها لنفسه ، عند تقديمه الحساب الى الروزنامجى ، يتمكن من زيادة دخوله بشكل هائل عن طريق عملية التدليس هذه .

وكان عدد الحوالات التى ترد عن الباب العالى يتخذ اساسا لتقدير عدد الشعب القبطى على نحو تقريبي (١) دون أن يدخل فى ذلك ما انتهينا من قوله عن مصر العليا وعن الاعفاءات التى كانت تمنح بسهولة بالغة لاي واحد من الاقباط أو اليهود التحق بخدمة المسلمين وقناصل الدول الاوربية . ومن الضرورى بخلاف ذلك أن نلاحظ أن النساء والأطفال ، الذين تقدر أعمارهم بأقل من ١٢ عاما ، لم يكونوا خاضعين لهذه الضريبة . وكانت غيبة سجلات خاصة بالمواليد تؤدي لأن يتم تقدير أعمارهم من طريق قياس قامتهم (٢) .

ولم ندخل فى عداد الضرائب التى تجبى لصالح السلطان رسما يسمى بيت المال ، كان يتشكل من اجمالى تركات رعايا السلطان ، اقباطا كانوا أم يهودا أو مسلمين ، حين يموتون دون أن يتركوا وريثة ، ذلك لأن هذا الرسم لم يكن يفسح مكانا لاي ميرى ، وفيما مضى ، كانت حصيلة هذا الرسم ترسل

(١) لن نتحدث عن يهود أو اروام سوريا والارخبيل بسبب ضآلة عددهم ، كذلك لن نتناول الافرنج لأنهم لم يكونوا خاضعين لهذه الضريبة .

(٢) كان مع المحصل جبل صغير بطول قامة طفل اقل من ١٢ سنة . وكان كل أولئك الأطفال الذين تتجاوز رعوسهم طول هذا الجبل يدخلون فى عداد المولدين .

الى القسطنطينية حيث لا يستطيع السلطان ان يستخدمها الا قى اغراض الدفاع عن الاسلام . وقد نص القرآن على تحصيل هذا الرسم وبين طريقة استخدامه . اما فى الأزمنة الأخيرة ، فكان البكوات يأمرؤن بجبايتها دون مبالاة بالبالب العالى ، فما ان كان يموت أحد السكان المؤسرين بعض الشئ حتى يسارعوا بوضع مسمار ضخم على باب بيت المتوفى بغض النظر عما ان كان له أو ليس له ورثة ، وفى الحالة الثانية كانت تؤل السهم كل تركته ، أما فى الحالة الأولى فكانوا يفرضون مبلغا كبيرا من المال مقابل رفع هذه الحراسة (القضاء) .

الفصل الخامس

موجز بدخول السلطان

لم تكن مبادئ الإدارة العثمانية ، التى هى مختلفة عما لدينا ، والتى كانت تجلب لصناديق الخزانة العامة اجمالى دخول الدولة ، لتسوق الى هذه الخزانة الا الاموال التى تخصص اما لانفاقات بعينها ، واما للتوفير ، ويبدو ان عملية الجباية ، وهى التى كانت تترك لوكلاء السلطة واصحاب الاقطاعيات (الملتزمين) ، لم تكن لتشغل الحاكم الا بخصوص ما يطلبه هو من هؤلاء التابعين له ، أما ما يتبقى معهم بعد الوفاء بمال السلطان وبعد تغطية الانفاقات التى كان يضعها على عاتقهم ، فكان يترك كله لصالحهم الخاص . وعلى هذا ، فاننا عند قيامنا باجراء مطابقة لمختلف الجداول التى قدمناها لكى نتبين اجمالى حصيللة الضرائب التى تجبى من مصر ، تبين لنا ان دخول السلطان لم تكن تشتمل الا على عوائد الميرى ، ويتكون على النحو التالى :

بالفرنك	بالجنيه القوي	بالدينار	
٢٨٨٣٨٠٩٧ ٦٣	٢٨٨٧٣٥٧٣ ١٧ ١	٨٠٣٤٦٠٣٠٦٨	٨٠٣٠١٧٢٨٩٠ القرى ٤٤٢٣١٧٨ الاقواق
٣٨٣٣٤٤٨ ٧٩	٣٨٨٦٢٤١ ١٧ ١٠	١٠٣٨٧٠٣٧٧٣	عن الميرى المقرر على الوظائف عن الميرى المقرر على الصناعة والتجارة :
٨٠٤٣٦٤٩ ٣١	٨١٤٧٠٧ ٦ ٥	٢٢٣٨١١٢٨٠٥	من إيجار ك ١٩٣٢٣٨٣٩٥٩ } ١٩٣٤٤٥٤٨٦ ١٩٣٣٤٧٣ من رسوم أنشائها للسلطان ٢٢٨١٨٥٨٨ من رسوم لم ينشئها ولكنه أقرها ٣٥٤٣٢٥٨ عن الميرى المقرر على الأشخاص
٨٨٥٠٣ ٧٤	٨٩٦١٠ — ٩	٢٥٠٩٣٠٨١	الإجمالي
٤١٤٣٦٩٩٤٧	٤١٦٦٣١٣٣ ٢ ١	١١٦٣٦٥١٢٧٢٧	

ومهما يكن شأن فائض الضرائب العامة ، فحيث كان يتم تحصيلها لحساب البكوات والشخصيات الأخرى ، الذين يفترض أن السلطان قد خصصها لهم ، فإن هذه الحصيلة لم تكن لتنشئ إلا إدارات و تنظيمات خصوصية .

ويقودنا هذا التوضيح ، الذى يفصل بطريقة محددة بين دخول السلطان ، وعوائد الملاك وحكام المناطق ، الذين يعهدون بجبايتها وإدارتها إلى مباشرين أقباط ، والذى بدونه ، لن نجد فى حوزتنا سوى خليط مضطرب ومشوش عن الإدارة المصرية ، يقودنا إلى بعض التفاصيل حول وظائف الروزنامجى ، وهو الجابى العمومى لأموال السلطان ، وكذلك حول وظائف الأفندية الموكبين بالجباية .

كان الروزنامجى يعين من قبل الباشا بترشيح من الديوان ، وكان يختار من بين الروزنامة ، أى هيئة الأفندية التى أدخلها فى مصر السلطان سليمان لإدارة مالية الباب (العالى) . وكان يصب فى صندوقه المال الميرى المقرر على الأراضى وعلى الوظائف وعلى الصناعة والتجارة عن طريق الإبداعات التى كان يضعها الملتزمون وحكام المواقع بين يديه ، أما الضرائب على الأشخاص فكانت تصل حصيلتها إلى خزينته عن طريق الإغا الموكل بجباية هذه الضريبة بصفة خاصة . وكانت عمليات الروزنامجى تدار بمقتضى لوائح توزع مختلف فروع اختصاصه على أفندية تابعين له .

وقد سبق لنا أن سمينا وظائف أهم هؤلاء ، مثل أفندى الشرقية ، وأفندى الغربية ، وأفندى الشهر وأفندى الغلال الخ كما سبق أن بينا بالتفصيل مختلف الوظائف ومختلف الرسوم التى كانت تخضع لدفع المال الميرى والتى دونت فى سجل يمسكه أفندى يسمى حلفا . ولم يكن الملتزمون الجدد ، عند كل عملية نقل حييزة (بالشراء أو الارث) يحصلون على حق التمتع بالرسوم والعادات التى كان يتمتع بها أسلافهم إلا بعد حصولهم من الباشا على حجة تسمى تذاكر التمكنات ، كان لابد أن يسجلها هذا الموظف ، وكان هؤلاء الأفندية يخطرون الممولين بما عليهم أن يسددوه ، لكنهم لم يكونوا يحصلون شيئا بأنفسهم ، وكان عملهم يقتصر على تسليم مخالفات الممولين توضح أنهم قد دفعوا للروزنامجى الميرى المقرر عليهم . وكانت أخطارات الدفع الموجهة إلى الملتزمين تبين اجمالى الضرائب المقررة عليهم ، لكن الروزنامجى لم يكن

ليقر هذه الاخطارات الا بعد أن يقوم بمطابقتها ، اذ كان من الضروري أن تنطبق بيانات هذه الاخطارات مع السجل العام للملكيات والرسوم الخاضعة للميرى ، وهو السجل الذى يمسكه الباشا حلفا ، أى الموظف الاول لدى الروزنامجى ، اذ ان الدفاتر التى كان يستخدمها الافندية أساسا لنوزيع الضرائب لم تكن سوى أجزاء منسوخة من هذا السجل .

وحيث قد أوضحنا حصيلة الضرائب العمومية التى تؤول الى كل من السلطان والباشا والبكوات والكشاف حكام الولايات والموظفين الآخرين فى الدولة فانه يدخل فى موضوعنا هنا أن نعرف بالانفاقات العامة التى تقع على عاتق هؤلاء وسنعرض لذلك فى الباب التالى .

الباب الثاني

الانفاقات العامة

الفصل الأول

انفاقات تقع على عاتق السلطان وتدفع خصما من الميرى

سوف نطابق الحصيلات من كل نوع ، والتي بينها فى الموجز الذى قدمناه عن دخول السلطان ، مع الانفاقات المطلوبة .

وسوف نقدم حسبما تسمح لنا المعلومات التى بين ايدينا تفسيرات موجزة او مستفيضة عن اصل وغرض وبنود الانفاقات التى قد لا يتيسر لنا الالم الكافى بها من مجرد تعدادها .

أولا : رواتب قررها السلطان لموظفين مختلفين ، بالاضافة الى الامتيازات من كل نوع ، والتي كانوا يتمتعون بها :

الى الباشا :

تقاوى البرسيم اللازم لعلف خيوله

فى كوم الاحمر ١١٧٠ مدينى

لحم ضأن ١٢٦٨٣٠

خشب ٥٨٥٤

ملح ٣٥٥٩

ارجل ورعوس النخ الثبران والابقر

التي تذبج للجزارة ٩٨٣٥ ١٦٧٤٤٧

صابون ٣٧٩٣

جرار (جرة) ١٠١٠

لوكيل هراجه (مدبر اقامنه) . . . ١٥٣٩٦

إلى الباشا : إطلاق ولاية الجيزة ١٦٦٦ر

حبوب يحصل على ثمنها نقدا بشكل
منتظم من بينها ٤٣٢٠٠ مدينى تؤخذ
من الخزنة ٧٢٣٨٧٥

اجمالى ما يدفع للباشا ٩٠٧٩٨٨
الى البكوات :

تقاوى برسيم لعلف الخيول فى الاراضى
التي جنبت لهم لهذا الغرض ١٦٢٩٤

الى أوجاق المتفرقة :
فى ولاية البحيرة ١٠٤٨٥٧
فى قرية سرنباى خصما
على الخزينة ٤٨٤
الاجمالى ١٠٥٣٤١

الى أوجاق الجاويشية ٩٨٦٤٤٤
الى والى اغا الشرطة بالقاهرة ٣٠٩٠٠٠
الى أمين الاحتساب ١٩٤٩٧

الى الروزنامة او هيئة الافندية :
الى الروزنامجى والافندى
المحتسب خصما من مشتريات الكتان ٢٨٠٠٠
الى الكتبة فى مكتب الروزنامجى . ٧٤٨٢٥
كجراية من الحنطة والشعير :

للروزنامجى ٢٧٦٥٠

للكتبة ٢٥٤١٠٤

للباش حلفا ٦١١٧٢

لافندى الشرقية ١١١٢١

لافندى الغربية ٣٣٣٦٧

لافندى الشهر	٦٤٤٥٤
لافندى الغلال	٣٩٩٩٠
اجمالى الجراية	٤٩١٨٥٨
اجمالى ما يدفع للروزنامة	٥٩٤٦٨٣

الاجمالى العام للنفقات التى تقع على عاتق السلطان	٢٩٣٩٢٤٧
د	س
وهى تعادل ٢	٢ ١٠٤٩٧٣ جنيها توريا
وبالفرنكات	١٤ ١٠٣٦٧٧ فرنكا

وعلى الرغم من أن الراتب المخصص للباشا فى مقابل الاستهلاكات المتنوعة التى أوضحناها بالجدول جاء مقدرا بالمدينى ، فإن السلطان كان قد قرر أن تسدد عينا . وكان مدير جمرى بولاق ، واليمين الاحتساب ، وملتزم دمياط ، وهم الموكلون بتوفير السلع التى يتكون منها هذا الراتب ، يحصلون فى مقابلها على المبالغ المذكورة ، وعندما كانت قيمة هذه الاشياء تتجاوز المبلغ المعتمد لهذا الغرض كان على الباشا أن يحيطهم علما بذلك ، وكان على بقية الموظفين الذين يحصلون على جراية من الغلال أن يسلكوا نفس هذا السلوك .

وقد سبق لنا القول أن الاطلاق (أو الانسلاق) هى الاراضى المعفاة من كافة الضرائب ، وانها كانت تخصص لتوفير التعليق لخليل الباشا والبكوات . وحيث طلب الملتزمون الذين تدخل اراضى الاطلاق هذه ضمن زمام قراهم أن يضموا هذه الاراضى الى اراضى الوسايا فقد خولوا ذلك مقابل مبلغ سنوى قدره ١٦٦٦٦ مدينى اوردناها بالجدول ، وقد ادخل هذا المبلغ ضمن المال الميرى المقرر على ولاية الجيزة .

وفى العام ١١٧٩ من الهجرة منح السلطان مصطفى الباشا راتبا اضافيا على نفقة الخزينة ، ويبلغ ١٧٢٨ اردبا من الحبوب تقدر قيمتها بواقع سعر الارب الواحد ٢٥ مدينى بـ ٤٣٢٠٠ مدينى

واذ كان هذا المبلغ يشكل زيادة على الـ . ٦٨٠٦٧٥

وهى حصته من الميرى العينى المقرر على مصر
العليا والذي يقدر بـ ٢٧٢٢٧ رديا بواقع سعر
للاردب يعادل نفس السعر السابق ، فان هذا
المبلغ يصل باجمالى الدخل الذى كان يتمتع به الباشا
الى ٧٢٣٨٧٥ مدينى
وهو المبلغ الموضح بالجدول .

وحيث قد امر هذا السلطان نفسه ، فى نفس العام ، الا يدفع ثمن
مشتاكة الكتان التى ترسل كل عام الى القسطنطينية خصما على أرصدة
الخزنة ، فقد اضيف ثمن هذه السلعة المشتراة الى مصروفات الميرى فى
مقابل ٧٠٥٣٥٠ مدينى . وفى عام ١٢٠٠ من الهجرة ، عندما لاحظ القبطان
باشا الذى استحوذ على السلطة المطلقة فى مصر ، ان هذا المبلغ غير كاف ، وان
الباشوات كانوا قد ادخلوا عادة ان يستكملوا ثمن هذه السلعة خصما من
الخزنة ، فقد اعاد من جديد النظام الذى كان متبعاً قبل السلطان مصطفى .
اى انه امر بأن يخصم ثمن مشتاكة الكتان التى قد يطلبها السلطان من الخزنة
اى من الاموال التى ترسل اليه . ولم يدع متبقيا على عاتق المال الميرى
سوى الـ ٢٨٠٠٠ مدينى التى خصصها السلطان للروزنامجى والافندى
المحتسب كخصم « تنزيل » يتم لحسابهم من المبالغ التى كانوا يستخدمونها
فى القيام بمشتريات من نفس النوع .

ثانياً — مصروفات الجيش

رواتب :

البكوات ٦٦٦٢٤٨
الفرق الظافرة أو الاوجاقات . . . ٢٦٢٥٨٠٢٦
حاميات القلاع والطوابى . . . ٢٧١٩٤٨٧
حاميات قلاع الواحات بالقرب من أسوان ١١٣٧٣٠
اجمالى الرواتب ٢٩٧٥٧٤٩١

المؤن :

البسارود ١٠٩٧٤٦
الخشب كوقود لانمران الخبز . . . ٤٤٢٠

الاضساء ر.ا.
اجمالى نفقات المؤن ١١٥١٦٦

وبذا يبلغ اجمالى مصروفات الجيش ٢٩٨٧٢٦٥٧

د	س
وهى تعادل ١	١٢ ٨٨٠٦٦ ر.ا جنيها نوريا
وبالفرنكات	٣١ ٧٠٩٥٣ ر.ا فرنكا

وكانت اعتمادات الجيش توزع بطريقة يبلغ معها راتب كل جندي فى العام الواحد ١/٤ ١٨٢ مدينى ، فى حين كانت رواتب الضباط تتناسب مع رتبهم ، فكانوا يحصلون على ضعف أو ثلاثة أمتال هذا المبلغ بأقساط قيمة الواحد منها ١/٢ ١٨٢ مدينى تسحق الدفع بتفويضات على الخزينة العامة تسمى اوراق الجامكية (اى اوراق مرتبات) . وكان كل واحد من البكوات يحصل على ١٦٦٦ ر.ا مدينى من هذه الاقساط بحيث تبلغ المعاشات التى كانوا يحصلون عليها فى الاصل ؛ ٧٢٩٧٠٨٠ مدينى . ويؤكد البعض ان مرتبات (جامكية) الاوجاقات كانت تبلغ ٤٠٠٠٠٠٠ مدينى . وكان البكوات والاولجات ينظرون الى هذه الجامكية باعتبارها ملكية خاصة وليست رواتب مستحقة لوظائفهم ، وحين قام هؤلاء ببيع أو بالتنازل عن الجزء الاكبر منها فقد انتهى بها الامر أن تحولت الى سندات مستحقة لكل الحائزين لها فى حين أصبح من بين ملاكها أطفال ونساء . وان المرء ليجهل لماذا كانت الحكومة والباشا يتسامحون فى مثل هذه المبيعات ، وان كان لا يخامرنا شك فى أن المثال الذى قدمه كل من سليم وسليمان حينما خصصا اوراق مرتبات (اوجامكية) للصالح المساجد و المنشآت الخيرية ، قد برر فيما يبدو للآخرين أن يسلكوا سلوكا مشابها . ومهما يكن الأمر فان اوراق الجامكية الخاصة بالبكوات والاولجات ، والتى كانت لا تزال تباع وقت مجىء الفرنسيين لم تكن تتجاوز المبالغ التى بينها . ومن جهة أخرى فاننا لم نفصل عن هذه رواتب حاميات القلاع والطوابى الا لان السلطان قد خصص مبلغا معيناً ينفق خصيصا فى هذا الغرض . وتشكل هذه الحاميات جزءا من اوجاق المتفرقة ، لكن هذا الاوجاق لم يكن هو الذى يكون حاميات قلاع الواحات ، وكان القائد يجند لهذه الخدمة اترাকা وبربرا ومغاربة ، كان يدفع رواتبهم من المبالغ الناتجة عن اوراق الجامكية التى كانت تعطى له .

وتوضح ضالة المبالغ المخصصة لنفقات المؤن والتموين ان السلطان كان قد وضع الجزء الأكبر من المصروفات المطلوبة على عاتق حكام المواقع . ويمكن لنا أن نحدد كذلك ان الكثير من المصروفات المماثلة قد أبطلت بعد زوال المؤسسات أو الانظمة التي أوجبتها .

ثالثا - مصروفات متنوعة

المقياس :

للصيانة	٩٧٦	مدينى
للسبتائر	٤٣٩	
لشيخ المقياس	١٠٧٤	
اجمالى نفقات المقياس	٢٤٨٩	
مجرى العيرون والآبار التى اقيمت عليها سواقى فى مصر العتيقة :		
اجور العمال المستخدمين فى الآبار بما فى ذلك { مدينى		
تؤخذ خصما من الخزينة	٤٤٣٦	
تبين للثبران المستخدمة فى الآبار		
بالاضافة الى مصروفات صيانتها	٦٨١٢٠	
اجمالى مصروفات الآبار	١١٢٥٥٦	
جسور لقرع بحيرة تنيس والنسورة	٢٦٦٢٣	
ازالة الطين المتراكم تحت القناطر	٨٦٠٧٩٨	
مشاعل مقامة على شواطىء الترعر		
لمنع تحويل مجراها	١٧٥٩	
محطة ابدال مقامة فى العريش لبريد السلطان (*)	٧٨٠٠	
قفاطين يوزعها الباشا على من يتولون المناصب	٧٤٢٠٠٠	
صيانة الحمام النركى الموجود أسفل القلعة		
(حمام الخاصة)	٩٦٦٧	
جرار للمياه يستخدمها الديوان	١٥٠	

(*) حيث يتم ابدال الخيول أو الدواب المستخدمة فى نقل البريد .
(المترجم)

تغليف (تجليد) سجل الميرى العام . . . ٢٢٨٢
 للسقاين بالسويس ٢١٦٦٠
 لكاشف ولاية البحيرة مقابل صيانة التربة
 التى تنقل مياه النيل الى صهاريج الاسكندرية ١٦٠٠٠
 سبيل حسن باشا بقلعة القاهرة ١١٠٠٠
 بئر يوسف افندى بالقلعة خصما على نفقة الخزنة ٣١٠٠
 سبيل ابراهيم الكخيا ٥٠٠٠

مشتريات للباب العالى :

شربات يدفع من ثمنه ٧١١٢٤
 مدينى خصما على الخزنة . . ١٠٦٦٩٠
 ارز وعدس خصما على الخزنة ٧٠٢٩٦٩
 ٨٠٩٦٥٩

٢٦٥٣٥٨٥ مدينى

الاجمالى العام

د س

ويعادل هذا المبلغ ١٠ ١٧ ٩٤٧٧٠ جنيها توريا .
 وبالفرنكات ٩٠ ٩٣٦٠٠ فرنكا .

ومن المعروف ان مقياس النيل كان يقام داخل سور يسهل اتصاله
 بالنيل ، اقيم عند الطرف الجنوبى لجزيرة الروضة . وكانت حراسة وصيانة
 هذه المنشأة امتيازا وراثيا لشيخ من نسل ذلك الشيخ الذى سبق ان وكله
 بذلك السلطان سليم . ويقوم هذا الشيخ ، عندما تنخفض مياه النيل ، بازالة
 الطمي الذى يتراكم على سفلى المنشأة . اما الممر الداخلى الذى يسيطر على
 حاشيته فكانت تحميه فيما مضى ستائر ظل دفع الاعتماد المخصص لتجديدها
 مستمرا حتى عندما زالت هذه الستائر .

وبمجرد أن يبدأ النيل فى الارتفاع (١) ، يأخذ الشيخ فى الاعلان عن المقياس
 الذى بلغه ارتفاع المياه يوميا عن طريق منادين يجوبون الشوارع ، ويقفون
 بكل البيوت . وكان السكان يجدون سعادتهم فى تقديم الخبز والنقود الى
 هؤلاء المنادين .

(١) عند نحو بداية انقلاب الصيف .

وكان هؤلاء يتجمعون عند ظهيرة كل يوم فى مسجد يقع الى القرب من مصر العتيقة لكى يعلن لهم شيخ المقياس مقدار الفيض الذى بلغه النيل منذ العشية (١) .

اما الخليج فكان يفتح الى الشمال من مصر العتيقة على فرع النيل الصغير الذى تصنعه جزيرة الروضة ، وهو يعبر القاهرة ويمضى ليروى ولايتى القليوبية والشرقية (٢) . وكان البك مكلفا بأن يصنع فى داخل هذا الخليج جسرا يمتد لمسافة خمسين قدما لكى يمنع مياه النهر من ان تتوغل فيه وبذلك تصبح مياهه اعلى مما كان ينبغى ، كما كان مكلفا بالعمل على ازالة الطين المترسب فى المساحة القائمة بين هذا الجسر وبين مجرى النيل ، فى مقابل حصوله على الـ ١١٠.٤٢ مدينى المرصودة لهذا الغرض . ويتم قطع سدة الخليج فى الخامس عشر او الثلاثين من أغسطس ، ويصبح الموعد اكثر اقترابا من التاريخ الأخير عندما تكون هناك خشية من حدوث فيضان مدمر . وفى عشية هذا اليوم يرحل أمين البحرين (٣) من بولاق فى قارب تزينه البيارق والاعلام ، ومجهز بأربعة مدافع تطلق نيرانا مستمرة ، يمضى ليأخذ مكانه عند فتحة الترعة ، وما أن يحل الليل حتى تطلق الألعاب النارية على ضفافه ، وفى هذه الليلة تكف الشرطة عن ممارسة تساوانها المعهودة ، فلا تعتقل أو تضايق أحدا ، ويبدى الناس وهم يتدفقون فى الاحياء المجاورة فرحة طاغية بعيد يضمن لهم ما يعود عليهم به النهر ، صانع حياتهم ، من فوائده ومباهج ، وتنتشر الفرحة والبهجة على سطح المياه مع ما يسبح فوقها من قوارب عديدة تغطيها ، بل أن النسوة انفسهن ،

(١) اليكم مقياس فيضانات النيل أثناء مدة اقامة الفرنسيين بمصر ابتداء من أقصى انخفاض له :

العام السابع (من قيام الجمهورية الفرنسية — ١٧٩٨) ٢٢ قدما و ٦ بوصات — جيد .

العام الثامن ٢١ قدما وبوصتان — متوسط .

العام التاسع ٢٤ قدما و ٨ بوصات — جيد جدا .

وطبقا لما يقوله المسيو لوبير فان النيل لا يهبط مطلقا لأدنى من ٥ اقدام .

(٢) تستخدم هذه الترعة فى ملء أسبلة المدينة ، كما انها تحول الى برك صالحة للملاحة الميادين المسماة الازيكية وبركة الفيل الخ ، حيث يحلوا للمواطنين أن يتنزهوا بالقوارب .

(٣) أى ملتزم الرسوم التى تحمل هذا الاسم .

وهن اللانى ببقى طيله العام قابعات خلف أسوار حريم ، يشساركن فى هذه البهجة العامة ، فيندفعن منفصالات عن الرجال فى زوارق ينيح لهن الفناء والموسيقى التى تعزف فيها لحظة من السعادة . وعند نهاية النهار يقلل الوالى من سمك السد ، ويوجه كبر من الشيوخ الى المقياس ليمضوا الليل فى تلاوة القرآن واقامة الصلوات كى ببارك الله فيضان النيل ، وينجه البكوات وكل الموظفين الى شاطئ الخليج ، وهناك يعسكرون مع كل بيونهم ، وعند انبلاج نهار اليوم النالى ينخذ الباشا مكانه ، تحيط به حاشيته ، فى سراق مقام على شاطئ مدخل الخليج . حيث يلحق به القاضى وكل اصحاب المناصب ، ويملن شيخ المقياس فى حضرة ممثل السلطان ، يحيط به الديوان المهيب ، أن ارتفاع النمل قد بلغ الـ ١٥ ذراعا المطلوبة (٢٥ قدما) (١) ، وبحرر القاضى حجة تشهد فى الوقت نفسه أن المياه قد بلغت الارتفاع اللازم لفتح سدة الخليج ولجباية المال الدر ، ثم يوقع هذه الحجة بعد أن يسجل أن الباشا وكبار ضباط الولاية قد شهدوا تحريرها ، وينهم الاسراع بقطع السد ، ويعاون عمل النهر عمل العمال فيختفى السد ، ويتهادى أول ما يتهادى قارب والى بحر السنبقة فوق المياه التى تندفع مدومة فى الخليج ، فاذا ما حدث أن انقلب قاربه بفعل اندفاع المياه فان القهقهات الصاخبة نعلو من جمهور الناظرين ، ويملا كل سكان القاهرة البيوت المجاورة للخليج أو ينتشرون على شاطئيه ، وبهرع الى هناك الجميع ، رجالا ونساء واطفالا ، مع اندفاع المياه التى تستحوذ على مشاعرهم ، وينسب الناس جميعا الى هذا المجرى ، وقد اصبح صاخبا ، الكثير من المعجزات ، فتلقي به النسوة خصلات من شعرهن أو بقطع من مزق ملابسهن وهن يأملن فى الحمل والانجاب أو أية مطالب نافعة ينظرن تحقيقها من وراء هذه القرابين . ويلقى الباشا ومعبته بقطع من الذهب والفضة وبحففات من المدينى الى العمال الذين ساهموا فى تطع السدة ويراقبون حركة المياه ، ويحصل هؤلاء ، من عدد كبير من النظارة على هبات

(١) لم يكن الفيضان الفعلى يبلغ فى ذلك الوقت وفقا لما يقوله المسيو لوبرى سوى ١٢ ذراعا (٢٠ قدما) ، ولم يكن هذا الفيضان ليصبح كاقيا لرى المساحة العظمى من الأرض لو أنه قد ظل عند هذه النقطة ، فلقد كان الفيضان فى العام الثامن من الجمهورية (١٨٠٠) ضعيفا برغم بلوغه ٢١ قدما وبوصتين .

سمائلة ، يتسابقون للحصول عليها مع من يزاحمونهم من الجمهور ، وكان هؤلاء يختارون على التعاقب من بين الأتراك واليهود ، وينتهى الحفل بتوزيع القفاطين التى يخلعها الباشا على ولاية القاهرة ومصر العتيقة وبولاى ، وكذلك على كبار ضباط الاوجاقات الذين يحضرون الحفل(١) .

ونادرا ما تكون البيانات المعلنة والتى تسبق دخول المياه الى الخليج مطابقة للحقيقة ، وان كانت تلك التى تعلن بعد ذلك هى التى توضح بدقة اجمالى الفيضان والحالة اليومية لارتفاع مياه النهر ، ويتوقف اعلان هذه البيانات بدءا من أوائل اكتوبر ، وهو المدى المعتاد الذى يتوقف عنده تزايد المياه(٢) .

وتصل مياه النيل الى سفح قلعة القاهرة عن طريق مجرى يأخذ مياهه من جنب فم الخليج ، بفعل ثلاثة آبار تعمل عليها سواق ترفع المياه الى المستوى اللازم لبلوغها هذا المجرى ، أما الآبار (أو الاسبله) التى تنتهى اليها فتؤمن استهلاك السكان وحاميات القلعة . وهناك أفندى موكل بصيانة الحبال والدواب وتقديم الاجور الى العمال المحقين بهذه المنشأة ، اما أمين الشون (شونة) فيوفر النبن اللازم لطعام الثيران . وفى عهد السلطان مصطفى ، زيدت الأموال المخصصة لهذا الضرب من ضروب الإنفاق ، على نفقة الخزينة ، بمبلغ ... ر؟ مدينى ، ضمناها فى المبالغ الموضحة .

(١) عندما يتم تنظيف فم الخليج ، يترك فى الوسط عمود من الطين يسمى العروسة ، أى الفتاة المقبلة على الزواج ، ويشعر الناس بالبهجة الغامرة اذا ما حملت المياه بغتة هذه الكتلة من الطين، أما اذا قاومت هذه الكتلة فعل المياه لوقت طويل ، فان الناس يشعرون بالغم والكدر كما لو أن الأمر نذير بأن الفيض لن يكون سعيدا . وتحمل هذه العادة ذكرى خرافة بشعة عن المصريين الوثنيين حين كانوا يضحون بشابة صغيرة كانوا يقدمونها للنهر على أنها زوجة له .

(٢) يشكل العيد الذى يحتفل به الاقباط على شرف الصليب ، والذى يتم فى نفس هذه الفترة على وجه التقريب حفلة حلت فيها يبدو محل خرافة قديمة من خرافات المصريين القدماء ، فيبدأ البطريك ، يتبعه رجال الدين وبقية شعبه ، المسيرة من دير يقع الى جنوب مصر العتيقة ، وبعد ادعيات طويلة ، يذهب البطريك ليلقى فى النيل بصليب صغير من خشب ، ويحذو حذوه كل تابعيه ، ويسر المسلمون كثيرا بهذا العيد ، ولا بد أنهم سياسفون كثيرا لو حدث ان توقف .

وتقام فى كل عام سدود لفتحات ترع بحيرة تنيس والنوارة التى تصب مياهها فى السهول الرملية المتاخمة لدمياط ولطابية العزبة حتى لا تتوغل فى مجارى هذه الترع مياه البحر . وكان اغا الطابية أو الحصن يحصل على ٣٦٦٢٣ مدينى فى مقابل بناء هذه السدود .

ويجد المرء فى كل انحاء مصر قناطر مبنية بالحجارة مقامة فوق ترع الرى ، ويمكن للطمى الذى يتراكم حول اقواس هذه الترع أن يعوق مجرى المياه . وكان حكام الولايات ملزمين بالعمل على ازالته (أو تجريفه) ، وهم يقتسمون الأموال المرصودة لهذا العمل طبقا للتوزيع الآتى :

سيوط	٧٥٠٠٠ مدينى
منفلوط	١٤١٦٤
بنى سويف	٣٧٥٠٠
الفيوم	٢٩١٣٢
الجيزة	١٢٥٠٠٠
القليوبية	٤٠٤١٠
الشرقية	٦٧٦٧٥
البحيرة	١٢٥٠٠٠
المنصورة	٧٣٩٨٥
الغربية	٢٥٠٠٠٠
المنوفية	٢٢٩٣٢
اجمالى مطابق	٨٦٠٧٩٨

وكان محرما انشاء قنوات أو مساق (مستقى) ترفد عن النيل أو الترع التى تتفرع عنه أثناء الفيضان ، ويسهر على ذلك ليلا ونهارا حراس يختارون من اوجاق الشراكسة ، ويحصل هؤلاء على المبلغ الموضح لكى يقيموا على الشواطىء مشاعل تسهل عملية الرقابة التى يمارسونها .

ولا تصل مياه النيل الى السويس ، فكل المياه التى تستهلك هناك تغترف من عيون موسى ، وتمضى الى داخل صهريج واسع للمياه حيث تخزن مئونة المياه اللازمة للمدينة طيلة العام . وقد خصص السلطان سليم للمستائين المستخدمين فى نقل هذه المياه ، المبلغ الذى اوضحناه .

وقد قام أحد الباشوات واسمه حسن ببناء خزان مياه عمومى (سبيل)

بقلعة القاهرة ١ لا يزال حتى اليوم يحمل اسمه ، وينفق للء هذا الخزان كل عام من الأموال التى رصدها لخدمة هذا المرفق .

ويحدث الشيء نفسه لبئر يوسف أفندى ، الذى خصص السلطان مصطفى لصيانتة ٣١٠٠ مدينى ، تؤخذ خصما على نفقة الخزنة .

وقد فرض اسماعيل بك ميرى قدره ٥٠٠٠ مدينى على وكالة الزعفران ببولاق ، وخصصت لصيانة سبيل ابراهيم الكخيا فى القلعة ، وهذا السبيل واسع لحد أن الجيش الفرنسى قد استخدمه لتخزين مؤنه (من المياه) أثناء الحصار .

ويرسل الباب العالى سنويا الى القاهرة شورية جى (شوربجى) باشى الموكل بصنع صنوف من الشرابات للسلطان ، فيشتري المواد اللازمة ، ويصنع بنفسه هذه المشروبات الحلوة ، وكان يعطى له طبقا للوائح سليمان مبلغا قدره ٣٥٥٦٦ مدينى مقابل نفقاته ، وفى عام ١١٧٩ من الهجرة أمر السلطان مصطفى برفع هذه النفقات الى ١٠٦٦٩٠ مدينى (١) ، ويعطيه الباشا بخلاف ذلك مبلغ ١٠٢٠٠ مدينى لينفقها فى شراء مواد عطرية تعطى لهذه المشروبات رائحة مستحبة ومذاقا أفضل . وتقضى العادة كذلك أن يقدم له الباشا هدية تبلغ ٤٤٠٠ مدينى ، كما شاء السلطان مصطفى أن يخصص مبلغ ٨٧٥٩٧٢ مدينى لمصروفات شراء وارسال السكر الى الباب العالى ، ولم نشر نحن الى ذلك مطلقا لأن القبطان باشا قد حذف هذا المبلغ فى عام ١٢٠٠ من الهجرة من الانفاقات التى تنفع على عاتق الميرى ، وأمر بأن يؤخذ هذا المبلغ خصما من الخزنة اذا ما أرسل السلطان فى طلب السكر ، وان كان فى نفس الوقت قد أبقي على تصرف السلطان مصطفى الذى قضى باعتماد مبالغ تؤخذ من أرصدة الخزنة ، وتخصص للاغراض التى نوردها فيما يلى :

٢٠٠٠ أردب من الارز من انتاج قرية فارسكور
والقرى المجاورة ٣٢٠٠٠ مدينى
١٠٠٠ أردب من أرز دمياط ١٦٠٠٠ مدينى

(١) أخذ منها اذن مبلغ ٧١٢٤٧١ خصما على نفقة الخزنة .
(وصف مصر — م ١٥)

١٥٠٠٠ ر.أردب من عدس القاهرة
 مصروفات شحن الارز والعدس ١٨٢٣٠٦
 خصم (أو تنزيل) يتم لصالح الروزنامجى والكتبة ٢٥٦٦٣

اجمالى مطابق للمبلغ الوارد بالجدول ٧٠٢٩٦٩ مدينى

وكان الروزنامجى يشتري هذه السلع الغذائية من ملتزمى الجهات التى ينبغى عليها توفيرها ، ويسدد اثمانها بالأسعار التى أوردناها . وحين أصبح مراد ملتزما لدمياط وعثمان ملتزما لفارسكور ، توقفت هذه التوريدات كما ترقفت توريدات عدس القاهرة ، ومع ذلك فقد ظلت هذه تدخل ضمن اتفاقات الميرى لأن مراد وابراهيم طلبا الى الروزنامجى أن يضمها الى الدخول المخصصة لهما .

رابعا : المعاشات والمرتبات

اجرى سليم وسليمان معاشات أو رواتب متنوعه لرجال الديانة الاسلامية والارامل والايام . ولاشخص خاص منفردين ، وحذا حذوهما خلفاؤهما بل ، وكذلك ، الباشوات والبكوات ورجال الاوجاقلو (العسكر) العاديون ، الذين انتهى بهم الامر ، حتى يضمنوا وصول هذه الرواتب الى الاغراض المخصصة لها ، الى تكليف الروزنامجى باستلام الأموال التى نزلوا عنها وان يتصرف فيها طبقا للنوايا التى أبدوها .

واليكم جدولا بالمصروفات التى كانت قائمة عند وصول الجيش الفرنسى الى مصر :

الى المشايخ والعلماء ١٢٩٥٣٤ مدينى
 للايتام ٢٨٢٤٦٦٢
 للارامل ٣٢٨٦٣٤٨
 للشيوخ :

عطاء الله السكندرى ٤٠
 ابو السعود ٩٨
 بهى الدين المجدود ٩٨
 محمد الجاكى ٩٨
 محمد ابو طرطور ٣٩١
 المجموع ٧٢٥

الى عائلة سليمان افندى ٢٧٠٠٠

الى اشخاص متفرقين كمعاشات تسمى رزق
نقدية :

فى ولاية القليوبية ٣٥٤٠٥٨٠ . . .

فى ولاية الجيزة ٦٥٠١٤٥ . . .

المجموع ١٠٠٤٧٢٥

٨٤٣٨٩٩٤

الاجمالى

د س

وتعادل ١٠ ١٢ ٣٠١٣٩٢ جنيها توريا

وبالفرنكات ٧٧ ٢٩٧٦٧١ فرنكا

وكانت المعاشات او الرواتب التى أجريت للمشايخ والعلماء تعطى لهم فى شكل أوراق مرتبات . ويبدو أن هذه المعاشات لم تكن تشكل فى عهد سليمان مثل هذا الحجم الكبير ، لكن الوازع الدينى قد دفع بالملك الى تخصيص ارضة من نفس النوع اضيفت لتلك العطاءات التى خصصها السلاطين ، وهو الذى بلغ بها الحجم الذى بيناه .

و يمكن أن نقول نفس الشيء فيما يختص برواتب الايتام ، أما معاشات الأرامل التى أصبحت من نصيب نساء الاثراك الذين لا قوا حتفهم عند فتح مصر ، فلم تتناولها اية زيادة ، وان كانت هذه وتلك قد عانت من اهتزاز الثقة فى أوراق المرتبات (الجامكية) التى كانت تتشكل منها ، فى الوقت نفسه الذى ظلت قيمتها فى بنود الانفاق الواقعة على عاتق الميسرى على حالتها نفسها ، ذلك أن البكوات الممالك الذين حصلوا عليها بأبخس الاثمان ، قد انتحلوا لانفسهم حق الحصول على قيمتها من صندوق الروزنامجى .

ويحكى أن السلطان سليم ، بعد أن استعطفت مراحمه جماعة من الشحاذين الشيوخ ، قد خصص لهؤلاء تلك المبالغ الزهيدة الواردة بالجدول ، ثم جاءت ذريتهم ، مستندة الى عادة الزامية معظم العطايا الاختيارية ، لتطالب بها ، ولا يزال هؤلاء يتمتعون بها حتى اليوم .

وكانت الوظائف المتميزة التى شغلها سليمان ، الاندى السابق

لاوجاق المتفرقة ، قد جعلته مستحقا لراتب قدره ٢٧٠٠٠ مدينى خصصها له
الباشا خليل ، وظل هذا الراتب يصرف لاهفاده .

أما الرزق (النقدية) التى فرضها السلطان سليمان على الكثرين من
ملتزمى الجيزة والتليوبية ، فقد خصصها لأشخاص بعينهم أراد — هو —
أن يكافئهم . وحيث أن هذه الرزق وراثية وقابلة للتحويل ، فانها لا تختلف
عن الملكيات الخاصة الا فى أن الروزنامجى هو الذى كان يحصلها ، ويتصرف
فى عائدها الذى كان يدخل ضمن الميرى المقدر على هاتين الولايتين .

خامسا : الأعمال والمنشآت الخيرية

صيانة المقابر :

جورماز الاتابكى	٢٥٠٠
الشيخ الدمنائى	٤٠٠٠
زاوية برقوق	٣٠٠٠
حصرون باشا	٣٠٠٠
الشيخ أحمد الطحاوى	٥٣٨
الشيخ تاج الدين	٨٠٠
الشيخ أحمد النجار	١٠٠٠
الشيخ الشهيد	٣٠٠
الشيخ سعد الدين الجمبوى	٢٠٠
الشيخ يوسف العباسى	٨٠٠
مسيدي ابراهيم الدسوقى	٥٥٠
عطوان الصيفى	٢٠٠٠
الشيخ سويدان	٦٨٣
الشيخ السادات	٣٠٥٢
الشيخ أحمد المنير	٣٠٠
الشيخ عمر الدنبنى	٣٩١
الشيخ على أبو النور	١٩٥
زاوية سنقر	١٩٥
الشيخ عبد الله الجبوشى	٥٠
الشيخ سويدان	٢٠٥

٦٨١٢٤	زاوية المشايخ (عدة أضرحة)
	القاضي زين العابدين
٣٠٠	(على نفقة الخزنة)
	الشيخ محمد كريم الدين
٢٠٠٠	الخلوتي (على نفقة الخزنة)
٩٩١٨٣	المجموع
١٣١٠٩٣٥٨	مساجد ، اديرة ، دراويش ، شحاؤون ، عجرة
	الجامع الازهر :
	العلماء ، الشيخ والمدرسون
٥٧٦٠٣٠	الاساتذة
	شموع لقاريء
٢٢٢٦٦	القرآن والخطيب ١٧٧٧ر
	أرز وعسل يوزعان
	سنويا على الفقراء ٢٠٤٨٩ر
٥٩٨٢٩٦	المجموع
٥٨٤٤٠	عمائم تعطى لمن يعتنقون الاسلام
٧٨٠٠	مياه عذبة توزع على الذاهبين لتشجيع الجنازات
	للشيخ البكري مقابل ما ينفقه في الاحتفال
٢٥٣٨	بمولد النبي
	مولد السيد أحمد البدوي في طنطا :
	للفقراء { جبن وبصل ١٤٦٨ر
	{ صدقات ٢١٧٥ر
	للشيخ العشرة ١٥٠
	لعائلة السنواي
	(على نفقة الخزنة) ١٠٠٠ر
٤٧٩٣	المجموع
	ارساليات الى اورشليم (القدس) :
	مصرفات نقل العدس ١٠٠٠ر
٣٥٣٢٠	الصرة أو المعاشات
٩٩٥٧	حصر (حصيرة) للمسجد
٤٦٢٧٧	المجموع

أثارة محراب سيدنا يوسف ٢٨٩٥
 معونات لايتام المارستان ٢٥٠
 صيانة خلوات الدراويش ، ناظم الدين صفهاني ١٢٠٠٠
 للشيخ الذى يثلو القرآن ليلة فتح الخليج . . . ٣٤٢

تيران تستخدم فى ادارة سواقى الآبار التى توجد بمساجد :

الامام الشافعى ٣٧١
 الشيخ عمر بن الفارض . . . ٤١٥
 الفورية ٤١٥
 سارية الجبل ١٢٣٠
 المجموع ٢٤٣١

قرب مياه تعطي لـ :

جامع الشيخ عمر بن الفارض ٤٤
 أوجاق الجاويشية . . . ٤٤
 أوجاق مستحفظان . . . ٤٤
 المجموع ١٣٢

الاجمالى ١٣٩١٢٨٩٣ مدينى

د	س	
تعادل ٥	١٦	٤٩٦١٤٧ جنيها توريا
وبالفرنكات	٥٤	٤٩٠.٢٢ فرنكا

ويولى المسلمون عظيم احترامهم للموتى ، ويتوجهون كل جمعة ، وهو يوم الصلوات (كذا) لزيارة مقابر ذويهم ، أو أضرحة أولئك الذين ماتوا تحيط بهم حالة القداسة ، وقد أدت العناية بمقابر هؤلاء وكذلك المصابيح التى تضيء هذه الأضرحة الى انشاء بنود انفاق وردت بالجدول .

أما الأموال التى رصدها سليمان لصالح المساجد والأضرحة والدراويش والشحاذين والعجزة فهى عبارة عن أوراق مرتبات (جامكية) ، ولقد تزايدت هذه الأوراق وتدهورت قيمتها وتلت الثقة فيها على نفس النحو الذى سبق لنا أن لاحظناه فيما يختص ببقية الرواتب التى أجريت على الشيوخ والايام السخ ، كذلك فإن نفس الدوافع (التى سبق لنا بيانها)

هى التى أدت الى استمرار سداد قيمتها للبكوات المالك ، الذين آلت —
هى — اليهم .

والجامع الازهر هو أشهر المدارس التى تدرس بها النظريات الدينية
الاسلامية ، وهى المدرسة الوحيدة بالقاهرة ، ومصر كلها ، التى يحصل
منها الدارسون على شهادة عليا ، أو شهادة العالمية ، وقد اختصه سليمان
— بشكل جزئى — بأوراق مرتبات ، وبرسوم (أو عادات) على نظرون
الطرائة ، وبالإضافة الى ذلك كان الازهر يتمتع بعوائد عدد كبير من القرى ،
ولذلك فان تدهور قيمة أوراق المرتبات لم تحرمه من الاحتفاظ بدخل هائل .
وفى خلال شهرى شعبان ورمضان ، يضاء لخطيب الجامع ، وهو العالم
الذى يتلو ويفسر القرآن ، اثنان من الشمعدانات الضخمة ، يضم كل منهما
خمسا وعشرين شمعة ، وأوصى سليمان بأن يشتري كل ذلك على نفقة
الميرى ، وكان الفقراء والعميان ، المترددون على الجامع ، يحصلون خلال
شهر رمضان ، عقب غروب الشمس على جرايات من الارز والعسل ،
رصدها لهم عبد الرحمن الكفيا .

أما المبالغ المخصصة لشراء العمامات التى تقدم لمن يعتقدون الاسلام ،
فكانت تودع مع خازن الباشا ، الذى كان يستبقئها لحسابه عندما لا تتم مثل
هذه الاعتناقات .

ويتسلم وكيل الخراج ، ويتصرف كذلك فى المبلغ المرصود لدفع أجور
السقائين الذين يحملون الماء الذى يوزع فى المقابر على الأشخاص الذاهبين
لتشييع جنازات الموتى والصلاة على ارواحهم .

ويحتفل أهل القاهرة بمولد النبى بكثير من الابهة ، فتضاء المساجد
والبيوت طيلة ثمانية أيام متصلة ، ويحصل الشيخ البكرى ، زعيم سلالة
أبى بكر صهر محمد ، على مبلغ لا يتناسب فى كثير مع الانفاقات التى اعتاد
القيام بها . ويزوره فى هذه الايام المسلمون ، وبخاصة الاولياء منهم ،

ليؤدوا الصلاة معه ، وتكلفه هدايا البن والحلوى التى يقيمها لضيوفه ، وكذا الأنوار التى تزين مداخل مقره والمناطق المحيطة به أكثر من ١٠٠.٠٠٠ مدينى (١) .

ويتسبب أولياء عديدون فى نشأة موالد أو أعياد أقل أهمية ، وأهم هذه الموالد هو المولد الذى يحتفل به فى طنطا على شرف السيد أحمد البدوى . وكان هذا الحفل يقام بالفعل فى زمن السلطان سليم ، الذى أمر بأن توزع هناك صدقات وأطعمة على من يوجد بالمولد من الفقراء ، كما خصص ١٥٠ مدينى لشيخ العشرة لكى يتوجه الى طنطا ويتكفل بالاضاعات المعتادة . وكان سليم يرنو من وراء هذه العطايا المختلفة الى تسهيل سبل التجارة التى يمكن أن تنهض فى سوق تقيمها (تلقائيا) هذه الافواج من الحجاج (الزوار) . وحيث كانت عائلة الشناوى تتميز بالحماسة التى تبديها فى زيارة ضريح هذا الشيخ ، وفى الاسهام فى نفقات هذا الاحتفال فقد أمن لها معاشا قدره ١٠٠.٠٠٠ مدينى على نفقة الخزنة .

ويعد الحج الى القدس عملا بالغ الجدارة من جانب المسلمين ، وبخاصة من جانب العرب منهم ، الذين يرون فى هذه الزيارة ، وهم الذين ينسبون انفسهم الى اسماعيل ، عملا يقصد من ورائه تبجيل ابراهيم واسحاق ويعقوب المدفونين طبقا لمعتقداتهم فى مسجد الرحمن . وكما هو

(١) فى ترميدور من العام السابع ، تأقى القائد العام دعوة من الشيخ البكرى لحضور هذا الحفل ، وقد صحبته الى هناك هيئة أركان حربه ، وكنت بالمنزل فى معيته . وقد لاحظنا أن العبادات كانت تقتصر على ترتيل رتيب لبعض آيات من القرآن ، وتلاوة نسب الشيخ البكرى ، الذى يدل على أنه من أصلا بسلالة أبى بكر ، وبعد ذلك حصلنا على نصيبنا من عطاءات البن والحلوى . كنا نسلك سلوك المسلمين ، وقد تعشينا مع الشيخ ، ومع أولئك الذين شاركوا فى الوليمة التى أولت لنا ، وقدمت الاطباق على صوائى واسعة من النقاس ، وأكائنا على طريقة الشرقيين ، لكن النبى حرمانا من نبيذ العشاء (أى لم يقدم لنا بسبب ما تقتضى به الديانة الاسلامية) ودارت علينا المياه فشربنا كلنا من نفس البردق . وقد قسم المدعوون الى عدة مجموعات ، وكان يجلس مع الشيخ القائد العام والجنرال برتنيه Berthier (فى مجموعة مستقلة) ، وكانت لكل مجموعة صينية خاصة بها ، وتختلف هذه الطريقة فى تقديم الطعام قليلا مع الاساليب المعتادة عند المصريين ، اذ تمر المائدة نفسها فى العادة — على التوالى لتنتقل من السادة الى أهل البيت ، وهكذا حتى تصل الى الخدم .

معروف ، فان محمدا نفسه قد قام برحلة الحج هذه ، ولذا فان الوريين من أنبائه يجدون واجبا عليهم أن يحدوا حذوه . وكان مدير هذا المسجد ، يتصل بنائب أو وكيل عنه ، كلف بالقيام بمشغريات العدس اللازمة لاطعام خديم المسجد ومن يلوذ به من الفقراء ، وأخذ سليم على عاتقه سداد نفقات نقل هذه الاطعمة ، كما خصص لنفس المسجد صرة أو معاشا سنويا ، بالإضافة الى اعتماد رصد لشراء الحصر التى تغطى أرضه .

ويقع محراب سيدنا يوسف داخل أرض أورشليم ، وقد بنى على بئر يظن أنها البئر الذى سجن فيه على يد اخوته ليبيعوه بعد ذلك الى تجار اسماعيليين . وقد خصص سليم ، على نفقة ميرى مصر ، ما يكفى لتوفير اضاءة وصيانة لهذا المكان المقدس .

وتدعو ضالة المبلغ المخصص لليتامى المقبولين فى مستشفى المارستان الى الاعتقاد بأن السلطان لم يدر بخلده أن يقدم لهم عونا حقيقيا بقدر ما شاء أن يقدم لهم بعض صدقة . وكانت لهذه المنشأة دخول تتناسب مع الانفاقات التى تقوم بها .

وحيث تقع مساجد الامام الشافعى والشيخ عمر بن الفارض والغورية قريبا من المقابر التى يدفن فيها الكبار (طبقة الحكام) ، فقد كان يتوجه للصلاة فيها خلق كثيرون . وقد خصص السلطان سليمان اعتمادات لشراء وايواء النيران التى تستخدم فى نزع مياه الابار الموجودة بالقرب من دور العبادة هذه . أما جامع سارية الجبل الموجود بقلعة القاهرة فكان بالمثل يحصل على تسهيلات واعانات . ويجعل الوضوء ، الذى يسبق عادة صلوات المسلمين ، من الاقتراب من بعض الابار أمرا ضروريا ، لكننا نجهل السبب فى اعطاء ثلاث من القرب الى كل من جامع الشيخ عمر بن الفارض ، وأوجاى الجاويشية ومستحفظان ، وهو الأمر الذى قرره السلطان سليم .

سادسا : محمل مكة

كسوة للكعبة فى مكة ، منها ٢٦٤ر٨٠٧ مدينى على
نفقة الخزنة ٧٩٠ر٨٠٧
النصرة (رواتب أو معاشات) :
نقدا ، لمكة والمدينة منها ١٤٥ر١٤٣
مدينى على نفقة الخزنة . ١٥ر٩٨٥ر٢٢٠

مصرفات لشراء صناديق وزكائب

وتبن الخ ٤٤٨٦ ر
مجموع الصرة ١٥٩٨٥٧٠٦ ر

لامير الحج :

للألاى ، اى لذهاب المحمل . ٣٤٩٠٣٣ ر
مصاريف مطبخ ٩١٩٩٢٤ ر
..... ١٢٦٨٩٥٧ ر
اضافى منحه اياه خلفاء سليم منه ١٢٥٨٧٠٧ ر
مدينى على نفقة الخزنة ٢٠٠٠٠٠٠ ر
للعربات التى تقل حاملى المدافع . . . ١٢٠٦٩ ر
شعلات للمذكورين ١٢٧٩ ر
لحراس خيمة امير الحج ٦١٥ ر
للسياس (سايس) ٤٧٠٧ ر
لشراء الزيت والكبريت اللازمين لدهن الجمال ١٤٠٤ ر

للسردارات :

للسردارات انفسهم . . ٣٦٦٨١٤ ر
اضافى قرره لهم السلطان
مصطفى على نفقة الخزنة ٥٦٣٧٢٧ ر
..... ٩٣٠٥٤١ ر
لبغال السردارات . . ٤٨٧٩ ر
للجن والابل الذى يقدم لهم ١٦٦٧ ر
المجموع ٢١٥٤٦ ر
تعويضات للجنود الذين يكونون حامية قلعة
المويلح ، على نفقة الخزنة ١٨٠٤٤٠ ر
مصرفات متناثرة تتم منذ رحيل المحمل :
لادلاء (مرشدى) القافلة . ١٢٥٦ ر
بريد جوال للقافلة . . ٥٥٥٩ ر
بريد من راكبى الجمال للقافلة ٢٧٣٠ ر
المجموع ٩٥٤٥ ر

لشراء مكابيل خشبية لكيل شعير	
خيول وجمال أمير الحج ومعيته	
فى القافلة	٧٩١
صدقات توزع خلال السفر	١٣٦٧ر
لتطهير الآبار الواقعة على	
الطريق	٢٣٥٦٢ر
خيمة لتغطية الحوض الذى	
تؤخذ منه المياه	١٣٦٥٩ر
تبن للثيران المستخدمة فى	
الآبار ، وبخاصة بثرا النخل	
والعجورود	١٠٩٢٨ر
التزود بالتبن فى بعض القرى	
التي يمر بها الحمل	٦٨٨٠ر
المجموع	٥٧١٨٧ر
جمل للمبلغ فى جبل عرفات	٢٠٠٠ر
مصرفات تتم أثناء عودة الحمل :	

ترفيهات للحمل يقدمها	
أظلم باشى وعقبة باشى	١٩٣٢٧٨ر
موسيقى يقدمها أظلم باشى	٨٥١٨ر
فطائر وحلويات يقدمها أظلم	
باشى الى أمير الحج	١٧١٦٤ر
المجموع	٢١٨٩٦٠ر

ارساليات تصل الى مكة عن غير طريق الحمل :

نقود فضية وأرز لشريف مكة منها	١٢٠٠٠٠ر
مدينى على نفقة الخزنة	١٧١٠٩١٧ر
نقود فضية الى الشريفة أورخانة	٣٦٠٠٠ر
نقود فضية للشريفين حمزة	
وحسين بركة	١٩٧٠٠٠ر
المجموع	٢٣٣٠٠٠ر

نفود فضية الامير حاكم ينبع خصما على	
نفقة الخزنة	١٨٠٠٠٠
ودائع لكى الروزنامجى من الارصدة التى	
خصصت فى الماضى لتوزيع المراكب التى كانت	
تنقل الحبوب الى مكة والمدينة	١٢٠٢٢٣
مصرفات نقل الحبوب الى قضاة مكة والمدينة	٢٣٥٨١
حصر وزكائب تعباً فيها الحبوب	٥٢٦٨٣
لشراء زيت القناديل لمسجدى	
مكة والمدينة	١٠١٦٩٨
مصرفات نقل الزيت ومنها	
٨١٥٠ مدينى على نفقة	
الخزنة	١٦٩٠٤
اثمان الصناديق التى يوضع	
بها ومصرفات نقل هذه	
الصناديق	١٥٣٣٤
.	١٣٣٩٣٦
ثمن شمعدانات وصناديق لاحتوائها ، منه	٦٠٦٢٣
مدينى على نفقة الخزنة	١٢٣٨١٣
حصر من الفيوم مع مصرفات شحنها	٨١٣٨
الاجمالى	٤٢٠٧١٦٥٤ مدينى
د	س
تعداد ٥	١
وبالفرنكات ٨	١٥٠٢٥٥٩ جنيها توريا
	١٤٨٤٠٠٩ فرنكا

والكسوة هى الاسم الذى يطلق على الطنائس والبسط التى تسلم
لامير الحج كى يكسو بها الكعبة ويزين قبر فاطمة بالمدينة ، وكانت هذه
تصنع فى قلعة القاهرة . وقد رصد السلطان سليمان مبلغ ٥٢٦٠٠٠
مدينى لنفقات صنعها ، وارتفع السلطان مصطفى بهذا الرصيد ، لكى يجعله
كافيا ، الى ٧٩٠٨٠٧ مدينى وهو المبلغ الذى اوردناه بالتجدول . ويدير
ناظر الكسوة عملية صنع وتطريز الائمة ، لكنه لا يحيط سوى الباشا
علما بكيفية انفاق المبالغ التى حصل عليها لهذا الغرض .

وطبقا للوائح سليمان ، فلم يكن يرسل مبدئيا الى مكة والمدينة ، بمثابة اعتمادات للصرة سوى ١٠٩ر٢٣٠هـ مدينى كانت توزع على مساجد عدة ، وعلى شيوخ وسكان كثيرين فى هاتين المدينتين . ومنذ العام ١١٣٨ من الهجرة ارتفع هذا الاعتماد بشكل هائل فى هيئة أوراق مرتبات (جامكية) ، خصصت ، بموافقة بائنا القاهرة ، للانفاق على مؤسسات مماثلة لتلك التى عنها السلطان سليمان ، وعندما نبين للكثيرين أن مخصصات الصرة كانت تسدد بدقة فى حين أن حصيلة أوراق المرتبات تبدو فى حكم العدم ، فقد التمسوا أن يدخلوا فى عداد أصحاب المعاشات المستفيدين من الصرة ، وأن يحصلوا ، بهذه الصفة ، على عوائد أوراق النقد التى كانت فى حوزتهم . وقد أدى السماح بذلك من جانب الادارة الى اضافة المبالغ الآتية الى رصيد الصرة ، وهى المبالغ التى لا تزال تسدد الى اليوم الى الاشخاص الذين سنشير اليهم :

فى القاهرة :

الى أسرة الشيخ الجوهري	٥٧٢ر٠٤٤
الى الشيخ البكرى	٢٦٠ر٩٠٠
الى الشيخ السادات	١٤٨ر٦٣٥
لاوقاف عبد الرحمن الكخيا	٢٠٩ر٥٠٣
الى نقيب الاشراف	١٦٥ر٢٩١
الى الشيخ محمد المهدى	٢٢٥ر٠٦٤
الى السيد أحمد المحروثى (تاجر)	١٩٦ر١٧٤
الى ابراهيم أفندى الروزنامجى	٤٠٠ر٠٠٠
الى الشيخ عبد الله الشرقاوى	١٩ر٧٨٠
الى يوسف أفندى	٤٩ر٥٥٤
الى خليل أفندى	١٣٧ر٥٠٠
الى حسين أفندى	٧١ر٢٠٠
الى عدد لا حصر له من الاسماء رجالا ونساء	٢٤٦٩ر٣٩٩هـ

فى مكة والمدينة :

الى كثيرين من الشيوخ والمساجد والسكان ،
ويدخل فى هذا المبلغ ١٤٥١٤٣ مدينى
خصصها السلطان مصطفى خصما على
الخرقة ٢٨٢٦ر٠٦٧

١١١٠٧٥١ر٠١٠ مدينى

الاجمالى

ونتيجة لذلك فان الصرة الحالية، عندما يضيف
اليها مبلغ ٥٢٣٠ر٠١٠٩

الذى اعتمده سليمان ، تصل فى مجموعها الى ١٥٩٨١ر٠٢٢ مدينى

يرسل منها الى مكة والمدينة ١٧٦ر٠٥٦٨ مدينى ، اما الباقى وقدره
٧٩٢٥ر٠٤٤ فيعطى لمستحقه فى القاهرة .

وهناك امر يدو وكأنه هو الذى قد سهل عملية ادماج اوراق المرتبات
فى اعتمادات الصرة ، وهو ان السلطان سليمان قد انشأ هذه الاوراق ،
شأنها فى ذلك شأن الرواتب التى اجراها على المساجد والارامل والايام
بفئة موحدة قدرها ١٨٢ر٠ مدينى ، وعلى نفس النسق الذى يتبع عند دفع
اوراق المرتبات المخصصة للجيش . وقد كان بمقدور الاشخاص والمنشآت
الذين خصصت لهم هذه الاوراق ، او الذين آلت اليهم منذ عهده ، ان يبيعوها
او يتصرفوا فيها . وعندما قامت ادارة مراد بك وابراهيم بك ، توقف دفع
المعاشات او الرواتب التى كان يحصل عليها ابناء القاهرة والتى ادخلت ضمن
الصرة . وعندما كان الحمل يخرج من هذه المدينة كان الروزنامجى يتوجه الى
بركة الحج - وهى الملتقى العمومى للمسافرين (الحجاج) - لى يعطى
للخطيب ، ولصراف الصرة الجزء من المعاشات او الرواتب التى تدخل
تحت هذا التحديد والتى ينبغى ان توزع طبقا له . وتعد النقود فى حضرة
كل من الكفيا والباشا وامير الحج ومفوض او مندوب من قبل قاضى القاهرة ،
ثم توضع فى صناديق تسلم مفاتيحها الخطيب والصراف ، وبعد ذلك يعهد
بالصناديق الى امير الحج ليضعها فيما بعد تحت تصرف هذين الموظفين فى

مكة والمدينة لكي ينفقا الاموال التى تضمها هذه الصناديق فى الاغراض التى خصصت لها . ولم يكن لشريف مكة أى حق فى أى دخل بالمعنى المفهوم ، اللهم الا اذا كان حائزا على أوراق مرتبات (جامكية) يحصل على مستحقاته طبقا لها .

أما المبلغ المخصص لانفاقات الالاي ، أى ذهاب المحمل ، فيسلم الى أمير الحج الذى يتصرف فيه حسبما يترأى له ، كما يحصل على ذلك المبلغ انذى خصصه له السلطان سليمان باعتباره مصروفات مطبخ .

وقبل عهد هذا الحاكم كان العربان يحترمون قافلة الحج ، التى كانت تنال ما تحتاجه من الحماية لمواجهة المخاطر المعتادة على يد السردارات الذين كانوا يتقدمونها ، فكان يرأسها مجرد واحد من تجار القاهرة ، يتولى تدبير أمر الانفاقات التى تفرضها الظروف من المبالغ التى بينهاها ، ولكن حين بات من الضروري التصدى لسطو البدو ، فقد أدت ضرورة احتواء وقاحتهم واطماعهم النهمه الى انتقال منصب أمير الحج الى البكوات ، وبدأ الباشا وكبار ابناء القاهرة يدفعون بأنفسهم رواتب المالك والمغاربة الذين يستخدمون فى هذا الغرض . وحيث لم يكن لهذا الاحتياط أن يحول بشكل تام دون أن يسلب المحمل فى العام ١٠٧٨ من الهجرة فقد استوجب الأمر استجداء مراحم السلطان كى يدبر الوسائل الكفيلة باكتراء حرس قوى له مهابته . وقد أمر السلطان أحمد بالحاق زيادة اضافية الى الميرى قدرها ١٦٢ر٨٩٣ مدينى تخصص للانفاق على المحمل ، لكن هذا المبلغ كان أقل من أن يواجه متطلبات المحمل ، لذا فقد اشترى امان الطريق ، بعد ذلك بوقت قصير ، مقابل اتاوة قدرها ٢٥٠٠٠ مدينى كانت تعطى للعربان الذين يشغلون الصحراوات التى كان على قافلة الحجاج أن تجتازها . وفى العام ١١١٥ من الهجرة ، رصد السلطان محمد اعانة مالية جديدة قدرها ٢٥٠٠٠ مدينى . وازاد السلطان مصطفى فى العام ١١٧٤ الى الاعطيات التى قدمها اسلافه ٣٧٥٠٠ مدينى ، وحيث سلك هذان السلطانان (محمد ومصطفى) ، كى يحصلوا على الارصدة المطلوبة ، نفس الطريق التى سلكها السلطان أحمد ، فان مبلغ الـ ١٢ر٨٩٣ مدينى الناتجة عن المنح التى قدموها مجتمعين ، يشكل زيادة فى المال الميرى

وزعت على كل قرى مصر ، وجببت منها فى الوقت نفسه باعبارها ضريبه (١) . ومع ذلك فقد ظلت نفقات الحمل تتزايد بصفة دائمة ، ذلك ان الاتاوات المالية التى تدفع الى بعض القبائل العربية لم تكن تعفى امير الحج من اكتراء حراس يزيد عددهم مرة بعد أخرى بسبب الخيانات التى يرتكبها غس البدو الذين تم الاتفاق معهم ، وكذلك بسبب اعتداءات لم تكن متوقعة من جانب بدو آخرين لم يحصلوا على نصيبهم (من الاتاوة) من القبيلة ، وبعد خمس سنوات من الاعانة التى رصدها السلطان مصطفى ، حصل باشا القاهرة من نفس السلطان على زيادة قدرها ٢٥٨٧١٠٧ مدينى ، و اضاف السلطان عبد المجيد فى عام ١١٨٧ الى كل ذلك مبلغ ١٠٠٠٠٠٠ مدينى ، بحيث بلغ اجمالى الزيادات التى ألحقت بنفقات الحمل ٢٠٠٠٠٠ مدينى ، أما مبلغ الـ ١٢٥٨٧١٠٧ مدينى التى تشكل الاعانات الثلاث الأخيرة فكانت تدفع خصما على نفقة الخزنة دون ان تتسبب فى تقرير أية زيادات على المال الميرى . وعلى الرغم من ان المبالغ التى يحصل عليها امير الحج من مصادر مختلفة أصبحت أعلى بكثير من تلك التى خصصت له فى البداية ، وبرغم انه كذلك كان يرث كل متعلقات من يموتون من الحجاج أثناء الطريق ، فقد كانت مهمته هذه لا تعود عليه بنفع كبير ، اذ كان يلزمه ان يكترى الممالك والمغاربة الذين يشاركون فى الحرس ، كما كانت هناك الاتاوات التى يقدمها للقبائل العربية بالاضافة الى مصروفات توفير المؤن وتدبير وسائل النقل الواجب توفيرها لكل من الحق بالخدمة العامة بالحمل ، ولم يكن هؤلاء يؤجرون على نفقة خزينة السلطان ، او كانوا يؤجرون ولكن على نحو غير كامل ، كان كل ذلك بالمثل يتع على عاتقه هو ، حتى ان وجوه الاتفاق هذه كانت تمتص الاعتمادات التى ينفق منها بشكل تام (٢) .

(١) تدخل هذه الزيادة كما سبق لنا القول ضمن بيان الميرى المفروض على كل ولايات مصر .

(٢) تميز كثير من البكوات بالذود عن قوافل الحج ، وكانت هـذه القوافل لا تهاجم عادة الا عند العودة ، اذ ان العربان الذين يقدسون بدرهم حج الكعبة لا يريدون ان توجه اليهم تهمة منعه . وبرغم ان حـسين بك كشكش قد رفض باصرار ان يعطيهم الاتاوة المعتادة فانهم لم يستطيعوا مطلقا ان يسلبوه جملا واحدا ، فكان يعد رجاله عند منافذ الطرق التى كان العربان يختارونها عادة لممارسة انتهاباتهم ، و بقتسم معهم الاتاوة المالية

==

ويحصل شيخ نجارى العربات فى القاهرة على المبلغ الذى رصده له سليمان مقابل قيامه بصيانة عربات المحمل ، مع قيامه ، بالاضافة لذلك ، بتوفير العمال اللازمين لاداء هذا العمل .

وبحرس خيمة أمير الحج اثناء الليل خمسة مراقبين ، يتصايحون من وقت لآخر ، منادين بعضهم البعض ، كى يطردوا النوم عن جفونهم ، بعبارات : وحد الله ، صل على النبى ، وبخلاف الراتب الذى يجريه لهم أمير الحج يحصل كل واحد منهم على حصته من الـ ٢١٥ مدينى ، وهو الاعتماد المخصص لتدبير هذه الحراسة .

وقد أمر السلطان سليمان أن يتبع المحمل أربعة عشر سردارا يؤخذون من الاوجاقات ومعهم سرايا من فرقتهم العسكرية ، ويتولى سبعة من هؤلاء الضباط قيادة فرقة الحرس (حرس المحمل) ، أما الآخرون فيتوجهون الى جدة كى يتولوا قيادة الطابية ، وليحلوا محل زملائهم الذين عملوا هناك طوال العام السابق . ومنذ على بك ، توقف تعيين السردارات الذين عليهم البقاء فى طابية جدة . وكان السلطان سليمان قد رصد لهؤلاء ولوائك ، على حد سواء ، راتبا سنويا قدره ٣٦٦ر٨١٤ مدينى ، تعطى لهم فى شكل أوراق مرتبات غير قابلة للتحويل (بالبيع أو التنازل) ، لأنها تعد من ملحقات مناصبهم وليست ملكيات خاصة ، وقد حال ذلك دون تدهور قيمتها ، كما كان سببا فى أن السردارات السبعة الذين اقتصر على تعيينهم منذ التجديدات التى ادخلها على بك قد حصلوا على اجمالى هذا المبلغ ، وكان هؤلاء مثقلين بكثير من النفقات ، لحد أصبحت معه هذه المهمة عبئا عليهم ، برغم أن السلطان

الذى يطلبها أولئك اذا ما قاوموا المعتدين ، وقد نجحت هذه الوسيلة ، وانتهى الامر بانتفاء كافة الاخطار ، لكن العربان لم يستمروا على هذه الحال السيئة مع خلفائه ، بل انهم لم يصلوا فقط الى تأكيد حصولهم على الاتاوة مرة أخرى ، بل لقد استعادوا متأخراتهم ، أى ما كان كشكش بك قد رفض أن يسدده لهم ، وفى عام ١٢٠٠ من الهجرة نهب بشكل تام المحمل الذى كان يقوده محمد بك المبدول ، وبعد ذلك بسنوات ست تعرض المحمل مرة ثانية لنفس الكارثة ، وأن كان صحيحا ما يؤكده البعض من أن مراد وابراهيم قد ظاهرا العربان على ارتكاب عملية السطو هذه ، كى يتخذوا منها ذريعة لابعاد عثمان بك طوبال ، قائد المحمل فى هذه السنة ، عن المناصب التى كان يشغلها .

قد رصد لهم على نفقة الخزنة اعتمادا اضافيا قدره ٥٦٣٧٢٧ مدينى . ومع ذلك ، فنادرا ما كانت ترفض هذه المناصب . فقد كان من الضرورى شغلها حتى يمكن الترقى الى وظائف اعلى .

وكان السردارات الذين يختارون من أوجاقات جاموليان ، وتفكجيان وعزبان ، ومتفرقة ، يحصلون على ٨٧٩ مدينى مقابل شراء البغلات اللاتى يمتطونها خلال رحلتهم ، ويصرفون خلاف ذلك اعتمادا قدره ١٦٦٧ مدينى مقسمين اياه مع السردارات الثلاثة الاخرين وذلك للتزود بالمؤن من بصل وجبن .

وكان أوجاق المتفرقة يوفر الحماية التى تشغل قلعة المويلج الواقعة فى الصحراء ، فى ثلث الطريق بين مكة والقاهرة . ويحصل الاغا ، قائد هذه الحماية ، من الروزنامجى على مبلغ ١٨٠٠٠ مدينى ، سبق أن رصدها السلطان مصطفى خصما على نفقة الخزنة ، وذلك قبل رحيل المحمل بشهرين أو ثلاثة أشهر ، حيث كان يرحل فى ذلك الوقت المبكر ، كى يحل محل الحماية التى كانت تعمل هناك خلال السنة السابقة . ويوزع هذا المبلغ على الجنود كتعويض ، لكنه لم يكن ليحول دون حصولهم على رواتبهم المعتادة .

وعند عودة المحمل الى القاهرة ، يرسل أمير الحج عند وصوله الى طابيتى العقبة ونخل مشاة يبلغون الباشا والبكوات بوصوله . وفى الأحوال الأخرى ، كان يبعث بطلباته ورسائله عن طريق أربعة أشخاص من راكبى الجمال . ويحصل هؤلاء وأولئك من الروزنامجى على المبالغ المبينة بالجدول .

وعاى بعد مسيرة سبعة أيام من القاهرة ، يجد الناس فى قلعة نخل ، وكذلك فى قلعة العجروود ، وفى بعض أماكن أخرى آبارا تستخدم للسقاية المحمل ولتجديد مؤنثه من المياه ، وقد رصد السلطان سليمان اعتمادات مالية لتطهير هذه الآبار وكذلك لتطهير أحواضها التى تستقبل المياه التى تنزح منها . كما حرص على رصد أموال لشراء التبن الذى تتغذى عليه الثيران المستخدمة فى نزع المياه . ويسبق المحمل ، السقاعون العاملون فى خدمة أمير الحج ، لاء الأحواض ، ولإقامة خيمة يقومون فى حمايتها بتوزيع المياه على الحجاج .

أما المبلغ (بضم الميم وبكسر اللام مشددة) فيعلن للمؤمنين أوقات

الصلاة ، ويكرر ما يلفظ به الامام . ويقوم بنفس هذا العمل فوق جبل عرفات ، وطبقا لترتيب استننه سليمان ، كان لابد أن يتم تدبير الجمل الذى يركبه هذا الرجل ، بصفة عاجلة ، مقابل ٢٠٠٠ مدينى ، يتم التصرف فيها على يد الشخص الذى يقوم بجباية رسم الخردة ، فحيث كان لهذا الاخير حق التفتيش على أسواق دواب الجمل ، فقد كان يستطيع ، بسهولة أكبر مما يستطيع بها أى شخص آخر ، أن يقوم بهذه الخدمة .

ويعين الاظم باشى (※)، وهو الموظف الذى عليه أن يسير امام ركب المحمل ومعه المرطبات للامير وللحجاج ، من قبل الباشا وبترشيح من البكوات ، ويصل هذا الموظف الى منطقة اظم عادة قبل وصول المحمل الى هذا المأوى أو المبيت بيومين ، وفيما مضى كان المحمل يصل الى طابية العقبة موظف آخر ومعه مؤن أخرى ، وعندما الغى على بك اعتماد هذا الأخير ، وجمع منصبى وراثتى هذين المبعوثين ، لم يعد الحجاج يجدون المرطبات التى حرص سليمان على توفيرها لهم الا فى اظم . ويتولى الاظم باشى شراء ونقل المأكولات التى يجلبها مقابل المبالغ الآتية :

على نفقة الميرى :

باعتباره يشغل وظيفة اظم باشى . ١٣٤٣٥٨

باعتباره يشغل وظيفة عقبة باشى . ٥٨٩٢٠

١٩٣٢٧٨

على نفقة مال الجهات الذى يشكل جزءا من الكشوفية القديمة :

من حاكم ولاية الجيزة . ٩٤٠٠٠

من حاكم ولاية البحيرة . ٣٠٠٠٠٠

من حاكم ولاية الغربية . ٢٠٠٠٠٠

المجموع . ٥٩٤٠٠٠

وعندما أراد محمد بك أن يجعل الاظم باشى فى وضع يكون معه قادرا على الوفاء بالنفقات التى تقع على عاتقه والتى أصبحت بمرور الوقت أكثر تكلفة ، فقد كلف حكام الولايات المشار إليها فيما بعد أن تدفع له

(※) اظم أو ازم باشى ، نسبة الى قلعة ازم التى تقع الى جنوب العقبة . (المترجم)

المبالغ الآتية ، كمصاف الى ضريبة
اسلامية :

على نفقة مال الجهات :

من حاكم ولاية الشرقية ٢٥٠.٠٠٠

من حاكم ولاية القليوبية ٢٠.٦٥٥٠

من حاكم ولاية المنصورة ٣٠٠.٠٠٠

من حاكم ولاية الغربية ٤٠٠.٠٠٠

من حاكم ولاية المنوفية ٥٢٥.٠٠٠

المجموع ١٦٨١٠٥٥

اجمالى ما يدفع على نفقة مال الجهات : ٢٢٧٥٠٥٥

وفى الأزمنة الاخيرة ، أعطى أمير الحج الى الأظم بائى

من حصيلة الاعتمادات غير الاعتبائية التى كانت ترصد

له على التوالى مقابل مصروفات الحول ، مبلغ ٧٥٠.٠٠٠

الاجمالى العام لما يحصل عليه اظم بائى . ٣٢١٨٨٢٨

وقد اخذ اظم بائى على عاتقه أن يقدم كافة أنواع المعونات أو
المساعدات التى كان يرغب أهل الحجاج فى ارسالها اليهم . وكان يحمى
موكبه حرس يتكون من ستين مهاوكا ، ومن ثلاث قطع من المدفعية ، ويصحب
فى موكبه فرقة موسيقية يحملها اثنا عشر جملا ، وتشتمل على عدة طبول
أو صناديق من أحجام مختلفة ، وبوقين أو نفيرين ، ودفين ، ومزمارين ،
وتطلق هذه الفرقة انغاما كثيرة عندما يصل الحمل الى الأزم أو الى العقبة ،
وقد رصد اعتمادا قدره ١٧١٦٤ مدينى لشراء وتقديم الحلوى الى أمير
الحج . والأظم بائى هو على الدوام كاشف مملوك ، له حظوة لدى واحد
من البكوات ذوى النفوذ . وفى الأزمنة الاخيرة ، كان يحصل عتب رجوعه
من رحلته ، على حكم ولاية الشرقية ، باعتبار ذلك حقا قانونيا له .

ولم يكن الحمل المتجه الى مكة والمدينة هو كل ما كانت ترسله الى
هاتين المدينتين اريحية السلاطين الخيرة ، فالنقود والحبوب والزيتون
والشمعدانات والحصص التى تفرش فى دور العبادة أو تخصص لاستخدام
شريف مكة وعدد من السكان ، كان كل ذلك يصل الى هناك فى ارساليات
متباعدة :

أما المعاش المخصص لشريف مكة فكان يبلغ فيما مضى ٣٤٠.٠٠٠ مدينى
ويقدر الارز الذى كان يرسل له عينا بـ ١٧٠.٩١٧ مدينى
وعندما أضاف الى ذلك السلطان مصطفى على
نفقة الخزينة مبلغ
١٢٠.٠٠٠
فقد بلغ اجمالى المعاش المخصص له
١٧١.٠٩١٧

أما المعاشات التى كانت من حق الشريفة أوركانة والشريفين حمزة
وحسين بركة فقد احتفظت بنفس قيمتها البدئية ، ومع ذلك ، فبدلا من أن
يرسل لهؤلاء مبلغ ١٦٩.٠٠٠ مدينى نقدا و ٢٨.٠٠٠ مدينى عينا فى شكل
أرز ، كما كان يحدث من قبل ، بات يعطى لهم ١٩٧.٠٠٠ مدينى فى شكل
مسكوكات (قطع نقدية) .

ويمر الحمل بينبع ، وهى مدينة وتغر تقع على البحر الأحمر فى
منتصف المسافة بين مكة والقاهرة . وقد حصل حاكمها ، وهو دوما من
أقارب شريف مكة ، من السلطان مصطفى على راتب سنوى قدره ١٨٠.٠٠٠
مدينى ، على نفقة الخزنة ، دون أن يكون ملزما بأية انفاقات لخدمة
الحمل .

أما الحبوب التى ترسل الى مكة والمدينة فكانت توفرها المخازن
العمومية ، وطبقا للجدول الذى سبق أن قدمناه عن استخدامات المينزى
العينى (أى الذى يسدد فى شكل حبوب ومواد غذائية) فقد كانت الحبوب
المرسلة الى هناك تبلغ ٦٤.٥٣ ر.دبا من الشعير تعادل عند تحويلها الى
قمح ٤٢٧.٠٢ ر.دبا ، وكان أفندى المتفرقة يحصل على ٧٦٢.٣٦٩ مدينى
مقابل نقلها من القاهرة الى السويس ، أما قبطان بك ، حاكم هذه المدينة ،
فيحصل على ٩٧٥.٠٠٠ مدينى كى يرسلها الى جدة بالاضافة الى راتب
قدره ١٠٠.٠٠٠ مدينى ، وكانت تقوم بنقلها الى الميناء الاخير خمسة عشر
صندلا يلتزم الباب العالى بتجديدها عندما لا تعود صالحة للعمل ، وتقع
نفقات صيانة هذه العبائر وكذلك أجور بحارتها على عاتق حاكم السويس ،
وقد سبق لنا القول بأن هذا الضابط لم يكن خاضعا لأوامر حكومة القاهرة ،
كذلك فإنه لم يكن يحيط بتحركاته علما الا للسلطان ، وحين بذل على بك
محاولاته لنيل الاستقلال لاذ القبطان بك بالفرار ، وبدلا من أن يقوم على
(بك) بإرسال حبوب الى السويس ، كتب الى شريف مكة كى يستعنى

لتسليمها بالقاهرة ، وحين أقر القبطان بأشأ ذلك الترتيب الذى أعفى الإدارة المصرية من نقل هذه الحبوب الى السويس ثم الى جدة ، ظل شريف مكة يعمل على تسليمها على نفقته ، وهكذا انخفضت المصروفات التى تتصل بهذا الأمر الى مبلغ الـ ١٢٠ر٢٢٥ مدينى التى أوردناها بالجدول باعتبارها خصما أو تنازلا تم لحساب الروزنامجى مقابل الأجور التى كان يدفعها فيما مضى الى قائد السويس وأفندى المتفرقة . أما مبالغ الـ ٧٦٢ر٣٦٩ والـ ٩٧٥ر٠٠٠ والـ ١٠٠ر٠٠٠ التى كانا يحصلان عليها فقد بقيت فى الخزنة مما زاد من حجمها بنفس هذا القدر ، منذ أن توقف استخدامها .

أما قاضيا مكة والمدينة فقد كانا ملزمين باستجلاب الحبوب المرصودة لهما من القاهرة ، ويحصلان فى مقابل مصروفات نقلها على مبلغ الـ ٢٣ر٥٨١ مدينى (التى وردت بالجدول) .

وحيث قد زادت أسعار الزيت منذ عهد السلطان سليمان ، فى حين لم تزد الأموال المرصودة (لشرائها) فان الكمية التى ترسل منه اليوم هى أدنى بكثير مما كان يشتريه من قبل المبلغ المرصود لذلك ، وفيما مضى كان يمنح كمصروفات لشحن هذه المادة من القاهرة الى السويس بمبلغ ٨ر٧٥٤ مدينى . ثم خصص السلطان مصطفى لذلك اعتمادا اضافيا قدره ٨ر١٥٠ مدينى على نفقة الخزنة .

ويبلغ عدد الشمعدانات المخصصة لمسجد المدينة اثنين ، ولا بد أن يزن كل واحد منهما نحو ٥٠٠ رطل ، وكانا يوضعان بجوار قبر النبى ، ولم تكن نفقات صنعها وشحنهما لتتجاوز فيما مضى ٦٣ر١٩٠ مدينى ، وان كان هذا الضرب من الانفاق قد ارتفع الى الـ ١٢٣ر٨١٣ مدينى الواردة بالجدول ، وذلك عندما خصص السلطان مصطفى لهذا الغرض اعتمادا اضافيا قدره ٦٠ر٦٢٣ مدينى على نفقة الخزنة .

أما الحصر ، فكان يقوم بتوفيرها كاشف ولاية الفيوم ، فى حدود المبلغ المرصود لها ، والذى كانت تخصم منه نفقات النقل ، وتخصص هذه الحصر لتغطية أرض المساجد الكائنة بمكة والمدينة .

الفصل الثانى

الانفاقات التى تقع على عاتق اصحاب المناصب

سبق لنا القول بأن رواتب اصحاب المناصب تتكون من ضرائب غير مباشرة يمارسون جبايتها ، ومن الامتياز الذى منح لهم فى شكل قطعة من الأرض . واذا كان هذا النظام الادارى يقلص من جهة حصيلة العوائد التى خص بها السلطان نفسه ، فانه من جهة أخرى قد اعفاه من تحمل بعض الانفاقات العامة .

وسنوضح تلك الانفاقات التى كان على الباشا والبكوات أن يسهموا بها ، لكننا لن نشير على الاطلاق الى بقية الانفاقات التى كانت تقع على عاتق الوظائف الأدنى ، بسبب ضآلة أهميتها .

أولا — الانفاقات التى تقع على عاتق الباشا :

يقتضى الأمر منا ، بسبب ذلك التفويض الذى حصل عليه الباشا والبكوات ، باحداث تغيير فى الدخول وفى الانفاقات التى تتم لحساب السلطان ، شريطة أن يعوضوا من ماله الخاص أى تخفيض فى الضرائب أو مستحقات يريدون أن يرفعوها عن كاهل أحد المولدين ، وأن يضمنوا للخزينة ، فى حالة زيادة أو خلق انفاق جديد ، المال اللازم لتسديدها — يقتضى منا كل ذلك أن نورد هنا — وفى داخل هذا الاطار — الحصّة التى كان يسهم بها الباشا فى تسديد الميرى المقرر على الفرق العسكرية أو على الافراد ، على النحو الآتى :

عن الأوقاف الاهلية الثمانية الخاضعة للميرى ١٢٠ر١٧٨ مدينى

عن الكخياوات الثلاثة لأوجاقات جاموليان

وتفكجيان وشراكسة ٦ر٠٠٠

عن أمين الاحتساب ١٧٤ر٥١٩

عن الولاة الثلاثة للقاهرة ومصر العتيقة وبولاى ٤٦ر٣٩٢

عن أوجاق الانكشارية كجزء من الميرى المقرر

على جمرك الاسكندرية ١ر٣٣١ر٢٤٩

عن أوجاق العزبان عن الرسوم المسماة بحرين ١٦ر٠٠٠

الاجمالى ١ر٣٣٨ر٣٣٨

ولم يبين السلطان سليمان مطلقا ، بشكل رسمى مدى وحجم ذلك العدد الكبير من الانفاقات التى وضع على عاتق الباشا مهمة الوفاء بها ، فيما عدا الميرى المقرر على منصبه وكذا الميرى المفروض على العوائد والدخول التى أجراها عليه ، ولكن العادة ، وهى هنا تقوم مقام الرغبة الصريحة ، قد حددت الرواتب أو المعاشات التى كان عليه أن يعطيها لكل من يعملون فى قصره ، وللروزنامجى ، ولبقيّة الافندية بالاضافة الى ما عليه أن يقدمه من هدايا وخطعات وقناطين كان يتلقاها رؤساء الفرق العسكرية أو الرؤساء الذين يلتحقون بخدمة الحكومة أو بالادارة والتى تقدم اليهم فى احتفالات عامة تقام احتفالا بتوايئتهم هذه المناصب .

ثانيا - الانفاقات التى تقع على عاتق البكوات أو الكشاف

حكام الولايات :

تقررت الانفاقات التى يقوم باعبائها البكوات أو الكشاف حكام الولايات ، طبقا للوائح السلطان وحكومة القاهرة ، مستقلة عن الميرى المفروض على مناصبهم ، وتدفع هذه الانفاقات عن ذلك الجزء من عوائد الارض ، والمسمى كشوفية ، وهو ما كان هؤلاء الحكام يجبونه من الملتزمين .

ويوضح الجدول الاتى ، حجم وموضوعات هذه الانفاقات .

الإجمالي	الرسوم التي ينبغي على الحكام أن يدفعوها للباشا	رواتب الموظفين وغيرهم من التابعين للحكام ونفقات أخرى تقع على عاتقهم	إلى الشوربجي والضباط وجنود الفرق المنتشرين في الولايات	إلى أظم باشي الضابط الذي يسير في مقدمة المحمل	مدني
مدني	مدني	مدني	مدني	مدني	حاكم ولايات قنا وإسنا وجرجا وسيوط د منفلووط د المنية د بني سويف د الفيوم ليست هناك أية انفاقات مقررة على ولاية اطفيح كم الجيزة د القليوبية د الشرقية د البحيرة د المنصورة د الغربية د المنوفية
٨٨٧,٣٦٢	٢٢٧,٤٢٥	٦٥٩,٩٣٧	—	—	
٦٢٠,٢٤١	٢٠٠,٠٠٠	٤٢٠,٢٤١	—	—	
٨٥٣,٣٩٦	—	٨٥٣,٣٩٦	—	—	
١,٨٩١,٥٩١	١٦٧,٠٨٥	١,١٩٧,١٩٠	٥٢٧,٣١٦	—	
٥٤٤,٧٢٥	٥٠٠,٠٠٠	٤٤,٧٢٥	—	—	
—	—	—	—	—	
٩٦٥,٩٩٦	٢٥,٠٠٠	٨٤٦,٩٩٦	—	٩٤,٠٠٠	
١,٠٦٣,٢٧١	—	٦١٣,٢١٧	٢٤٣,٥٠٤	٢٠٦,٥٥٠	
٢,٠٥٤,٠٦٨	٣٥,٤٨٥	١,١٦٠,٠٣٣	٦٠٨,٥٥٠	٢٥٠,٠٠٠	
٢,٢٠٦,٧٠٢	٢٤٧,٢٣٨	١,١٠٧,٥١٨	٥٥١,٩٤٦	٣٠٠,٠٠٠	
٢,٥٢٢,٠٤٨	١٥٢,٤٢٧	١,٣٩٩,٨٤٣	٦٦٩,٧٧٨	٣٠٠,٠٠٠	
٤,١٤٠,٣٣٢	٦٥٩,٩١٥	١,٩٨٠,٦٧٤	٨٩٩,٧٤٣	٦٠٠,٠٠٠	
٢,٥٨٥,٧٨٦	٢٠٧,٦٤٠	٩٥٧,٦٧٠	٨٩٥,٤٧٦	٥٢٥,٠٠٠	
٢٠,٣٣٥,٥١٨	٢,٤٢٢,٢١٥	١١,٢٤١,٤٤٠	٤,٣٩٦,٣١٣	٢,٢٧٥,٥٥٠	الإجمالي
٧٢٦,٢٦٨ ل	١٠ س	ويعدل الإجمالي العام			
٧١٧,٣٠١	٢٢ س	وبالفرنكات			

وكنا عند حديثنا عن اظلم بائى قد عرفنا بوجوه انفاق الاعتمادات التى كان يحصل عليها من البكوات باسم : اسلامية من عوائد مال الجهات (١) .

ويشتمل العمود الثانى « فى الجدول السابق » على الاجور او الرواتب التى كان على اصحاب المناصب ان يسددوها للشوربجى ، ولفرسـان اوجاقات تفكجيان وجاموليان وشراكسة وبصفة عامة الى كل رجال الاوجاقلو العاملين فى دوائرهم ، لكن هذا الضرب من الانفاق لم يكن ليبقى اى نفع للبكوات اذ يبلغ حجمه نفس عائد الضريبة التى انشأها سليمان لتوفير هذه الاعتمادات (٢) .

اما العمود الثالث فيتكون من الانفاقات التى أدت الى نشأة رسوم الكلفة .

وتوضح البيانات التالية وجوه انفاقها :

رواتب متنوعة تدفع الى موظفين وغيرهم من التابعين لاصحاب المناصب .

• صيانة الجسور والترع السلطانية .

• عادات قاضى الولاية .

• عادات دجانجى بائى .

• عادات الجيجى بائى .

• عادات مفتش الموازين .

• البهائم التى تذبح لتوزيع لحومها على الفقراء اثناء بعض الاعياد .

• عادات معتادة لبعض المشايخ ولاضرحه الاولياء .

• عادات للمساجد .

• اتاوات تدفع للعربان .

• أجر العامل المكلف بعمل القهوة للفرقة .

• عادات للاغا على الحبوب .

• صيانة الابار العامة .

(١) انظر ص ٢٢٩ .

(٢) انظر فى جدول الكشوفية ص ٥٩ خديم العسكر .
وهنا ، كما فى كل أقسام هذا المؤلف ، تبدو الأتوال التى تتكرر فى معظم الاحيان ، عن تفكك او تحلل الاوجاقات متعارضة مع ذلك الحرس

الولاية التى يلتزم باقامتها الحاكم للشوربجية عند مقادرتهم للولاية
اكراميات للمذكورين .

وعندما كان البكوات أو الكشاف يبدؤون فى تملك زمام الولايات التى آل
اليهم حكمها ، كان الباشا ورجال قصره يجبون منهم رسم تنصيب يتضمن
المبالغ التى تكون العمود الرابع .

ومع ذلك فلا ينبغى أن نضم هذه الانفاقات الى تلك المصروفات الناتجة
من استخدام الميرى والتى تنفق فى وجوه انفاق مماثلة . وقد سبق أن
لاحظنا أن مبلغ الـ ١٩٣٢٧٨ مدينى التى تفرض على الميرى لتشكل
اعتمادا يمنح لظلم باشى ، كانت تسدد مستقلة عن الـ ٢٢٧٥٠٥٠ مدينى
التي يحصل عليها هذا الضابط مباشرة من حكام الولايات . ونلاحظ نفس
الشيء فيها يختص بخدمة العسكر التى يدفعها هؤلاء الحكام للجنود المنتشرين
فى الولايات ، فهى تتطابق فى غرضها مع تذاكر الجاويشية التى كان هذا
الاوجاق يحصل عليها من الروزنامجى .

وكان البكوات يحرصون على دعم مماليكهم وذلك بأن يوزعوا عليهم
مناصب الدولة أو قرى مصر (١) . وكانت دخولهم ، بوصفهم ملتزمين ، توفر
لهم الوسائل التى تكفل لهم دفع رواتب لأولئك الذين ليست لهم مناصب
أو الذين لا يجرى لهم راتب من أى نوع ، مع العناية بأمورهم .

الواضح على بقاء الانفاقات التى أنشئت لصالحها ، وحيث لم تصل روح
الاستقلال التى تميز بها البكوات مطلقا الى تخريب أو قلب فعلى لقوانين
السلطان ، وحيث احتفظت الاوجاقات لنفسها بوجود شكلى عن طريق
عدد ضئيل من الاتراك يشغلون فيها بعض الرتب قليلة الاهمية أو التى نزع
عنها اختصاصاتها القديمة . فقد ظل هؤلاء الضباط ينظرون لانفسهم باعتبارهم
خلفاء للاوجاق والقدماء ، وفى نفس الوقت فإن الممالك الذين اغتصبوا —
ربما — كل الوظائف العليا التى كان رجال الاوجاقلو يشغلونها ، قد أبقوا على
هذا النظام العسكرى بأن كانوا يخلعون على انفسهم نفس اللقب التى كان
يتصف بها رجال الفرق العسكرية .

(١) عندما وصل الجيش الفرنسى الى مصر ، كان البكوات ومماليكهم
ملتزمين لأكثر من ثلثى القرى ، وكانوا ، بالإضافة الى ذلك ، وكما سبق لنا
أن لاحظناه ، يتمتعون بأكثر قدر من الرسوم غير المباشرة .

وينتم ببيان هذه المصروفات ، التى كان يتم انفاقها على جماعة كانت تكون فى الازمنة الاخيرة الوضع العسكرى لمصر ، تلك الانفاقات التى كان على اصحاب المناصب ان يؤموا بها .

الفصل الثالث

موجز بالانفاقات التى تقع على عاتق السلطان

بينما من قبل تلك الانفاقات التى كان يقع على السلطان عبء تدبيرها من الميرى الذى يستيقه لنفسه ، ولما كانت تلك الانفاقات التى ذكرناها فى الفصل الاسبق مستقلة من تلك التى نشير اليها ، برغم اتصالها بأعمال الصالح العام . ولانها لم تكن لتدخل مطلقا مثل الاخرى فى الحساب العام ، ولان السلطان لم يكن يأخذ بها علما الا ليتأكد من أنها قد انفقت ، فاننا لن نتناولها فى بقية هذا المؤلف .

واليكم موجزا للجداول التى قدمناها عند حديثنا عن الانفاقات التى يقع عبئها على عاتق السلطان .

رواتب مخصصة لموظفين متفرقين	بالمدينى	د	س	ل	س	ف	بالقرينات
٢,٩٣٩,٢٤٧	٢	٢	١٠٤,٩٧٣	١٤	١٠٣,٦٧٧		
٢٩,٨٧٢,٦٥٧	١	١٢	١,٠٦٦,٨٨٠	٣١	١,٠٥٣,٧٠٩		
٢,٦٥٣,٥٨٥	١٠	١٧	٩٤,٧٧٠	٩٠	٩٣,٦٠٠		
٨,٤٣٨,٩٩٤	١٠	١٢	٣٠١,٣٩٢	٧٧	٢٩٧,٦٧١		
١٣,٨٩٢,١٣٩	٥	١٦	٤٩٦,١٤٧	٥٤	٤٩٠,٠٢٣		
٤٢,٠٧١,٦٥٤	٥	١	١,٥٠٢,٥٥٩	٨	١,٤٨٤,٠٠٩		
٩٩,٨٦٨,٢٧٦	٩	٢	٣,٥٦٦,٧٢٤	٧٤	٣,٥٢٢,٦٩٠		
الاجمالى							

ولقد سبق لنا أن عرضنا عند تقديمنا موجزا بدخول السلطان لوظائف الافندية الموكلين بأمور الجباية ، وإذا فإن من المناسب أن نبين هنا اختصاصات أولئك الذين يديرون عمليات الانفاق .

يختص افندى المقابلة بسجلات رواتب الموظفين ومصروفات الجيش ، والانفاقات المتنوعة والمعاشات ، والأعمال والمؤسسات الخيرية التي رصد لها السلطان اعتمادات نقدية ، ويلتزم هذا الافندى بأن يدون في سجلاته التغيرات التي تطرأ على أولئك الذين يفيدون منها . ويمسك افندى الكسوة بسجل يوضح كل النفقات التي تنتمي لنفس هذا النوع . وهو يحتفظ بسجل المعاشات التي تكون الصرة ومصروفات الحمل . وهناك افندى ثالث يختص بكل النفقات التي تنجم عن أوراق المرتبات (الجامكية) ، فينظم عمليات صرفها مع افندية الاوجاقات ، وبشكل عام مع كل من يمكنه الحصول على أوراق مالية من هذا النوع . أما افندى المحاسبة فيمسك بحساب كل ما يرسل الى الباب العالي نقدا أو في شكل مواد غذائية ، وكذلك بحساب اية مصروفات تنتم على نفقة الخزنة . وينصرف نشاط افندى اليومية الى حصيلة أوقاف الحرمين ، التي تصب حصيلتها كما سبق لنا القول بين يدي الروزنامجى . ولم يكن هؤلاء الافندية يسددون أى شئ بأنفسهم ، وإنما كانوا يسحبون المبالغ وغبرها من المستندات من الاطراف المستفيدة ، ليبدلوها بحوالات قابلة للدفع من صندوق الروزنامجى . ولم يكن الصراف الموكل بالدفع يسدد قيمة الحوالات التي سلمها هؤلاء الافندية ، الا بعد أن يؤشر عاينها بختمه بأش حلها المصروفات وذلك بعد أن بطاقتها على بيانات السجل العام الذى يمسكه لكل الانفاقات التي تقع على عاتق الخزنة ، وبعد أن يتأكد من بنود ودوافع الانفاق . ويقدم الافندية حسابات سنوية بحصيلة أوراق أو مستندات الانفاق التي حصلوا عليها من المستفيدين منها . ويتسلم الروزنامجى هذه المستندات ، فهو المركز الوحيد الذى تتجمع لديه كل التحصيلات وكل الانفاقات . وكل الافندية والحلفا هم مرعوسون للروزنامجى وأن لم يكن بمقدوره أن يغير من النظام الذى يحدد اختصاصات وظائفهم ، ويخضع له كذلك افندية الفرق العسكرية برغم أنهم يهينون بمعرفة اوجاقاتهم،

وهو يحاسبهم على الأموال التي أودعت لديهم ، كما كان يسلمهم كل عام الاعتمادات التي رصدت لكل أوجاق ، ليثوموا بتوزيعها طبقا لتعليماته .

وحيث يمتلك هؤلاء الأفندية ، سواء منهم من يعمل بالتحصيل أو من يوكل بشئون الانفاق ، وظائفهم ، وحيث كان لهم حق بيعها أو توريثها ، فلم يكن بالمستطاع انتزاع هذه الوظائف عنهم بشكل تعسفى ، ولم يكن الروزنامجى يتفحصهم الا لى يتأكد من أن الكفاءة اللازمة لممارسة عمالهم متوفرة لديهم ، ومع ذلك فقد كان هؤلاء يرغمون على بيع وظائفهم حين لا يجد الروزنامجى لديهم المعرفة الكافية ، أو عندما يخل هؤلاء بواجباتهم عند ممارستهم لوظائفهم . ويحصل الروزنامجى ، باعتباره ابنا للديوان ، على بشورة هذا الديوان بالنسبة لكل ما يتصل باختصاصاته . ووظيفته غير قابلة للنقل (أو أنه هو غير قابل للعزل) ، وكان محرما عليه ، وعلى كل مرعوسيه كذلك ، تقديم أقل أو أوهى معلومة الى أى مخلوق ، كائنا من كان ، عن موارد ومصروفات وإدارة مصر الا بعد حصوله على إذن محدد وصريح من السلطان أو من الباشا . وهذه الأسرار التي اتبعت باخلاص وإمانة ، هي التي أضفت الكثير من الاعتبار والاهمية على هؤلاء الأفندية . وكانوا — هم — غيورين على ذلك لدرجة أنهم استخدموا فى مسك دفاترهم حروفا غير معروفة (※) . ويتباهى الشرقيون بعلم هؤلاء الأفندية ورقتهم ودمائهم ، وتيسر لهم هذه الميزات مداخل سهابة لدى الكبار . وكان هؤلاء يجربون ، بخلاف البطايا التي يحصلون عليها من الخزنة ، رسما بسيطا على من يقدر عليه إن يتعامل معهم من الأشخاص . وقد جعلتهم هذه الميزات المختلفة يحصلون على ثروات ضخمة ، وكانت الغالية العظمى من الأفندية ممالك ، وكان لهم خلفاء ، هم أولاد لهم بالتبني ، شابههم فى نفس بدايتهم ، وبدلا من أن يجعلوا منهم جنودا على غرار ما يفعل البكوات والكشاف كانوا يلتقونهم أصول مهنتهم كى يجعلوهم أكفاء فى شغل وظائفهم هم لكننا نجهل لماذا لم تكن وظائف كبار الأفندية

(※) وهى ما يسمى بخط القرمة . (المترجم)

العاملين فى شئون الانفساقات والمصروفات خاضعة لدفع الميرى ، مثلها فى ذلك مثل وظائف الافندية العاملين فى حقل الجباية والتحصيل . وكان هناك ، فوق ذلك كله ، افندية يديرون المدارس ، ينسخون أو يضعون الكتب ، وكان من النادر أن يهجر هؤلاء أو أولئك مهنتهم كى ينخرطوا فى سلك مختلف .

الباب الثالث

محصلة موارد وإنفاقات السلطان

الخزنة أى الأموال التى ترسل اليه فى القسطنطينية

لمسنا من قبل أن الموارد التى تجبى لحساب السلطان ، والنفقات التى تقع على عاتقه تبلغ ما يلى :

الموارد	١١٦٦٥١٧٢٧	مدينى
الإنفاقات	٩٩٨٦٨٢٧٦	
المحصلة (ما كان يبقى للخزنة)	١٦٧٨٣٤٥١	مدينى
تعاادل بالجزيهات التورية :		

د	س	
١	٢	٤١٦٦١٣٣
٩	٢	٣٥٦٦٧٢٤
٤	١٩	٥٩٩٤٠٨

وبالفرنكات :

س	
٤٧	٤١١٤٦٩٩
٧٤	٣٥٢٢٦٩٠
٧٣	٥٩٢٠٠٨

وكانت لائحة السلطان سليمان قد وصلت

بهذا الفائض الى	٣٠٨٨٣٨٧٦	مدينى
وحيث حصل هذا الفائض فى عهد خلفائه		
على زيادة قدرها	١٩١٧٧٤٩	
وعلى نقص قدره	١٦٠١٨١٧٤	
فقد تلقى هذا الفائض (الخزنة) الى	١٦٧٨٥٤٥١	

وهذا المبلغ هو الذى يطلق عليه اسم خزنة ، وهو نصيب السلطان الذى خص به نفسه من الضريبة ، وظل يرسل اليه بانتظام حتى عهد على بك الذى تجاسر على رفض ارساله اليه . ثم عاد محمد (أبو الذهب) خليفته الى الالتزام بدفعه ، بل لقد بادر بارسال الضريبة المستحقة عن السنوات الاربع التى رفض على بك ارسالها طوالها . وقد واصل ارسالها مراد وابراهيم ، ومع ذلك ، فلما كان من سلطة الباشا أن يخصم من هذه الضريبة الأموال اللازمة للانفاقات الملحة وغير المتوقعة ، والتى يقرر أنها تقع على عاتق السلطان ، فقد أساء هذان البكوان استخدام هيمنتهم فى ابتزاز الفرمانات التى تخول هذه الانفاقات الخرافية والتى كانوا يخصان نفسيهما بقيمتها .

وقد شاء القبطان باشا حسن أن يزيد من حجم الخزنة بمقدار ٦٨٠.٠٠٠ مدينى وزعها على النحو التالى :

(١) أدى توقف دفع مصروفات نقل الحبوب من القاهرة الى جدة ، وهى المصروفات التى أنشأها سليمان ، منذ اللحظة التى أقر فيها القبطان باشا هذا الاجراء الذى اتخذ على بك فى هذا الخصوص الى زيادة حجم الخزنة بنفس قيمة هذه الانفاقات التى توقف دفعها على النحو التالى :

٧٦٢٣٦٩
٩٧٥٠٠٠
١٠٠٠٠٠
مدينى ١٨٣٧٣٦٩

وهناك بالاضافة لذلك راتب سبق أن تناولناه وقدره ٨٠٣٨٠

كان سليمان قد خصصه للبك قائد جدة ، توقف دفعه بالمثل وبقي فى الخزينة ، عندما أرسلت حكومة مصر هذا البك الى جرجا بدلا من أن تقلده منصب القيادة ، وحصلت من السلطان على قرار بأن الباشا الذى يرسله الى هذه المدينة ، سيتخذ مقرا له فى جدة . (وبذلك نجد لدينا من حصيلة هذين الوفيرين المبلغ المطابق للزيادة الواردة بالجدول السابق وهو (*)) :

١٩١٧٧٤٩ مدينى

(٢) من المناسب أن نجمع فى داخل هذا المنظور الاعتمادات الاضافية الناجمة عن استخدامات هذا المبلغ والتى منحت على نفقة الخزنة بعمد سليمان :

على يد السلطان مصطفى :

(*) ما بين القوسين هو زيادة فى الايضاح من جانب المترجم .

(وصف مصر — م ١٧)

لزيادة حجم الميرى :

على جهرك الاسكندرية	٦٠٠٠٠٠٠٠	مدينى
على البوصير والسنامكى	٤٠٠٠٠٠٠	

اعتماد اضافى لراتب الباشا خاص بتموينات

الحبوب	٤٣٢٠٠	مدينى
موارد أوجاق المتفرقة من قرية سرنباى	٤٨٤	
لجرى عيون مصر العتيقة	٤٠٠٠	
لبئر يوسف أفندى	٣١٠٠	
للشربات (المشروبات الحلوة)	٧١١٢٤	
للعس والارز	٧٠٢٩٦٩	
لصيانة مقبرة القاضى زين العابدين	٣٠٠	
لصيانة مقبرة الشيخ محمد كريم الدين	٢٠٠٠	

على يد القبطان باشا حسن :

معاش لعائلة الشناوى	١٠٠٠	
-------------------------------	------	--

على يد السلاطان مصطفى :

الكسوة	٢٦٤٨٠٧	
اعتماد اضافى للصرة	١٤٥١٤٣	

لامير الحج :

على يد السلطان مصطفى	٢٥٨٧١٠٧	
على يد السلطان عبد الحميد	٥٠٠٠٠٠	
على يد السلطان سليم	٥٠٠٠٠٠	
المجموع	١٢٥٨٧١٠٧	

على يد السلطان مصطفى :

للسردارات	٥٦٣٧٢٧	
لحامية قلعة المويطح	١٨٠٤٤٠	
لشريف مكة	١٢٠٠٠٠٠	
للامير حاكم ينبع	١٨٠٠٠٠	
لنقل الزيت	٨١٥٠	
شمعدانات	٦٠٦٢٣	

مبلغ مطابق ١٦٠١٨١٧٤

وكما قلنا فان القبطان باشا قد استبعد من نفقات الميرى مبلغ الـ ٧٠٥٣٥٠ مدينى الذى كان يستخدم فيها مضى فى مشتريات مشاقة الكتان ومبلغ الـ ٨٧٥٩٧٢ المخصص لشراء سكر الذى يرسل الى القسطنطينية، وأمر بخصم هذه المبالغ من الخزنة اذا ما طلبها السلطان .

مجموع ما يخصم ٩٢٨٣٣٤٥١
وبذلك لم تعد الخزنة تبلغ سوى ٧٥٠٠٠٠٠ مدينى

د	س
تعداد ١٠	٢ ٢٦٧٨٥٧ جنيها توريا
وبالفرنكات ٢٦	٢٦٤٥٥٠ فرنكا

وكان سليمان قد قرر أن واحدا من بين الأربعة والعشرين بك ، يحمل لقب أمير الخزنة ، سوف يحمل كل عام خراج مصر الى السلطان ، وأن يعمل تحت امرته ، لتأمين هذا الموكب ، سردار وسربة يتكون افرادها من الاوجاقات العسكرية السبعة كلها . فما أن كانت تتم جباية الضريبة ، حتى يتوجه الروزنامجى الى الباشا ومعه قيمة الخزنة ، وفى اليوم الذى يتقرر تسليم الخزنة فيه ، يجتمع بالقلعة ، كل من رؤساء الاوجاقات والبكوات والقاضى وكل أعضاء الحكومة : ويراجع عدد المسكوكات النقدية وتفحص على يد الصراف كاتب الخزنة ، والذى ينبغى أن يكون يهوديا حتى يشغل هذه الوظيفة . وبعد أن يوقع الباشا والروزنامجى البيان المفصل بحساب وقيمة الخزنة ومستنداتها تودع الخزنة فى صناديق مغطاة بالجلد ، ويعهد بها الباشا الى أمير الخزنة الذى يعطى ايصالا باستلامه لها . وأثناء تحميل الصناديق على الجمال المخصصة لنقلها ، يخلع الباشا على الأمير عباءة سوداء فاخرة ، ويغطى الروزنامجى بعباءة أخرى أقل فخامة ، لكنها من نفس اللون ، ثم يوزع قفاطين على السردارات قادة الحرس . ويحضر البكوات ورجال الاوجاقات رحيل أمير الخزنة ، ويحيطون به فى موكب مهيب عند اجتيازه القاهرة وحتى العدلية ، وهو مكان يقع بين العقبة وبركة الحج . ويعلن عن هذا الحفل منذ العشية عن طريق العاب نارية تتم فى العدلية ، بفعل طلقات مدفعية تظل تتكرر حتى لحظة الرحيل . ويتخذ أمير الخزنة طريقه الى القسطنطينية مورا بدمشق . وكان السلطان سليمان هو الذى حدد بنفسه تفاصيل هذه الرحلة ، كما حدد المبالغ التى ينبغى أن تتحملها الخزنة لمصروفات النقل ، وشراء الصناديق والحقائب والجلود والسجاجيد التى تستخدم لغطائها . وقد خصص :

لنقل الخزنة ٥٠٠٠٠ مدينى

للجلود ٩٧٥٧

للسجاجيد ١٣٤٠ رة

للمسناديق ١١٤٢٣ رة

ولم تكن تبسط السجاجيد الا حين يدخل الامر المناطق الاهلة كى يضمن بعض الابهة على موكب يتجه الى مقر سلطان .

وقد كف الكخياوان ابراهيم ورضوان عن ارسال هذه الخزنة مع هذه الرسميات الاحتفالية التى اوردنا تفاصيلها . وحذا خلفاؤهما حذوهما . وقبل مجيء الفرنسيين الى مصر لم يكن الباب يحصل على شىء ، الا اذا اوفد — هو — الى القاهرة اغا موكل بصفة خاصة بالحصول على الاتاوة (الخراج) المقررة ، بل ان مثل هذه الارساليات لم تعد تتم فى العادة الا مرة واحدة كل ثلاث سنوات ، وفى كل مرة ، كان يتم تحصيل قيمة الخراجات التى تراكمت فى هذه المدة ، ولم يكن يصحب قدوم او رحيل الاغا أى ضجيج ، اذ كان الباشا يسلم اليه ببساطة شديدة ، وفى حضرة القاضى المسكوكات ومستندات المخالصة التى تكون الخزنة ، وكان على الاغا نفسه ان يتخذ الوسائل التى تناسبه لتأمين عودته الى القسطنطينية ، وهكذا لم يعد ثمة ما يسوغ تلك المبالغ التى سبق ان اعتمدها سليمان لنقل الخزنة كما ان ذلك لم يؤد الى أى خفض فى الـ ١٦٧٨٣٤٥١ مدينى (وهى قيمة الخزنة) التى بينها ، ذلك ان المبالغ المشار اليها لا تدخل فى أى جدول من جداولنا .

الكتاب الثالث

دراسات قصيرة

(١)

معامل التفريخ

روزبهره روييه

« العنوان الأصلي للدراسة هو : دراسة موجزة حول عملية
افراخ الكتاكيت في مصر باللجوء الى استعمال الافران او
المواقد ، تأليف السيدين روزبهره مهندس المناجم وروييه
الصيدلي » .

« وكان البيض يوضع فوق القش فى قبو كانت حرارته
تظل مستمرة عن طريق نار معتدلة ، حتى الملاحظة التى
تفرخ فيها الكتاكيت ، وطيلة هذا الوقت يظل ثمة عامل
مهمته تقليب البيض ، ليلا ونهارا » .

بلين

التاريخ الطبيعى ، الكتاب العاشر ، الفصل ٥٥

— ١. —

نبذة تاريخية عن طريقة التفريخ الاصطناعية

لعل قليلين من الأشخاص فقط هم الذين لم يسمعوا بعد عن من
استفراخ الالوف من الكتاكيت مى وقت معا ، دون اللجوء الى طريقة
الحضانة الطبيعى وذلك بابدال حراره الدجاجات بحرارة مشابهة على نحو
تقريبى يتم الحصول عليها بشكل اصطناعى فى انواع من الافران أو
المكامير ، فهذه واحدة من اكر الممارسات الفريدة التى وجدناها لدى الناس
فى العصور القديمة ، ولقد كانت هذه بالمثل فنا هاما عند قدماء المصريين ،
كما لا تزال حتى اليوم عند محدثيهم هى الاسلوب الأوحى الذى يستخدمونه
لتوفير الكتاكيت . وبالإضافة الى النيسيرات التى قد يقدمها الطقس لانجاح
طريقة الحضانه الاصطناعية فان من الأرجح أن يكون الذى وجه بحوث
المصريين نحو هذه العمليه هو ضالة نجاحهم فيما يبذلونه لحمل الطيور
المنزلية عندهم على حضانه بيضها ونستنتج من ذلك أيضا تلك الاسباب
التي دفعت المصريين قبل غيرهم الى التفكير فيها حين نتذكر كم كانت معاهد
الكهان القدامى تعنى بدراسة كل ما له بعض علاقة بضرورات الحياة ، وكم
كانوا يعلقون من أهمية على توفير المأكولات التى وجدوها أكثر ملاءمة
للسحة . ومع ذلك فلا بد أن نلاحظ أن هذه الوسيلة لم تكن فى ممارستها
قاصرة على مصر بشكل تام ، فقد كان الصينيون ، الذين يطلو لبعض القول
بأنهم قد تعلموا على يد مستعمرة من المصريين ، يمارسونها بالفعل منذ زمان
لا يمكن لنا تحديد بدايته ، وان كانت أفرانهم وطرقهم بالغة الاختلاف .

ولقد اكتشف الرومان كذلك فكرة الحضانه الاصطناعية ، ومع ذلك
فثمة شك كبير فى أنهم استطاعوا أن يمارسوا ذلك على نطاق واسع

ويشكل مطلق . ويخبرنا بلين Pline ان نسوة رومانيات كن يتحلين فى بعض الاحيان بصبر يدفعهن الى محاولة افراخ بيضة ما بحملها على الدوام بين النهدين ، وأنهن قد كن يستطعن ان يحسنن من ذلك نوع جنس الاجنة اللانى كن — هن — حبيليات بها ، وفضلا عن ذلك ، فانه يصف بايجازه المعهود ، اسلوب أو طريقة الاثران دون ان يفصح عن البلد الذى كانت تمارس فيه ، وانه لامر شاذ فى الحقيقة أن يكون من الممكن لكتاب كهذا ، شديد المعرفة فضلا عن ذلك بعمادات مصر ، أن يجهل أصل ومنشأ هذه الطريقة .

ويشير ديودور الصقلى ، الذى كان دائم التجوال فى هذه المنطقة ، فى عهد اواخر البطالمة ، الى طريقة الحضانة الاصطناعية ، كما لو كانت فنا يمارس منذ زمان طويل ، ويمكن المرء ، بالطريقة التى يتحدث بها عنها ديودور ، أن يحكم بأن المصريين ، فى ذلك الوقت ، كانوا يحيطون هذه الممارسة بكثير من الغموض ، ومع ذلك فان النص الوارد عند ديودور لم يفهم على الاطلاق (الفهم الصحيح) من قبل مترجميه ، اذ يجعله الاب تيراسون Terrasson يقول (١) : « وبدلا من تركهم البيض فى حضانة الطيور نفسها التى باضته ، فان لديهم الصبر على أن يجعلوه يفقس بتدفئته فى أيديهم » . ويشكل هذا التفسير (لنص ديودور) معنى لا يمكن أن يتصف بالمعتولية على الاطلاق ، بل انه لم يرد قط بالنص (المشار اليه) (٢) ، فالتعبير الذى استخدمه ديودور لا يعنى مطلقا أنهم كانوا يدفئون البيض فى أيديهم وانما يقدم معنى مماثلا لتعبير بالغ الدقة استخدمه بلين عن نفس الشيء . ويبدو ان المقصود تبعا لفقرات وردت عند ديودور ومؤلفين آخرين ، لم يكن هو ، فى الأزمنة الاخيرة ، بيض الدجاج بصفة خاصة مطلقا وانما هو بيض الأوز الذى كان يمر بهذه الوسائل ، ولقد كان لحم هذه الطيور واحدا من اللحوم التى كان يفضلها الكهنة خلال الأزمنة التى لا ينتشر بها مرض وبائى ، وهذا هو السبب فى ان القوم كانوا يجدون كثيرا فى مضاعفة أعدادها . وتأتى المبائى الاثرية لتتطابق مع هذه الشهادات حيث نرى هذه الطيور مرسومة فى الوف الاماكن ، وبصفة خاصة فى تلك الرسوم البارزة التى تمثل الاضحيات المقدمة الى الالهة .

ومع ذلك ، فهل يكون علينا - إذا ما تقبلنا فكرة قدم الحضارة
الاصطناعية - أن نصدق أن الوسائل التى نجدها هناك اليوم هى نفسها
تلك الوسائل التى كانت تتبع فى الماضى ؟

ان سؤالاً كهذا جدير بالاهتمام من نواحى عدة ، ويظل يحتاج على الدوام
الى اجابة تحسسه .

« يقال إن الكهنة ، وقد تشبثوا بعناد أكبر مما ينبغى بالملاحظات
القديمة المتجمعة حول الطريقة التى تنتهى بافراخ بيض النعام والتماسيح
والذى يودع فى الرمال ، لم يكتفوا انفسهم حتى عناء القيام بأية بحوث
لاحقة » (١) . ويعتقد المرء انهم قد اكتفوا بتخيل طريقة مماثلة . ولقد استقر
بصفة عامة بين أولئك الذين درسوا عادات مصر القديمة ، أن هؤلاء
الكهنة ، بدلا من استخدام الافران التى تدفئها النيران ، كانوا يحيطون البيض
ببراز الحيوانات والذى كانت حرارته الطبيعية تكفى لافراخه ، ومع ذلك ،
فلسوف تكون هذه الواقعة بافتراض صحتها ، بالغ الغرابة لان أبخرة هذه
الفضلات الحيوانية قاتلة لأجنة البيضات ، كما أن الحضنة التى تتم على
هذا النحو ، فضلا عن كونها اختراعا بالغ البساطة ، تقتضى اتخاذ
احتياطات ليس من الطبيعى تخيها للوهلة الأولى . واتنا لنعرف بالتدرج
الكافى ، كيف ساقطت مثل هذه الفكرة الشاذة ريومور *Reaumur* الى
الوف المحاولات ، حين أصر بعناد على تحقيق رغبته فى تفريخ اكتاكت فى
روث الماشية على غرار ما كان يفعل الكهنة المصريون . ولقد خصص هذا
الفيزيائى الحاذق واليقظ مجلدا بأكمله لوصف التجارب غير المثمرة التى قام
بها فى البداية ، كما أنه لم يحرز بعض نجاح الا بعد أن توصل بشكل حاسم
الى الحيلولة دون حدوث أى اتصال بين البيض وبين الأبخرة التى تتصاعد
من هذه الفضلات الحيوانية .

ومع أن المسيو دى بو *dePauw* قد كشف بكثير من التجرد والنزاهة
عن وجود أفكار خاطئة كثيرة حول عادات مصر القديمة ، فإنه — برغم ذلك —
قد تبنى هذا الراى نفسه ، وآراؤه فى ذلك تستحق التمحيص ، وللسوف

M. dePauw, *Recherches Philosophiques sur les Egyptiens*, (١)

t. Ier , Pag. 204.

نعرف عن طريق ذلك الى أى حد تشبث بفكرته حول هذا الموضوع . يقول هذا الباحث : « لابد أن تعترينا الدهشة حقا لأن كهنة مصر . . وهم الذين كانوا يعرفون معلومات ومعارف واسعة بالقدر الكافى عن أمور لا حصر لها ، قد كانت تنقصهم النظرة الناقبة فى نقطة رئيسية : ذلك أنهم لم يكتشفوا طريقة الاfran ، بل لقد كانوا يرتابون فى امكانية انشائها ، وهذا أمر تسهل البرهنة عليه . فأرسلوا — ولعله أقدم مؤلف تناول طريقة تفريخ البيض فى مصر — يذكر أن القوم لم يكونوا يستخدمون سوى الحرارة المنبعثة من الفضلات الحيوانية . أما أنتيجون الذى عاش بعد أرسطو بقرون طويلة فيذكر الشيء نفسه ، كذلك فعل بلين الذى وضع مؤلفه بعد أنتيجون ، كما ترجم ما ذكره أرسطو كلمة بكلمة ، وأخيرا فان الامبراطور ارديان الذى جاس فى كل أنحاء مصر ووقف باهتمام على غرائبها قد عبر عن مشاعره فى رسالة منه وجهها الى سرفيان Servien يتحدث فيها عن المصريين « أنهم يفرخون كتاكيتهم بطريقة أخجل من أن أقصها عليك » .

« وتبرهن كل هذه الشهادات مجتمعة أن طريقة الاfran كانت مجهولة فى هذه البلاد حتى عام ١٣٣ من الميلاد ، وربما لما بعد ذلك بوقت طويل ، ذلك اننى أجهل متى وكيف أمكن الناس هناك أن يتوصلوا اليها » .

ان شهادة ارديان هذه ، هى كما رأينا بالفسة الدلالة ، وان كانت الشهادات الباقية تبدو أكثر موضوعية ، ولكننا عندما نفحص فقرة من بلين أهملها المسيو دى بو سوف نرى أن هذا المؤلف يقول على وجه الدقة عكس ما أسسناه هنا على مسؤوليته (انظر التاريخ الطبيعى ، الكتاب العاشر ، الفصل ٥٥) : « وكان البيض يوضع فوق القش فى قبو كانت حرارته تظل مستمرة عن طريق نار معتدلة حتى اللحظة التى تفرخ فيها الكتاكيت ، وطيلة هذا الوقت يظل ثمة عامل مهمته تقليب البيض ليلا ونهارا » . هذا ما قاله بلين بالحرف ، ومنها جاء التصدير الذى بدأت به هذه الدراسة . وهذا هو أفضل تعريف يمكن لنا أن نقدمه ، فى مثل هذه الكلمات القليلة ، عن الاسلوب الذى لا يزال متبعا حتى اليوم ، أما التعبير igne medico أى نار معتدلة فلا يترك أى لبس ، كما أن الإشارة الى عامل يعمل ليل نهار فى تقليب البيض انما ترسم بدقة ملمح العمل المتبع فى طريقة الاfran ، وكذلك ، فعلى الرغم من أن بلين لم يوضح مطلقا المصدر الذى استقى منه معلوماته ، فان من المستحيل الاعتقاد بأننا بصدد وصف شيء آخر

غير ما كان يجرى فى مصر ، حيث كان المصريون من بين كل الشعوب التى عرفها الرومان ، وباعتراف المسيو دى بو نفسه ، هم الوحيدون الذين كانوا يقومون بعملية التفريخ الاصطناعية .

وفى نفس الوقت ، فان أرسطو (١) ، مع اختلافات كبيرة ، لم يعبر عن الامر بطريقة تماثل فى دقتها طريقة بلين ، ولست واحدا ممن يقتنعون بأن هذا الفيلسوف قد صدق حقيقة ، شأنه فى هذا شأن منتحليه ، ان الاسلوب (المتبع) كان هو العمل على افراخ البيض بفعل الحرارة التى تنبعث بشكل طبيعى من الفضلات الحيوانية ، وسوف يسهل علينا أن نتبين سبب ازدرائه للامر اذا ما وقفنا على تفاصيل العملية ، حيث لا يقتصر الامر على وضع البيض داخل المكورة على طبقة من القش أو روث الماشية ، بل أن الوقود المستخدم للاحتفاظ بدرجة الحرارة التى لا بد من توفيرها لن يكون هو نفسه الا من هذه الفضلات نفسها ، أى أنه مصنوع من روث الحيوانات مختلطا بقليل من القش المهروس . وحيث أن مصر بلد عار من الغابات ، فقد استخدم الناس فيها ، فى كل العصور ، هذا الوقود الذى يعطى حرارة بالغة الاعتدال ويسهل التدرج بها ، فضلا عن أنه يتناسب تماما مع العملية التى نحن بصدها . ولذا ، فإننا لن نتردد مطلقا ، باعتبار ذلك واقعة مستمرة ودائمة ، فى النظر الى طريقة الحضانة الاصطناعية التى تمارس اليوم على أنها هى نفس ما كانت تستخدمه مصر منذ عصورها القديمة . وقد أخبرنا شيوخ القاهرة ، وكذلك أكثر أبنائها تبحرا فى العلم ، وهم فى هذا يتفقون مع المؤلفين العرب فى مختلف العصور ، بأن هذه الوسيلة لم يتوقف قط استخدامها سواء فى مصر العليا أو فى مصر السفلى ، فإذا كانت إحدى المخطوطات التى ترجع الى زمن الخلفاء تقصر استخدامها على قرية برما (٢) Behermes فى الدلتا فان الامر يعود الى ازدراء يسهل تفسيره .

Historia animalium, lib vi cap 2.

(١)

(٢) Behermes هى اليوم برنبال (كذا) وتقع بالقرب من فوه . ونقرأ فى إحدى المخطوطات العربية وصلت إلينا عن طريق الشيخ ابراهيم قارىء الجامع الكبير (الأزهر) بالقاهرة أن أبناء هذه القرية قد ورثوا عن الملحين (المصريين القدماء) هذا العلم وهم ، مثلهم ، يعرفون طريقة افراخ بيض الدجاج وبيض كثير من الطيور الأخرى .

ولا يزال البرماويون حتى اليوم مشهورين بإدارة معامل التفريخ، ويستدعون لهذا العمل في ولايات عديدة (من مصر (١)) ، ومع ذلك فمن الأرجح أن كانت هذه الحرفة وراثية عندهم ، فقد كانت الأفران على الدوام كثيرة الانتشار في كل مكان من البلاد ، وإن كان عدم الدقة الذي اتسم به المؤلفون العرب حول مثل هذا النوع من الوقائع يبلغ قدرا لا يمكن للمرء معه سوى أن يرتاب في أنهم تدخلوا بين هذين الأمرين .

— ٢ —

وصف معامل التفريخ

تحمل كل واحدة من المنشآت المخصصة لأفران الكتاكيت اسم معمل الفروج . وتتكون هذه من عدد من الأفران يتراوح بين أربعة أفران وثلاثين فرنا . لكن هذه الأفران تصطف على الدوام في صفين متوازيين ، ويفصل بين الصفين دهليز ضيق . وهذا المعمل ، وهو مبنى من القرميد أو من الطوب النيء المجفف في الشمس ، محكم الإغلاق بشكل دائم ، أما نوافذه فمعبارة عن عدد كبير من الفتحات الدائرية الصغيرة تثبت في ثبة الدهليز ، أما الباب ، فنافذة تسبقها عدة حجرات صغيرة جد متلاصقة . هذا هو الوضع العام لهذه المعامل . وليس ثمة ما هو أبسط من تصميم بناء هذه المعامل ، إذ يتكون الواحد منها من عدد من الخلايا الصغيرة ، يصل ارتفاع الخلية منها لثلاثة أمتار (٩ — ١٠ أقدام) ويبلغ طولها نفس الشيء تقريبا ، في حين يبلغ عرضها المترين ونصف المتر . وتنقسم الخلايا إلى طابقتين إذ يقطعها عند منتصف ارتفاعها ، وأحيانا عند ثلث هذا الارتفاع ، لوح خشبي يكسوه الآجر ، ويخترقه عند منتصفه (في كل خلية) ثقب يكفى اتساعه

(١) في الصعيد ، حيث يوجد عدد من معامل التفريخ أقل منه في مصر السفلى ، يحتكر اقتباط ببلاو إدارة هذه المعامل ، ومنذ ثلاثين أو أربعين عاما كانت هذه القرية التي تقع على بعد بضعة فراسخ إلى شمال منفوط ، وهي اليوم تكاد تكون خربة ، كانت ما تزال ضيعة هائلة تضم عددا كبيرا من المعامل ، ومنذ ذلك الوقت تفرق « معلمو » المعامل في مختلف أنحاء مصر العليا واستقروا في مدن جرجا وفرشوط وبهجورة وأسنا وفي كل البلدان تقريبا ، أما حصيلة ما رصدته من أرض الواقع فهو أنه ليس من المحتمل أن يكون مسيحيو ببلاو قد تعلموا أساليبهم من أبناء برما .

« هامش من وضع المسيو جومار »

لتمكين رجل من أن يمر من طابق الى الطابق الاخر . ولكل واحدة من هذه الحجرات (أو الخلايا) الصغيرة بابها المطل على الدهليز ، يكاد يماثل فى حجمه نفس أطوال النقب المعمول فى اللوح الخشبي ، ويستخدم كذلك استخدامها مشابها . وهناك فتحات أخرى فى الحواجز أو الفواصل الجانبية تؤدي لحدوث اتصال بين كل الأفران الواقعة على الجانب نفسه من جانبي الدهليز ، وأخيرا ، يخترق القبة التى تغطى كل فرن ، فتحة ضيقة تساعد على تصريف الدخان . وحيث تخصص الحجرات السفلية لوضع البيض ، فإن النار توضع فوق أرض الحجرات العلوية ، والتى أحدثت فيها ، بقصد استقبال هذه النار ، حفرتان قليلتا العمق ، وإن كان عدد هذه الحفر يبلغ الأربعة فى بعض الأحيان ، تقع بالقرب من الجدران الفاصلة أو الحاجزة . وتحيط بثقب أو فتحة اللوح الخشبي حافة ناتئة يبلغ طول نتوئها بوصتين ، ويحمى هذا النتوء البيض من سقوط رماد المواد الملتهبة عليه (١) .

وتستخدم إحدى الحجرات الواقعة عند مدخل المعمل مقرا لسكنى العامل الرئيسى (المعلم) ومساعدته ، وهذان لا يتعدان أبداً عن المعمل طيلة الوقت الذى تستغرقه عملية التفريخ ، وتستخدم حجرة أخرى لاشعال الوقود الذى يراعى ألا يحمل الى الأفران إلا بعد أن يكون قد احترق نصف احتراق كى لا يمكن هذا الوقود أن ينتج أبخرة ضارة ، ويتكون هذا الوقود المسمى « جلة » (*) من بعرات الجمال والقش المهروس ، معجونة على هيئة أقراص ، ويعطى هذا الوقود كما سبق لنا أن اشرنا ، حرارة سالغة اللطف ، تسهل زيادة درجتها عند الحاجة .

سير عملية التفريخ

توافق الفترة التى تفتح فيها المعامل فى مصر العليا أبوابها الأيام الأولى من شهر فبراير ، لكنها دوما تبدأ بعد ذلك بفترة فى مصر السفلى اذ الطقس

(١) انظر اللوحة الأولى ، الاشكال ١١ ، ١٢ ، ١٣ من مجموعة الفنون والحرف ، الدولة الحديثة ، المجلد الثانى ، وكذا اللوحة الثانية ، الاشكال ١ ، ٢ ، ٣ .

(*) هذا اللفظ هو نفسه ما ورد بالنص الفرنسى

(المترجم)

(وصف مصر — م)

هناك أقل حرارة . وحيث تبلغ مدة الحضانة واحدا وعشرين يوما فإن الكتاكيت لا تفرخ الا عند بداية شهر مارس . وقد دلت التجربة على أن الحرارة ، فى هذه الفترة وحدها ، تكون مناسبة بالقدر الكافى للكتاكيت الوليدة وبذا تظل حية دون رعاية خاصة ، غير أن حرارة الصيف المتزايدة ضارة بالبيض . وعلى هذا فلا تتم فى العادة سوى ثلاث عمليات تفريخ متتالية ، أو أربع على الأكثر فى بعض المعامل .

وقد وصف عديد من الرحالة المحدثين طرق هذه الحضانة الاصطناعية وأن كان الغالبية منهم قد ناقضوا بعضهم بعضا ، ذلك أنهم اعتبروا قواعد ثابتة كل ممارسة أو خطوة وقفوا عليها ولو كانت خاصة بالمعمل الذى زاروه دون أن يقفوا على العلاقة التى قد تربط اياها من هذه الممارسات بظروف معينة هى على الدوام عرضة للاختلاف والتنوع .

ويستخدم كل معمل (فى الحضنة الواحدة) لتفريخ ٣ — ٤ آلاف بيضة . وعند بداية هذه العملية تخلف طريقة توزيع البيض بعض الشيء ، فبدلا من توزيعها على كل الأفران دون تفرقة ، نترك خالية تماما فى بعض الأحيان أفران بعينها ، ومن نافلة القول أن نضيف أنهم يجنبون بكل دقة كل البيضات التى لم تكن قد اخصبت أو تلك التى لحق بها التلف ، وهذه تضر كثيرا بعملية التفريخ . أما البيضات التى توضع فى الأفران فتكون قد فحصت بعناية من قبل على يد العامل (المختص) ، ثم تم تسجيلها بمعرفة الكاتب الموكل بإدارة المنشأة ، التى تلتزم بأن ترد عند نهاية العملية الى كل شخص عددا من الكتاكيت يتناسب مع عدد البيض الذى كان هذا الشخص قد سلمه للمعمل .

ويصف هذا البيض فى كل فرن على شكل طبقات عدة بعضها فوق الآخر ، وترقد آخرتهن على حصيرة أو على مشافة الكتان أو القش الجاف . ذلك أن الأبخرة التى قد تنبعث من زبالة رطبة قد تضر كثيرا بنجاح العملية .

ولا توقد النار فى البداية الا فى نحو ثلث عدد الأفران ، تختار على مسافات شبه متساوية ، وبعد ذلك بأربعة أيام أو خمسة توقد فى بعض الأفران المتبقية ، وبعد عدة أيام أخرى توقد الأفران الباقية مع مراعاة أنه بمجرد أن توقد النار فى أفران جديدة تترك نار الأفران التى أوقدت فى

البداية لتخبو . وسنشرح فيما بعد دوافع هذا الاجراء . وتتجدد النيران ثلاث مرات وفى بعض الاحيان اربع مرات فى اليوم الواحد ، وتزاد النار قليلا فى الليل ، ويدخل العامل المختص الى الحجرات السفلية مرتين او ثلاث مرات فى اليوم لتقليب البيض ولتغيير أماكنه ، ولابعاده ، كل بدوره ، عن المناطق الأشد حرارة . وهذا هو عمله الرئيسى .

وبدءا من اليوم الثامن يفحص البيض جميعه على ضوء مصباح ، وتسبب ذلك البيضات التى لم تخصب ، وجدير بالذكر أنه عند ترتيب البيض ، كان قد ترك فراغ فى وسط الحجرة ليستقر فيه العامل عند نزوله من الأرضية الخشبية للحجرة العلوية .

وقد تبينا وجود الكثير من الاختلافات بالنسبة للكثير من خطوات هذه العملية ، وبعض هذه الاختلافات محض تحكمية وقد يكون من الاملال أن نتوقف عندها ، وبعضها الاخر يعود الى التوقيت الذى تتم فيه هذه العملية والى التباين فى درجات الحرارة وأحيانا الى المثر الخاص بالمعمل والى عدد الأفران التى يتكون منها بصفة خاصة . ويكفى أن نقدم الأشياء بشكل نستطيع معه أن نحكم على تأثير هذه الظروف المختلفة ، مع قصر اهتمامنا على الظروف الأساسية اللازمة لانجاح عملية التفريخ :

الظرف الأول : تأكد عن طريق ملاحظات تمت باستخدام الترمومتر ان الحرارة المعتادة للحجرات التى يوضع بها البيض هى ، مع اختلافات طفيفة ، ٥٣٢ حسب ترمومتر ريومور Réaumur . وهذه على وجه التحديد هى درجة حرارة الحضانة الطبيعية ، ولا تتراوح الاختلافات الا فيما بين ٥٣١ ، ٥٣٣ ، وان كانت هذه الاختلافات تكون أكبر بكثير فى الدهليز وفى الحجرات العلوية ، فتظل دوما ادنى من ٥٣٢ فى المكان الاول وأعلى بكثير من ذلك فى المكان الثانى ، على الأقل ، طيلة الوقت الذى تكون النيران فيه لا تزال موقدة ، وكذا لبضعة أيام فقط بعد أن تخبو .

ولا يعرف المصريون الترمومتر . ويستبدل به العامل حساسية يجعلها التعود الشديد بالغة الفعالية ، ولهذا السبب فليس من الممكن أن يحل محل مديرى المعامل الذين لا يتخذون لأنفسهم قط من معاونين سوى اولادهم أو أقاربهم ، غرهم من المصريين فى هذا الضرب من ضروب الصناعة ، ولهذا بقى سرا فى أيدي أعداد معينة من الأسر ، ولا بد من ممارسة

طويلة حتى يكون بالمستطاع ادارة يعمل ، ولكن او استخدم البروموتر
نستصبح هذه المعضلة الرئيسية فى حكم العدم .

الظرف الثانى : وثمة شرط ثان ينظر اليه باعتباره شرطاً هاماً ، وهو
ترك النار تخبو قبل انتهاء العملية بوقت قصير ، اما لخشية العادلين على
الكتاكيت من انبعاث بعض الروائح من الوقود ، وبخاصة ثانى اكسيد
الكربون الذى يملأ الحجرات السفلية ، واما لأنه ليس لدى هؤلاء من هدف
سوى بسط البيض ، الذى يوزع جزء منه بالحجرات المطلوبة لفترة اطول .
وينتج عن ذلك أن من الضرورى تدفئة مبنى الأفران بالقدر الكافى فى الجزء
الاول من عملية التفريخ حتى تستطيع جدرانها الجانبية وحدها ان تحفظ
البيض طيلة الجزء الباقى من الوقت فى درجة حرارة ٣٢ .

ولكى يتم توافق هذا الشرط مع الشرط السابق يترك العامل فى
بعض الاحيان أفراناً بعينها فارغة حتى يستطيع تدفئتها حسب رغبته عند
بدء عملية التفريخ ، وهو الأمر نفسه الذى يقتضى منه عدم اشعال كل
الأفران فى وقت معا ولتوزيع الأفران التى بوقدها بطريقة متناسقة ، ولتقليل
عددها اكثر فأكثر وكذا لتخفيف كثافة وتقصير مدة النار فى الأفران التى
بوقدها فى النهاية كي تظل الحرارة على وجه التقريب متساوية فى الأفران
جميعها عقب اطفاء النار فجأة . فاذا ما اطفئت النار فانهم لا يسارعون
مطلقاً بنقل البيض الى الحجرات العلوية وانما ينتظرون لعدة أيام . ويحدد
بعض الرحالة هذه الفترة بأربعة أيام ، ويحددها آخرون بستة ، ويحددها
فريق ثالث منهم بثمانية ، والحقيقة ان ليس ثمة شئ عام فى ذلك اللهم
سوى انتظار بزود هذه الحجرات ، وبخاصة أرضيتها الخشبية وعلى نحو
كاف ، وبعد ذلك تتفصل الفتحات الخارجية للأفران اتفصلاً غير كامل فى
البداية ، بل يتم ذلك شيئاً فشيئاً كلما بردت كتلة المبنى ، وكلما يكون من
الضرورى تركيز الحرارة هناك بدرجة اكبر للحصول على درجة ٣٢ .

وفى بعض الاحيان لا يكتمل عدد البيض الذى يمكن لمعمل ان بحويها
المرتين أو ثلاث مرات فى العام ، عندئذ تتم عدة خطوات متميزة تتخذ
فى وقت معا ، وتستمر الأمور على هذا النحو حتى نهاية الفصل مما يدخل
على الأساليب المتبعة تعديلات طفيفة .

وما ان يفتح معمل ما حتى يحمل اليه كل سكان المناطق المجاورة كل

ما لديهم من بيض فى ذلك الوقت ، وبعد انتهاء عملية التفريخ ، يرد اليهم نحو خمسين كتكوتا فى مقابل كل ١٠٠ بيضة (تدموها) ، ويؤهل البانى (من الكتاكيت) الى صاحب المعمل (١) وعادة ما يقدر عدد البيض غير المخصب بـ ١/٥ العدد الاجمالى ، وفى بعض الأحيان لا يبلغ العدد الفعلى سوى السدس ، ونادرا ما يتجاوز الثلث الا اذا كان الأمر يعود الى خطأ من جانب العامل ، ولذلك فانه ملزم عادة باعادة عدد من الكتاكيت بغادل ثلثى عدد البيض الذى تسلمه على الأثل .

وليس من النادر أن يفرخ بعض البيض بدءا من اليوم العشرين أى . أبكر يوما عن مدة الحضانة الطبيعية ، وخلال أربع وعشرين ساعة نجد أمامنا ما يربو على ٦٠ ألف كتكوت فى منشأة واحدة . وبقى لها ، كغذاء ، قليل من الدقيق المختلط بخبز مفتت .

وتورد بعض المؤلفات أنه بسبب هذه الكميات الهائلة التى تقدمها هذه المعامل ، فقد كان الناس يلجئون لبيعها فى صاع أو ربع وهو ما يعنى ١/٤ مكىال بعينه . وقد ذكر هذا الاسلوب الشاذ أشخاص كثيرون ، وأكدوا لى أنهم رأوا ذلك بأعينهم ، ويوجد بكل مكىال على الدوام عدد من الكتاكيت الميتة ، وهذه الطريقة ، وان كانت تتفق مع تكاسل المصريين وتراخيهم ، حيث هى تعفيهم من تحديد أسعار مختلفة للكتاكيت (تبعا لاعمارها) ذلك أن البيع بالكىل سيجعل عدد الكتاكيت التى تناولت طعاما أقل من تلك التى لم تطعم بعد فى المكىال الواحد ، الا ان الشئ الذى يمكننى ، أنفى هذا الصدد ، أن أقدمه كأمر مؤكد هو أن هذه الطريقة ليست هى الشائعة على الإطلاق ، ففى كل المنشآت التى زرتها كانوا يعدون الكتاكيت ولا يكيلونها

(١) لا تدفع أجور أصحاب المعامل على الدوام عينا ، ففى ديروط الشريف ، وهى قرية تقع عند فتحة بحر يوسف . قمت بزيارة واحدة من هذه المنشآت حيث علمت أن الفلاحين يدفعون مدينى واحدا عن كل ٢٠-٣٠ بيضة تبعا للظروف . وعلى الرغم من أن هذا المكسب أدنى بكثير من المكسب الناتج عن الحصول على ١/٣ البيض فانه مع ذلك بالغ الضخامة ، فهذه الأنواع من المصانع هى بالتأكيد أكثر من كل مثيلاتها ربحا فى مصر . وعندما أذكر هذه الملاحظة التى أدين بها للمسيو جومار فلا بد لى أن أوضح أن هذا الاسلوب فى دفع الاجر لا يمكن أن يتناسب الا مع المنشآت كبيرة الحجم ، اذ هو فى معمل لايشتمل الا على ٨-١٠ أفران سوف يعطى عائدا أدنى من المصروفات الجارية .

البتة ، وبتباع مائة الكتكوت أفرخت حديثا — ٨٠ مدينى فى المتوسط (اى
ادنى قليلا من ٣ فرنكات من عملتنا) .

ويقدر عدد معامل التفريخ فى مصر بمائتين ، ويصل به الاب سىكار
الى ست وثمانين وثلاثمائة (٣٨٦) طبقا لما أخبره به الاغا أو شيخ بلد برما ،
لكن هذا الرقم مبالغ فيه كثيرا ، وقد قدر ريو مور الكمية السنوية للكتكايت
التي تفرخها معامل مصر بأكثر من ٩٢ مليوناً . وهناك أخطاء كبيرة فى هذا
التقدير ، اذ لا ينبغى أن نحصى فى المتوسط سوى ١٠ أفران فى كل معمل ،
ولا يمكن أن يبلغ عدد مرات الافراخ للفرن الواحد أكثر من أربع مرات كل
عام ، مما ينتج ٤٠ × ٣٠٠٠ بيضة لكل معمل اى ١٢٠ ألفا ، وبافتراض
أن المائتى معمل تعمل جميعا بكل كفاءتها فان الرقم الاجمالى لا يمكن أن يبلغ
سوى ٢٤ مليوناً من الكتكايت .

ملاحظة :

خصصت الملاحظات العامة المذكورة آنفا بصفة خاصة لفهم
عقلية واساليب المصريين ، أما فى الملاحظات التي يستعقب هذا
الهامش فسنجد تفاصيل عملية استمدت من عمالية مراقبة تمت
فى معامل القاهرة ، من شأنها أن توضح بعض صعوبات
الممارسة . وقد تركنا بعض التكرار على حاله اما لان الأشياء
نفسها قد عولجت فى ظل علاقات مختلفة ، واما لأنها لازمة لفهم
التفاصيل الأخرى .

وصف خاص لعدد من معامل التفريخ

تابعناها فى القاهرة ، وللأساليب المتبعة هناك

يطلق المصريون اسم معمل الكتكايت أو معمل الفروج على المحل الذي
يضم الامران والحجرات الخاصة التي يتم فيها تفريخ البيض . والمبنى
الرئيسى (١) عبارة عن مربع يتفاوت طول ضلعه ، يقطعه من الداخل بكل

(١) تقوم هذه المباني بصفة شبيه دائمة داخل مساكن متداعية ، ويتكئ
ظهرها عادة الى اكوام من الرمال والانقاض ، مما حمل بعض الرحالة على
القول بأنها مدفونة .

طوله دهليز يفضل صفين من الحجرات الصغيرة ، يتراوح عددها من ٢ الى ١٢ فى كل جانب ، وتتكون كل حجرة من طابق مزدوج (طابقين) ، ويبلغ طول الحجرة السفلية التى يمكن ان نسميها المفرخ (بفتح الميم وسكون الفاء وفتح الراء) ، لأنها تضم البيض خلال فترة الحضانة ، نحو نمائية اقدام بعرض يبلغ ستة اقدام . وليس لها سوى باب صغير يطل على الدهليز . أما الحجرة العلوية ، التى ساسميتها الفرن والتى يضعون فيها النار ، فلها على وجه التقريب المساحة نفسها التى للحجرة التى تحتها ، ولها كذلك باب يطل على دهليز ، وفوق ذلك فاننا نلاحظ وجود فتحة فى قبتها تغلق وتفتح حسب الحاجة ، ولها كذلك نافذتان جانبيتان مفتوحتان على الدوام ، وتصلان بالانران المجاورة ، وفى النهاية فان فى أرضيتها الخشبية فتحة كبيرة نحو ما ، وهى دائرية الشكل ، صنعت من حولها حفرة واسعة توضع فيها الجمرات المتقدة التى تنتشر حرارتها من خلال هذه الفتحة العلوية الى الحجرة السفلية .

وقبل أن نصل الى داخل المعمل نجد ثلاث أو أربع حجرات خاصة ، تستخدم أولاها مقر لسكنى الاشخاص الموكلين بخدمة الأفران ، وفى الثانية تتحول اقراص « الجلة » واصناف الوقود الأخرى التى لا بد لها أن تستخدم فى تدفئة الأفران ، الى جمرات ملتهبة ، أما الثالثة فمخصصة لاستقبال الكتاكيت بعد افراخها بعدة ساعات .

ولا تعمل معامل الكتاكيت فى مصر الا لمدة شهرين أو ثلاثة اشهر من العام ، وتفتح هذه المعامل فى الصيف عادة عند نحو نهاية شهر يناير ، أما فى القاهرة فلا يبدأ العمل بها الا فى الأيام الاولى من شهر مارس .

وفى هذه الفترة يدخل صاحب كل واحدة من هذه المنشآت فى خدمته اثنين أو ثلاثة من هؤلاء الرجال الملمين جيدا بكيفية الاشراف على عملية الفقس . وفى حين ينشغل بعض هؤلاء العمال باعداد المبنى الذى سيمارسون فيه عملهم ، يتسلم آخرون البيض الذى يجلبه الفاس لهم من القسرى المجاورة ، ويسجلون كميات البيض المتسلطة وكذلك أسماء من اودعواهم اياها ، مقرين بذلك ضرورة أن يردوا عددا محددا من الكتاكيت (١) .

(١) ويبلغ ذلك عادة ثلثى عدد البيض المودع ، أما الباقي فيؤول الى اصحاب المعامل .

وعندما يتم جمع عدد مناسب من البيض لبدء تفريخ « الرقدة » الأولى ينم العمل على النحو التالى : لا تستخدم مطلقا كل المفارخ للرقدة الواحدة نفسها وانما يستخدم نصف عددها فقط ، فاذا كان المبنى يضم ستة مفارخ فى كل جانب ، فلا يوضع البيض فى بداية العملية الا فى المفرخ الأول ، فالثالث ، فالخامس ، فالسابع فالتاسع ثم الحادى عشر ، ويوضع البيض فوق طبقة من الرماد والقش المهروس (التبن) ، ويوضعما يصل الى ثلاث طبقات من البيض كل منها فوق الأخرى ، ويمكن كل واحد من المفارخ أن يضم من أربعة الى خمسة آلاف بيضة عندما تمتلئ هذه بشكل تام . وبعد ذلك يسجل على كل واحد من المفارخ اليوم الذى بدأت فيه عملية التفريخ ثم تجلب الى حفرات الأفران الستة الواقعة الى أعلى الجمرات المتقدة والناتجة عن احتراق مواد وقود مختلفة تحولت الى جمرات لهذا الغرض ، فى واحدة من الحفرات سبق أن تحدثنا عنها . وبعد لحظات تقفل فتحات القباب ثم أبواب الأفران والمفارخ ، وتترك هذه الجمرات على هذا النحو تتآكل ببطء ، وتتجدد هذه العملية مرتين فى النهار ومثلهما بالليل ، ويتكرر ذلك كله طيلة عشرة أيام متعاقبة ، وفى كل مرة يراعى أن تفتح للحظة ، فتحات القباب وأبواب المفارخ اما لتجديد الهواء فى داخل المبنى واما لتقليل اثر الحرارة الأولى والتي قد تسبب فى اذواء البيض . أما فى الفترات التى تتخلل عمليات التدفئة فيمر العمال بالبيض الموجود بالمفارخ ويقلبونه ، وينقلون الى الطبقة الثانية أو الثالثة البيض الذى كان مصفوحا بالطبقة الأولى . وهكذا يقتصر العمل خلال الأيام العشرة الأولى على تجديد النار من أربع الى خمس مرات كل أربع وعشرين ساعة وعلى المرور بالبيض وتقليبه مرة فى اليوم أو مرتين .

وفى اليوم الحادى عشر يتضاعف العمل ، فتعد رقدة ثانية من البيض الذى تم جمعه ، ويوضع هذا البيض ، مع اتخاذ الاحتياطات التى سبق بيانها بالنسبة للفقس السابقة ، فى المفارخ الستة الأخرى الواقعة بين مفارخ الفقس الأولى ولا بد أن يتم هذا العمل فى أقل من ثلاث ساعات . وحين تصبح الفقس الثانية جاهزة بالقدر الكافى ، تجلب على الفور الجمرات المتقدة لتوضع فى حفرات الأفران العلوية ، ويستمر اشعال النار لمدة عشرة أيام متتالية بالطريقة نفسها التى اتبعت مع الفقس الأولى ، على أن نحصر فى كل مرة على فتح منافذ القباب وأبواب المفارخ لفترة ، وخلال

هذه الفترة يبذل للبيض من العناية نفس ما يبذل من قبل لبيض الرقدة الأولى .

وبدءا من اللحظة النى توضع فيها النيران فى أفران الفقس الثانية ، يتوقف العمال عن وضع النار فى أفران الرقدة الأولى ، اذ يحصل بيض هذه على القدر الكافى من الدفء ، من الحرارة المنبعثة من الأفران المجاورة ، وان كانوا لا يتوقفون من أجل هذا عن الاهتمام ببيض هذه الرقدة اذ هو يتطلب قدرا أكبر من العناية كلما اقتربت لحظة خروج الكتاكيت . وينقل جزء من هذا البيض على الأرضية الخشبية للأفران بعد مضى يوم من خمود النار ، وحيث تكون بيضات هذه الفقس أثقل تكوما فان تقلبيها يتم بشكل أكثر يسرا ، ويتم المرور عليها عدة مرات فى اليوم الواحد لاستبعاد ما يعتقد أنه قد تلف من بينها .

وفى اليوم العشرين نبدأ فعلا فى العثور على عدة كتاكيت ، وفى اليوم الحادى والعشرين يكون قد أفرخ من البيض عدد كبير للغاية ، ويثوم العمال فى بعض الأحيان بتسهيل عملية خروج الكتاكيت التى لم تستطع أن تحطم قشر بيضها ، شكل تام ، ويظل يحتفظ ببقية البيض الذى يمكنه أن يعطى كتاكيت متأخرة وذلك لمدة يوم أو يومين . وتوضع الكتاكيت الهزيلة أو الضعيفة فى الدهايز الذى يفصل بين المزارخ ، وتحمل الكتاكيت الأخرى الى الحجرة المخصصة لاستقبالها حيث لا تبقى الا لنحو يوم واحد ، وهى تحمل الى هناك ليتم اعطاؤها لأولئك الذين جلبوا البيض (الى العمل) او لبيعها .

وبمجرد انتهاء الفقس الأولى ، ينشغل العمال بالتحضير للفقس الثالثة . وعندئذ يوضع البيض فى المزارخ الستة التى أصبحت فارغة ، ويتكرر بالنسبة لهذه الفقس الثالثة ما سبق حدوثه بالنسبة للفقسين الأولى والثانية خلال أيام العمل العشرة الأول . أما خلال الأيام العشرة الثانية فيتم كذلك بالنسبة للفقس الثانية ما سبق ان تم تنفيذه للفقس التى خرجت كتاكيتها من المزارخ ، وهكذا دواليك .

وتستمر هذه العملية لكل الفقس التى تتعاقب بين عشرة أيام لعشرة أيام أخرى مع اتباع نفس تفاصيل العمل التى انتهينا من بيانها طيلة ثلاثة

اشهر . وهو الوقت المعتاد لاتمام عمليات التفريخ ، وهكذا نرى كل ١٠ الى ١٢ يوما ، فى كل واحدة من هذه المنشآت العاملة ، ظهور فقسنة تتكون من عدة الوف من الكتاكيت . اما كمية ما يتلف من البيض خلال عملية الفقس فضئيلة الاهمية ، وكلما تصل كمية التالف لابتعد من السدس . ولم يحدث قط أن تلفت فقسنة بأكملها .

وهذا النوع من المنشآت كثير للغاية فى مصر ، اذ توجد واحدة منها فى كل ١٢-١٥ قرية ، وغالبا ما يوجد اكثر من منشأة واحدة فى المدينة نفسها ، ويحصى الاب سىكار ما يقرب من أربعمئة منشأة تفرخ كل واحدة منها ، طبقا لما يذكره ، مائتين وأربعين ألف كتكوت ، مما ينتج نحو ١٠٠ مليون كتكوت هى مجموع ما تفرخه هذه المنشآت فى مصر كل عام ، فى عصره . ويمكن لنا باستخدام منطقنا أن نقلص هذا الرقم الى اقل من الثلث . ولا يزال يوجد هناك نحو مائتى معمل فروج تعمل فى كافة انحاء مصر ، يفرخ كل منها بشكل تقريبي نحو ١٤٠ ألف كتكوت . وبالإضافة الى ذلك ، فهناك فى بعض القرى النائية ، وبشكل خاص عند القبائل العربية ، يتم تفريخ بعض البيض ، برغم أن هذه الوسيلة الاخيرة ، كما ينبغى أن نلاحظ ، ليست مضمونة ، كما أنها غير مجزية فى مصر (١) . ولا يرجع النجاح

(١) يعتقد البعض أنهم قد عثروا على منشأ فكرة التفريخ الاصطناعى فى نموذج بيض النعام وبيض التمساح ، الذى يترك فى الصحراء وعلى ضفاف النيل ، وأن حرارة الرمل وحدها هى التى تؤدى بها لأن تفرخ ، ومع ذلك فإذا ما استرعينا النظر الى أن حضانة الدجاج (البيضة) نادرًا ما تنجح فى مصر ، وأن هذه الدجاجات ، عند حلول الفصل الحار الذى تبدأ فيه حضانة البيض ، سرعان ما تهجر بيضها لتنهمك من جديد فى ممارسة الحب ، فإن المرء سيجد نفسه مدفوعا إلى الاعتقاد بأن كهنة مصر القديمة ، وقد كانت لديهم المعرفة الكافية بكافة ضروب الصناعة والفنون ، قد استطاعوا العثور على سبل علاج هذا العيب فى أساليب تكاثر (هذه الدواجن) ، وأنهم قد لجئوا الى الحضانة الاصطناعية لتفريخ بيض الدجاج بوفرة ، وللحصول على كمية كبيرة من الكتاكيت كانوا يجدون فيها طعاما لذيذا ومريحا ، وحين أراد هؤلاء الكهان انفسهم بعد ذلك أن يفيدوا من هذا الكشف ، كى يثبتوا أن كل شئ يزدهر فى أيديهم ، جعلوا من ذلك علما غامضا ، ولم يتناقلوه من جيل لآخر الا باعتباره سرا لا يزال حتى اليوم غير معروف بشكل جيد فى مصر ، الا لبعض الافراد .

المستمر لعمليات التفريخ هذه الى اعتدال طقس مصر ، كما يزعم ذلك هؤلاء الذين ينتقصون من أساليب المصريين ، اذ يساهم فى ذلك ، هذا الحذق الخاص بأولئك الذين يدبرون أمور هذه الفقسات ، فقد جعلتهم الخبرة الطويلة يدركون بمجرد دخولهم الى الأفران ما ان كان يلزم تجديد النار أو الانتظار للحظات أخرى ، كما أنهم يعرفون بالمثل كيف يحصلون على الحرارة التى تناسب مختلف مراحل هذه الحضانة الاصطناعية ، فهم ينتجون ، باتباع أساليب خاصة بهم ، فى نفس الوقت ، وبنفس الوسائل ، درجات متباينة من الحرارة فى مناطق متعددة من المبنى الذى توجد به المفارخ والأفران . وخلال مدة الفقسات كنت أجد بشكل دائم فى معامل الفروج العديدة بالقاهرة درجة حرارة تكاد تكون على الدوام متساوية ، لا تتفاوت قط لأكثر من درجتين برغم تباينها فى كل نوع من الحجرات ، فعلى سبيل المثال ، بلغت الحرارة خلال الايام العشرة الأولى من الحضانة ، وطبقا لترمومتر ريومور من ٣٢ الى ٣٣ فوق الصفر ، وبلغت خلال الايام العشرة الاخيرة ما بين ٢٨ ، ٢٩ ، ١/٢ ٥٢٩ ، كما بلغت فى الأفران لحظة وضع النار نحو ٣٧ ، ٣٨ ، ٥٣٩ وانخفضت بعد أربع ساعات الى ٣٢ ، ٣٣ ، ١/٢ ٥٣٣ . انظر الجدولين التاليين .

جدول بدرجات الحرارة أثناء لوحظت في معامل الكتاكيت بمصر
١ — طبقا لتجربة أجريتها في القاهرة في معمل
يقع بحى سقى زينب
ترمومتر ريومور — درجات فوق الصفر

التاريخ	درجة الحرارة في الخارج	درجة الحرارة في الجدران الأمامية	درجة الحرارة في المعامل	درجة الحرارة في الفارخ		درجة الحرارة في الأفران		
				خلال الأيام العشرة الأول	خلال الأيام العشرة الثانية	لحظة وضع النار	بعد ذلك بأربع ساعات	في الأيام العشرة الثانية بعد أن يتوقف وضع النار
٢٥ جرمينال *	١٩	٢١	٢٦	٣٣	٢٩ $\frac{1}{3}$	٣٦	٣٤	٣٠
٢٦	٢١ $\frac{1}{3}$	٢٢	٢٦	٣٣	٣٠	٣٧	٣٤ $\frac{1}{3}$	٣٢ $\frac{1}{3}$
٢٧	٢٠	٢١ $\frac{1}{3}$	٢٥ $\frac{1}{3}$	٣٢ $\frac{1}{3}$	٣٠	٣٦ $\frac{1}{3}$	٣٤	٣٢
٢٨	١٩ $\frac{1}{3}$	٢١	٢٥ $\frac{1}{3}$	٣٢	٢٩	٣٧ $\frac{1}{3}$	٣٣ $\frac{1}{3}$	٣٢
٢٩	٢٢	٢٢	٢٦	٣٣	٣٠	٣٨	٣٣	٣١ $\frac{1}{3}$
٣٠	٢٥	٢٣	٢٥	٣١ $\frac{1}{3}$	٢٩ $\frac{1}{3}$	٣٧	٣٢	٣١
١ فلوريال *	٢١ $\frac{1}{3}$	٢٢	٢٦ $\frac{1}{3}$	٣٢ $\frac{1}{3}$	٢٩	٣٦ $\frac{1}{3}$	٣٤	٣٢
٢	٢٣	٢٣ $\frac{1}{3}$	٢٦	٣٣	٢٩	٣٧ $\frac{1}{3}$	٣٤	٣٢ $\frac{1}{3}$
٣	٢٥	٢٣	٢٥	٣٣	٢٩ $\frac{1}{3}$	٣٧	٣٢ $\frac{1}{3}$	٣٢
٤	٢٢ $\frac{1}{3}$	٢٢	٢٥ $\frac{1}{3}$	٣٢	٣٠	٣٦	٣٣	٣١ $\frac{1}{3}$

(*) من العام الثامن .

ملاحظات : بينما يتبقى بيض في الأفران في خلال الأيام العشرة الأخيرة
من الحضانة ، يواصل العمال دوما وضع النار في الأفران المجاورة ، برغم
عدم وجود بيض في الفارخ السفلية .

٢ — طبقا لتجربة أجريت في القاهرة
في معمل فروج يقع في حي باب النصر

التاريخ	درجة الحرارة في الخارج	درجة الحرارة في الحجرات الأمامية	درجة الحرارة في الدهليز	درجة الحرارة في المقارح		درجة الحرارة في الأفران	
				الدرجة الأولى من الحضانة	الدرجة الثانية من الحضانة	عند وضع النار	خلال الأيام العشرة الأخيرة بعد توقف وضع النار
٦	٢٢	٢٣	٢٦	٣٢ $\frac{1}{3}$	٣٠	٣٧	٢٠
٧	٢٥	٢٤	٢٧	٣٣	٢٩ $\frac{1}{3}$	٣٧ $\frac{1}{3}$	٢٢
٨	٢٣	٢٤ $\frac{1}{3}$	٢٥ $\frac{1}{3}$	٣٢	٢٩	٣٦ $\frac{1}{3}$	٢١
٩	١٩	٢٠	٢٥ $\frac{1}{3}$	٣٢	٣٠	٣٧	٢٩ $\frac{1}{3}$
١٠	٢٠ $\frac{1}{3}$	٢٢	٢٧	٣٣ $\frac{1}{3}$	٢٩	٣٨	٢٠
١١	٢٣	٢٤	٢٦	٣٢	٢٩	٣٦ $\frac{1}{3}$	٢١
١٢	٢٥	٢٤	٢٥ $\frac{1}{3}$	٣٢	٢٨ $\frac{1}{3}$	٣٧	٢٠
١٣	٢٦	٢٤ $\frac{1}{3}$	٢٥	٣١ $\frac{1}{3}$	٢٩	٣٧	٢٠
١٤	٢٦ $\frac{1}{3}$	٢٥	٢٦	٣٢	٣٠	٣٦	٢١
١٥	٢٦	٢٤	٢٥ $\frac{1}{3}$	٣١	٢٩	٣٧ $\frac{1}{3}$	٢١ $\frac{1}{3}$

(*) من شهر بريريال من العام التاسع (١٨٠١) .

ولا يبرع المصريون فقط فى فن تفريخ البيض، بل انهم يعرفون كذلك كيف يربون الكتاكيت دونما حاجة لوجود الدجاج، وان كانت مثل هذه الرعاية ليست من اختصاص أولئك الذين يدبرون أمور الحضانة الاصطناعية ، بل يعهد بها لبعض النسوة فى بيوت الخاصة ، وان كانت الواحدة منهن لا تربي من هذه الكتاكيت ، فى المرة الواحدة ، عددا يتجاوز ٣٠٠ أو ٤٠٠ كتكوت ، بل ان العدد فى معظم الاحيان يقل عن ذلك بكثير ، ولا يحدث ان تذهب هؤلاء النسوة للحصول على كمية جديدة من الكتاكيت من المعامل الا بعد مرور خمسة وعشرين يوما ، وهو الوقت الذى يمكن الكتاكيت فيه ان تتخطى حاجتها لتلك الرعاية الأولية .

وخلال النهار ، تترك هذه الكتاكيت فوق ارض جافة ، معرضة للشمس وتغطيتها الانقاص او الحصى ، ويقدم اليها كغذاء القمح والارز والذرة البيضاء المجروشة والماء باعتباره المشروب الاوحد ، وحين يقترب الليل تستعاد هذه الكتاكيت الى داخل البيت حيث تبقى حبيسة داخل أحد الامران المصنوعة من الطين ، حتى تصبح فى منأى عن برودة الليل ، وحتى تكون فى مأمن من مطاردة الحيوانات المختلطة التى قد تدهسها ، وتحتاج الكتاكيت الى هذه الضروب من الرعاية الخاصة لمدة تقترب من الشهر ، وبعد هذا الوقت تترك لتجرب وسط الدجاج .

وعلى الرغم مما أبداه الكثير من الرحالة من رأى مناقض ، فان لحم الدجاج والفراريح التى ربيت بهذه الطريقة ، غض وشهى . ويلذ للمصريين اكله ، ولا يفضلون عليه أبدا لحوم الفراريح التى جاءت عن طريق حضانة الامهات . وفى حقيقة الأمر ، فان من النادر أن تكون الفراريح سمينة (١) . والدجاجات هناك صغيرة الحجم ، كما أن بيضها أقل حجما من بيض معظم دجاجات أوروبا وان كان ذلك يعود الى اختلاف فى سلالة الدجاج فى مصر ، بأكثر مما يعود الى الأساليب المستخدمة فى استفراخها .

وحين نتفحص كل المكاسب التى يجنيها المصريون من معامل الفروج لديهم فاننا لنأسف لاننا لا نجد هذا الفن مستقرا فى أوروبا ، وفى فرنسا على

(١) لا تسمن الفراريح أبدا فى مصر ، كما لا تخصى على الإطلاق صفار الديوك ، وهناك تؤكل كل أنواع الطيور بحالتها الطبيعية (أى دون تسمين) .

وجه الخصوص ، حيث يمكن هذا الفن أن يمارس بنفس الدرجة (من البراعة) التى يمارس بها فى مصر (١) .

(١) لا يشك الرحالة الذين زاروا معامل الكتاكيت ، والذين شاهدوا خروج فقسات كثيرة ، فى امكانية نجاح هذه الطريقة بالمثل فى بلادنا . وان كان لم يأخذ أحد منهم على عاتقه مهمة فحص مثل هذه المنشآت وتجميع الأساليب المستخدمة فيها . فكل واحد من هؤلاء الرحالة لم يشاهد هذه المعامل سوى مرة واحدة ، وفى معظم الأحيان فى وقت لا تعمل فيه هذه المعامل ، ولهذا فإن معظمهم لم يجمع سوى معلومات غير دقيقة ، وغير كافية ، وقد حصلوا عليها كيفما اتفق .

وقد وصف بعض الرحالة أمثال ويسسلنج **Wesling** ونيبور Niebuhr ونوردان **Norden** ، على نحو لا بأس به الأفران المستخدمة فى تفريخ البيض ، ويورد هؤلاء المؤلفون الثلاثة ، الذين نستطيع أن نلحق بهم تيفنو **Thevenot** والاب سيكار **Sicard** ، وبطريقة تتفق مع الواقع ، الأساليب المستخدمة (فى عملية التفريخ) بشكل اجمالى ، ومع ذلك فعند الدخول فى تفاصيل ما تتطلبه العناية بالأفران خلال مدة الحضانة ، فقد ارتكبوا عددا من الأخطاء كانت عامة لديهم جميعا ولدى الكثيرين من الرحالة . وقد يكون مسموحا لنا أن ننسب اليوم الى معظم هؤلاء هذا الحظ الضئيل من النجاح الذى صادفته كل المحاولات التى بذلت فى أوربا لكى تمكن ممارسة هذا الفن هناك ، وبخاصة ذلك الاحباط الذى لقيه ، فى أوقات متفرقة ، أولئك الذين بذلوا أكبر الجهود فى محاولة توطينه فى فرنسا ، وقد كان ريومور واحدا من أولئك الذين كانوا يقومون أكثر من غيرهم بتجميع أساليب النجاح فى هذا الفن . وكانت تجاربه تتصف بالدأب حتى أن المنهاج الذى وضعه فى مؤلفه كان منهاجا علميا (انظر فن تفريخ البيض ، تأليف ريومور) . ومع ذلك فإن الذين أطلعوه على تجارب المصريين وعلمهم قد تعمدوا أن يتركوه جاهلا للكثير من التفاصيل التى كان من المستطاع أن تكون ذات نفع لبحوثه وأن تضمن له الوصول الى نتائج أكثر تقدما .

ولكى نقف جيدا على هذا الفن كان الأمر يقتضى ليس فقط أن نتفحص هيكل أو تصميم المبنى الرئيسى وتوزيع المفارخ والأفران ، وانما كذلك التأكد من الفصل الذى لا بد أن تبدأ فيه عملية التفريخ ، وأن نشاهد العمل اليومى لأولئك الذين أوكلت اليهم إدارة الأفران . وأن تعرف بمعونة الترمومتر درجة الحرارة التى يحرصون على استمرارها أثناء الحضانة ، كما كان الأمر يتطلب منا أن نتتبع فى أوقات مختلفة ، وداخل معامل مختلفة ، عملية حضانة ثانية وثالثة . وعن طريق هذه الخطة للمتابعة والملاحظة توصلت الى تجميع مادونته عن معامل الفروج فى مصر .

ولسوف يكون سهلا على الدوام ، مع بذل بعض ضروب العناية ،
تفريخ البيض بواسطة الحضانة الاصطناعية ، كما أن تربية الكتاكيت تلقى
الكثير أو القليل من الصعوبات تبعا لحالة الطقس ولطبيعة الفصل (الذى
تتم فيه) من فصول العام . ومع ذلك لم تتغلب براعة الأوربيين دوما على
عتبات مشابهة عندما استجلبنا الى أجوائنا نباتات استنبهاها وحيوانات
ربيناها ، كانت غريبة عليها ؟

ولسوف يكون من الضرورى بالنسبة لنا ، كى نتوصل الى تفريخ
البيض عن طريق الحضانة الاصطناعية ، والى تربية الكتاكيت دون حاجة
الى معونة من الدجاجات ، أن نتمثل ذلك الأسلوب البسيط والعملى الذى
لدى المصريين ، وقد يتحتم علينا بصفة خاصة أن نعدل عن هذه المنشآت
الضخام التى نحلم بأن نفرخ فيها ، وأن نربى فى الوقت نفسه الوفا عدة من
الكتاكيت .

رويه

(٢)

صناعة ملح النوشادر كولتيد ديكتيل

العنوان الأصلي للدراسة : وصف طريقة صنع ملح النوشادر .

(وصف مصر — م ١٩)

نبذة تاريخية

لن نأخذ على عاتقنا هنا أن نبحث فيما إن كانت المادة التى نطلق عليها الآن اسم ملح النوشادر قد عرفت من قبل قدماء المصريين ، وإن كنا نعتقد أن علينا أن نستردى الانتباه الى أنها تختلف كثيرا عن تلك التى أطلق عليها كل من بلين Pline وديوسكوريد Dioscoride الاسم نفسه (١) . أن هذا التماثل فى التسمية لم يكن قط قائما فيما مضى ، كما أنه لم يتم الا بسبب اصرار بحائى القرون الأخيرة على تطبيق ما قاله بلين عن ملح قيرينيا (**) La Cyrenaïque على ملح النوشادر الحديث . وتخبّرنا مؤلفاتهم نفسها أن الملح الأخير كان يحمل اسم ملح أرمينيا Sal Armeniacos . وهذه التسمية التى لابد أن نرجع اليها أصل كلمة armoniac ، ومنها ammoniac (أى ملح النشادر) ، والتى كانت لا تزال تطلق على هذه المادة فى بعض مؤلفات القرن الماضى تقابلنا مرة أخرى فى فارس حيث تستخدم كلمتا نوشادر وملح أرمينيا دون تفرقة للإشارة الى ما نسميه نحن ammoniac (٢) ، وبلا جدال ، فقد أطلقت هذه التسمية على هذه المادة لأن هذا الملح كان يشكل جزءا من تجارة الأرمن ، مما دفع البعض على الاعتقاد بأنه يأتى من بلادهم ، كما افترض آخرون — لوقت طويل — أنه يصنع فى البندقية ، لأن البنادق كانوا يجلبونه الى الشرق ، بعد أن يكونوا قد اشتروا — ربما — من الأرمن .

(١) كان ملح منجم ، ولعله كان ذامكسر ليفى كما يمكننا أن نستنتج من نصوص وردت عند هذين المؤلفين ، انظر بلين ، الكتاب ٣١ ، الفصل السابع ، المجلد العاشر ، ص ٣٥٤ وما بعدها ، طبعة باريس ١٧٧٨ ، فى ١٢ مجلدا ، وكذلك ديو سكوريد ، الكتاب الخامس ، الفصل ١١٧ ، ص ٣٢٦ ، طبعة ١٥٢٩ .

(٢) اذا رجعنا الى قاموس اللغة الفارسية سنجد أن ما يطلق عليه الإيطاليون اسم Sale armeniac وبالفرنسية Sel ammoniac هو نفسه ما يسمى بالفارسية نوشادر أو ملح أرمينيا ، أى الملح الأرمينى .
(*) يطلق الاسم اللاتينى حاليا على اقليم برقة بأكمله ... (المترجم)

وسالط على هذه المادة فى مصر اسم نشادر (بفتح النون) ، وهى كلمة قريبة الشبه بكلمة نوشار التى تستخدم فى الهند ، طبقا لبعض بحوث بناء المسبو لانجليه Langles ان يقوم بها عن طيب خاطر استجابة لرجاء منى ، بنفس المفهوم ، حيث من المعروف ان ملح النوشادر يصنع فى الهند ، وبنفس الأساليب المتبعة فى صنعه فى مصر . وهذا التشابه فى الاسم ، بالاضافة الى رأى بعض المستشرقين الذين لا يعتقدون أن لكلمة نشادر أصلا عربيا ، يحمل على الظن ، كأمر طبيعى ، بأن فن صناعة هذا الملح قد كان يمارس فى الهند من قبل أن تمارسه مصر ، وأنه لم يدخل البلد الأخير الا بعد أن فتحه العرب ، وان كان مثل هذا الزعم يتطلب تمحيصا متأنيا حتى يصبح بالإمكان تبنيه بشكل حاسم .

ويبدو أن العرب هم أول من كتبوا عن ملح النوشادر عند المحيدين ، اذ نجد فى مؤلفاتهم بعض اشارات غير واضحة عن صناعته ، تختلط فيما يبدو بأفكار مأخوذة عن بلين ، كما انها أبعد عن أن تكون كافية للتعريف بحقيقة أصله (١) .

وقد تصور البعض فى أوربا ، وان كنا لا نعرف فى أية حقبة، أن هذه المادة تنتج عن بول الجمال الذى تتشربه رمال الصحراء ، ويبدو أن هذه الفكرة ، التى رآها الآخرون مضحكة ، كانت تهدف الى التوفيق بين ما كتبه بلين وبين ما كان معروفا عندئذ عن وسائل استخلاص الملح ، وذلك أن الكيميائيين ، من قبل أن يبدأ القرن الأخير بسنوات طوال ، وبدون معرفة تامة بمكونات ملح النوشادر ، وهو الأمر الذى لم يصل فيه دوهايل Duhamel لراى قاطع الا فى عام ١٧٣٥ ، كانوا يحضرونه فى معاملهم بأن يقطروا خليطا من الملح البحرى وسناج الخشب^(٢) . وحتى عام ١٧١٦ كان الناس لا يزالون يجهلون الأصل الحقيقى لذلك الشئ الذى يدخل فى صناعتنا ، كانوا فقط يعرفون أنه يأتى من الشرق .

(١) انظر ابن سينا فى كتابه عن مبادئ الكيمياء عند جابر بن حيان .

(٢) استبعد ليميرى الأب وهومبرج Homberg السناج Junker Hist. de l'Acad. 1716. ، أما هذه الوسيلة التى ينقلها جانكير Demachy المجلد الخامس ، عن لانجيوس Langius (انظر ترجمة) عن لانجيوس (ص ٣٥٦) على اعتبار أن البنادق قد مارسوها ، فانها هى الوسيلة نفسها — مع اختلافات طفيفة — التى يقدمها جابر بن حيان . انظر المرجع السابق .

وفى هذه الفترة ، فى ٢٢ ابريل ١٧١٦ ، قرأ جوفروى الاصغر Geoffroy L.e Cadet فى اكاديمية العلوم ، دراسة موجزة تهدف للبرهنة على أن هذا الملح يستخلص ولا بد عن طريق التصعيد، وان من المستطاع ،

باللجوء الى العملية نفسها أن نصنعه فى فرنسا عن طريق صنع خليط من الملح البحرى والطين الأصفر وبول الحيوانات أو آيه مادة حيوانية أخرى ، وحيث تصدى ليميرى الابن Lemery fils لنقض ما جاء بهذه الدراسة فأنها لم تنشر فى المجلد العام (للاكاديمية) ، وأخذ المسيو دى ريومور على عاتقه أن يطلب باسم الاكاديمية معلومات حول هذا الموضوع من قنصل فرنسا بمصر ، وكان ليميرى يعتقد أن ملح النوشادر يستخلص عن طريق التصعيد والتجميد (التكريس) ، كما يحدث فى مناطق عديدة لانتاج موريات الصوداء . وقد بنى هذا الكيمائى طريقته هذه فى التفكير من ملاحظة شكل قوالب ملح النوشادر التى تصل من الشرق ، كما كان شكل هذه القوالب نفسه هو الذى أوحى لجوفروى بأنهم يستخدمون أسلوب التصعيد (فى صناعة ملح النوشادر) .

ومع ذلك فان رسالة من الأب سيكار ، مؤرخة فى الأول من يونية ١٧١٦ ونشرت فى المجلد الثانى من دراسات مبشرى صحبة يسوع فى الشرق

Memoires des missionnaires de la Compagnie de Jesus dans le Levant.

ورسالة أخرى من لومير Lemaire قنصل فرنسا فى القاهرة ، مدونة بتاريخ الرابع والعشرين من يونية ١٧١٩ ردا على أسئلة الاكاديمية قد جاءت شبيهة متطابقتين مع كل الاراء التى بشر بها جوفروى ، وعندئذ أصبح لهذا الكيمائى مطلق الحرية فى نشر دراسته فى مجلد (الاكاديمية) لعام ١٧٢٠ ، وارفق بها ، عند نشرها ، الرسالتين اللتين أشرنا للتو اليهما .

كانت المعلومات التى تضمنتها الرسالتان متطابقة فيما بينها ، وقد أوضحت أن ملح النوشادر يصنع فى مصر وأنه يستخلص عن طريق التصعيد ، من سناج ينتج أساسا عن طريق احراق براز الحيوانات ، لكن

الرسالتين اختلفتا فى نقطة هامة كانت موضوعا لجدل طويل بين الكيميائيين ، كما كانت بالنسبة للرحالة اللاحقين موضوعا لاستقصاء مدقق . فقد كانت المادة التى يستخلص منها النوشادر طبقا لمعاومات لومير **Lemaire** هى السناج الخالص وحده ، لكن الأب سيكار يرى أنهم يضيفون الى السناج القليل من الملح البحرى وبول الحيوانات . وقد عنى جوفروى عناية بالغة بأن يسترعى الانظار الى هذا القول الأخير ، فقد كان يعتقد أن اضافة الملح البحرى أمر لابد منه لدعم افتراضاته الاولى .

لكن معلومات جديدة جاءت من الأب سيكار نفسه ردا على أسئلة الأكاديمية ونشرت فى عام ١٧٢٩ فى المجلد السابع من دراسات مبشرى صحبة يسوع فى الشرق التى سبقت الإشارة إليها . جاءت لتتطابق تمام التطابق ، فى هذا الخصوص مع المعلومات التى قدمها لومير **Lemaire** . ولم يعد الرحالة الذين كانوا يجوبون مصر ، منذ ذلك الوقت ، والذين يولون اهتماما خاصا بهذه الصناعة ، يقولون ان المصريين يستخدمون (فى صنع النوشادر) الملح أو البول .

واكد جرانجيه **Granger** بطريقة موضوعية ، وهو الذى أولى اهتماما خاصا للتأكد مما ان كان المصريون يستخدمون هذه المواد ، أنهم يقتصرون فى صنع النوشادر على السناج (١) .

ودعم هاسلكست **Hasselquist** الذى قام برحلته بعد جرانجيه والذى قدم فى « دراسات ستوكهلم » (٢) تفاصيل هامة حول هذا الضرب من ضروب الصناعة ، فكرة الاقتصار على استخدام السناج الحيوانى (أى الناتج عن احتراق بقايا حيوانية) ، وان كان قد ألح كثيرا على الكمية الهائلة لموريات الصودا التى تحتوى عليها النباتات المستخدمة طعاما للحيوانات ، والتى يكاد يكون برازها الوقود الوحيد الذى تستخدمه مصر . وهو يشير اليه باعتباره مصدرا كبيرا لأمض الموريات اللازم لإنتاج ملح النوشادر ، ثم قدم لييل

(١) انظر تقارير هذا الرحالة وهى الدراسة التى أمر بطبعها دوهاميل فى مجلد الأكاديمية للعام ١٧٣٥ ، ص ١٠٧ وما بعدها .
(٢) مجموعة دراسات بالغة الأهمية عن الكيمياء والتاريخ الطبيعى تضم أعال أكاديمية أوبسال **Upsal** ودراسات أكاديمية ستوكهلم ، الجزء الأول ، ص ٢٢٧ .

Leyel هذا الراى نفسه ، بعد ذلك ، مع كثير من النطوير ، واذا كان قد امكن جوفروى أن يرتاب فى صحة ذلك ، فقد بات دون جدال أكثر استعدادا لتقبل فكرة امكانية صنع ملح النوشادر فى مصر من السناج ، وبدون أن يضاف اليه الملح البحرى .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد تحدث رجاله آخرون عن هذه الصناعة ، وان كان الأمر قد تم بطريقة مبالغ فيها لحد لا يجعلنا نشير اليها هنا ، اما أولئك الذين استطاعوا حسب معلوماتنا أن يقدموا أفكارا نافعة فهم هؤلاء الذين اثرنا اليهم ، ولكن البيانات والأوصاف التى تركوها لنا قد جاءت ، كلها لسوء الحظ ، غير كاملة ، بل اننا نجدها فى بعض الاحيان تتناقض بعضها مع بعض ، بحيث سيكون من المستحيل علينا عند مقارنة كل ما كتبوه ان نكون فكرة دقيقة عن الأسلوب المتبع فى صنع ملح النوشادر ، ولهذا السبب فقد عزمنا أن نقدم عنه هنا كل التفاصيل ، وبالطريقة التى تابعها كثيرون من رجال الحملة اثناء التنفيذ ، ولقد تحرر الوصف الذى سنشرع فى قراءته طبقا لمعلومات جمعها هؤلاء الرجال ، وبصفة خاصة تبعا لما قدمه لنا من معلومات ، المرحوم الميسو لوروج Lerouge الذى كان قد تابع كل المراحل بكثير من الانتباه والمثابرة ، بل انه قد شرع بالفعل فى القيام ببعض البحوث لتأسيس نظرية عن تكوين وتركيب ملح النوشادر لكن النية قد عاجلته فى جأحة عام ١٨٠١ قبل أن يتمكن من اتمامها ، فلم يستطع أحد الاستفادة بمعلومات ذات شأن كبير من التجارب التى أجراها .

وينتج من العرض الذى انتهينا من تقديمه ان الرحالة المتأخرين الذين ذكرناهم قد برهنوا بدرجة كافية على صحة افتراضات لومير المتعلقة باستخدام السناج دون اختلاطه بأى عنصر آخر ، وقد يكون من التزيد أن ندعم ذلك مرة أخرى بشهادتنا نحن الخاصة ، ولا بد لنا أن نستنتج من هذه الممارسة أن السناج يحوى ملح النوشادر كاملا وأن المصريين لا يفعلون سوى أن يستخلصوه عن طريق التصعيد ، وقد أدت التجارب المختلفة التى أجريت على هذا الموضوع الى نفس النتائج ، وترتبط هذه الخاصية التى للسناج ، كما لاحظ بحق كل من لومير والأب سيكار ، بطبيعة المواد المحترقة التى أنتجته ، وعلى هذا ، فان علينا أن نبدا بحثنا بدراسة الوقود .

عن مواد الوقود المستخدمة فى مصر

يكاد يقتصر المصريون فى استعمال مواقدهم على روث الماشية ، وقد ارغمتهم على ذلك بلا شك ، ومنذ زمان طويل ، ندره الاخشاب ، والغنية المطلقة لآى وقود معدنى ،بالاضافة الى ان لجوءهم لهذا النوع من الوقود لن تترتب عليه هناك نفس المساوىء التى يمكن أن تنجم عنه فى بلد أقل خصوبة ، اذ قلما يشعر الناس هناك بالحاجة لاستخدام الاسمدة ، وفضلا عن ذلك فان الاسمدة الوحيدة التى قد يستخدمونها هناك ، وهى الأتربة ، بعد غريبتها من الانتقاض ، وكذلك زبل الحمام . وفيرة للغاية لحد لا يكون معة ثمة محل للاسف على السماد الذى كان يمتدور الماشية ان تهينه (لو لم يستعمل وقودا) ، ويلقى روث الماشية هناك كل الاهتمام ، كما يقتصر استخدامه على توفير الوقود .

ولكى يصبح هذا الروث صالحا للاستعمال ، فانه يهرس فى البداية ويعجن لاعطائه قوام عجينة رخوة . فاذا كانت حالة الروث شديدة الصلابة ، فانها ترطب بشئ من الماء ، اما اذا كانت بالغة السيولة فيضاف اليها القش المهروس (التبن) . وحيث تتم هذه العملية على الأرض فان هذا الوقود يختلط ببعض الأتربة ، وبعد ذلك تشكل منه كتل (اقراص) تلتصق بحائط مبنى باللبن عادة ومعرض لأشعة الشمس . وهناك تلتصق الاقراص وتكتسب شكلا مسطحا آخذة هيئة رغيف يتراوح اتساع سطحه تبعا لكمية مادة الروث المستخدمة فى صنعه ، وحين تجف هذه الاقراص تنتزع لتوضع فى مخزن ، وتحمل هذه السلعة التى يعهد باعدادها الى النسوة والاطفال اسم « الجلة » ، وثمانها بالغ الانخفاض ، اذ تساوى مائة القرص منها ، فى سمك واتساع كف اليد ، ثلاثة مدينى على أكثر تقدير ، أى ١/١٠ الفرنك ، ومع ذلك فهى تعد غالية لحد لا تقدر معه على استخدامها كل طبقات السكان ، ولذلك يسعون لتخفيض ثمنها بأن يضيفوا اليها عند اعدادها كمية كبيرة من الأتربة والطين ، وتتشكل من هذا الخليط اقراص فى سمك القبضتين ، يجففونها فى الشمس ، وتحترق هذه على نحو طيب ، على طريقة الخث (✻) ، مع تاكلها شيئا فشيئا منتجة حرارة متساوية للغاية ، ويطلق على هذه اسم قرص (اقراص) .

(✻) الخث أو الترمب (بتشديد وضم التاء) تراب عضوى قابل للاشتعال ، يتكون من التحال البطيء لبعض النباتات الطحلبية .
(المترجم)

وبالإضافة الى هذين النوعين من الوقود ، وهما مكلفان لحد يفوق قدرة بعض المنشآت (أو المصانع) ، يستخدم وقودا كذلك كناسسة الشوارع ، والقش ، والعظام ، والريش ، والبراز من كل نوع ، بعد أن تجففه حرارة الشمس . وهو يوجد فوق اكوام الزبالة والانقاض التى تحيط بالمدن ويفصله الناس عن التراب بواسطة الغربال ، وعن طريق هذه المواد ، بصفة خاصة ، وهى التى تظل محتفظة بقدر كبير من الطين ، كما انها مشبعة بالملح البحرى (١) ، تتم تدفئة الحمامات العمومية .

أما الوقود النبانى الذى لا ينتج عن احتراقه السناج فيقتصر استخدامه على بعض المصانع ، مثل القمائن وأفران الفخار وأفران الزجاج ، حيث لا يحترق سوى قش وسيقان الذرة وغاب البوص ، وكذلك تستخدم «الجلة» فى المخابز .

ولابد لأصناف الوقود الثلاثة الأول التى اشرنا اليها فى البداية أن تنتج بالضرورة الكثير من النوشادر أثناء احتراقها ، اذ هى تحتوى على كمية كبيرة من المادة الحيوانية ، كذلك لابد لهذا العنصر ، لكى يكون ملح النوشادر ، أن يتحد بحمض الموريات ، ولا يستطيع المرء أن يعتقد أن لهذا الحمض من أصل سوى موريات الصودا الموجودة فى المواد التى يتم احتراقها . وتحتوى مواد الوقود هذه ، التى التقتت من الشوارع ومن اكوام الانقاض كمية كبيرة منها ، كما أن وجودها داخل برار المشية فى مصر هو واحدة من الوقائع المموسة بشكل مؤكد ، بينته بجلاء تجارب المسيو لوروج ، الذى وجد بها كذلك السلفات والأملاح المرة وان كان —هو— لم يحدد لنا طبيعة هذه الأملاح الأخيرة .

ومن السهل تفسير انبعاث موريات الصودا فى الأفران التى تحترق فيها الأقراص (روث المشية المختلط بالطين) أو زبالة المدن ، فحيث تحتوى هذه الأنواع من الوقود على كثير من الطين المختلط بالملح البحرى (ملح الطعما) ، فان كل الشروط اللازمة لتكوين هذه المادة الأخيرة توجد مجتمعة ، ولكن عندما يقتصر الاستعمال على « الجلة » ، فان كمية

(١) تحتوى اتربة الشوارع على نسبة مئوية كبيرة من حجبها من الملح البحرى .

الطين الموجودة بها تبدو فى حجم لا يكون بمقدورها معه ان تتعامل بطريقة فعالة مع موريات الصودا ، أما هذا العنصر الأخير فلا بد له من ان يتحلل عن طريق الأملاح الأخرى التى يوجد مختلطا بها فى المواد البرازية ، ويمكن للمرء ان يرى كذلك ان موريات طينية تتكون فى أثناء عملية الهضم وانها تتحلل بعد ذلك بفعل حرارة الاحتراق ، بل ان كمية ضئيلة من موريات النوشادر توجد متكونة بالفعل فى البراز ، لكن تأثير هذين السببين الآخرين بالغ الضعف بشكل مؤكد ، بالمقارنة بالتأثير الذى يمكن ان يحدثه النسبب الأول الذى اشرنا اليه .

وزيادة على ذلك ، فهما تكن مدة وسبب تحلل الملح البحرى ، فان ملاحظة من المسيو شبتال Chaptal تبعد كل شك فى ان السناج الناتج عن احتراق براز الحيوانات يدين بخاصيته تلك الى وجود هذه المادة الملحية فى طعامها ، لاحتواء هذا الطعام على موريات النوشادر ، فقد أوضح هذا الكيميائى الشهير فى كيميائه التى طبقها فى مجال الصناعة (الجزء الرابع ، ص ١٣٧) « انه قد استخلص ملح النوشادر من السناج الناتج عن احتراق روث العجول والخيول البرية التى تعيش فى سهول لاكاماراج ولاكرو (*) » الشاسعة ، وعلى حواف العديد من برك ومستنقعات البحر الأبيض المتوسط ، ومع ذلك ، فحيث تفضل هذه الحيوانات النباتات حلوة المذاق على الأعشاب الملحية ، وحيث هى لا تتغذى على الأخيرة الا خلال الشتاء ، فان برازها لا يعطى ملح النشادر الا أثناء هذا الفصل «

وتعطى هذه الواقعة قيمة كبيرة لراى هاسلكيست Hasselquist الذى لم يؤسسه الا على وجود مذاق ملحي فى انواع عديدة من النباتات التى يغذى بها المصريون مواشيههم ، وتتطلب منا ملاحظته تلك ، والتى تبدو متنافرة مع حدوث الفيضانات السنوية لنهر النيل ، ان ندخل فى بعض التفاصيل كي نتبين كيف ان النسبة الغالبة من خضروات مصر لا بد لها فى الواقع ان تحوى من الملح البحرى أكثر مما يمكن ان تحويه الخضروات التى تنمو فى اجوائنا ؛ فحيث ان الارض فى المناطق المطيرة فى أوروبا تغسلها على الدوام مياه

(*) لاكاماراج ، جزيرة تكونها دلتا نهر الرون ، وهى مراعى للخيول والعجول البرية ، أما لاكرو فسهل رملى قاحل من سهول الرون ، ويفص بالحصى . (المترجم)

الأمطار النقية فانها لاتستطيع أن تحوى من المواد الملحية الا ماتجلبها اليها
الأسمدة ، لذلك فلا يمكن أن تكون نسبة هذه الأملاح (بأراضينا) كبيرة ،
وعلى العكس من ذلك ما يحدث فى مصر ، التى لاتكاد تسقط عليها مطلقا
أمطار السماء ، وحيث أن التربة (المصرية) تنحصر داخل صخرة من الحجر
الجبرى ، فانها تحوى فى طياتها الكثير من موريات الصودا ، وتظل
مشبعة بالملح حتى أنه يكفى الا يروى حقل ما لعدة سنوات ، ليصبح غير
قادر على استنبات المحاصيل المفيدة مالم تغسل مياه النيل تربته — بمعنى
كلمة يغسل — قبل زراعته ، أما الأراضى التى تمكث بها مياه النيل لمدة
طويلة ، فهى الوحيدة التى قد تكون خالية من الأملاح ، ومع هذا فجزء
ضئيل فقط من سطح مصر هو الذى تنطبق عليه هذه الحال ، ذلك أن المساحة
الأكبر (من أرض مصر) لاتحصل على حاجتها من الماء الا عن طريق الرى
(الصناعى) ، والذى يتم بالنسبة لمعظمها عن طريق مياه الآبار ، التى تحفر
فى الأرياف لهذا الغرض ، ولا تعطى هذه الآبار سوى مياه تتفاوت درجة
ملوحتها تبعاً لمدى بعدها عن النهر الذى تحصل منه على مياهها من خلال
مسام الأرض الخضراء ، وحين تتشرب النباتات كميات من هذه المياه فانها
تتشرب معها نتيجة لذلك كمية لابأس بها من الملح البحرى . أما النباتات التى
تنمو على شواطئ البحر ، او فى المناطق التى لاتغمرها مياه النيل ،
فتمتوى بالضرورة على كمية أكبر من الملح ، ولابد أن هاسلكيست قد وجد
المذاق المالحى (الذى لاحظته) فى هذه النباتات بصفة خاصة ، إذ أننا
نلاحظ أن الخضروات التى تغطى الحقول لها مذاق من نوع خاص .

وبالإضافة الى ذلك ، فلا بد للمرء أن يلاحظ أنه ليس من الضرورى أن
تحتوى النباتات على الكثير من موريات الصودا حتى يصبح بالامكان تفسير
تكون ملح النوشادر ، ذلك أن كمية السناج (الناتج عن الاحتراق) تعد
ضئيلة للغاية بالنسبة الى كمية الأطعمة التى تغذت عليها الماشية ، بحيث
يكفى أن تحوى هذه الأطعمة نسبة جد ضئيلة من الملح حتى يكون بمقدورها
أن تهيب حمض الموريات اللازم لتكوين ملح النوشادر ، وهو الملح الذى
نتنتجه مصر بوفرة ، حيث يمكن القول بأن هذا الاقليم الفسيح ، ليس سوى
معمل واحد (لانتاج هذا الملح) ، تتم العمليات التحضيرية لتكوينه داخل
كل البيوت الخاصة .

ونستنتج مما سبق القول كيف يمكن اختلاف طعام الماشية أن يعطى فروقا فى قيمة السناج الناتج عن برازها ، ولهذا السبب دون شك فإن براز بعض الحيوانات يمضى ليعطى سناجا أكثر غنى (بملح النوشادر) ، وهكذا ، وطبقا لمعلومات قام بجمعها المسيو لوروج ، واستقناها من صناع ملح النوشادر ، فلا بد — فى هذا الصدد — أن نضع براز الجاموس فى المقام الأول ، تليه بعرات الخراف والماعز ثم براز الانسان ، وبعد ذلك تاتى بعرات الجمل ، وتأتى فى المقام الأخير بعرات الخيل والحمير ، وأن كان الأرجح الا يكون هذا الترتيب قد تم على أساس اية تجربة موضوعية، كما أنه سيتغير ولا بد تبعا لنوع الأطعمة ، ولهذا فائنا لانورده هنا الا لكى لانكون قد استبعدنا شيئا مما يتصل بالصناعة التى عنينا بها .

عن السناج (١)

تكاد تكون كل مساكن الفلاحين عبارة عن بيوت مبنية من الطين ، قليلة الارتفاع وليس لها من منفذ لتسريب الدخان سوى الباب ، ولذلك بثبت فوق كل الأوجه الداخلية لجدران المساكن ، ومع ذلك ، فحيث أن ملح النوشادر أقل قابلية للتبخر (للتبدد فى الهواء) عن الأجزاء الداكنة ، فإن من الطبيعى أن نجد أن السناج الأقرب (الأدنى) هو أكثرها ثراء (بملح النوشادر) .

ويجمع السناج عادة مرة واحدة كل ثلاث سنوات من مساكن الأفراد، إما فى الأماكن التى توقد فيها النار بشكل اعتيادى ، مثل المخابز والحمامات العمومية ، فتجمع هذه المادة من هناك مرة كل عام، ويجوب رجال يرسلون من قبل ملاك مصانع التصعيد قرى مصر ليشتروا من الفلاحين حق السماح لهم بجمع السناج من مساكنهم، وهم لا يأخذونه مطلقا بالوزن ، ولكنهم يحكمون بنظرة خاطفة مقدار كمية السناج التى يمكنهم أن يستخلصوها ، فإذا كان السناج ذا قيمة ضئيلة ، كما فى مصر العليا، فإنهم يقدمون فى مقابله الصابون والابر وأشياء أخرى ماثلة ، أما فى مصر السفلى (حيث السناج أكثر قيمة) فيدفعون ثمنه نقدا .

(١) الهباب (والكلمة الموضحة هنا وردت بحروفها العربية واللاتينية فى الأصل الفرنسى — المترجم) .

ويستخدم هؤلاء لجمع السناج من القباب الوطئية ، أو من فوق الجدران ، مكاشط حديدية صغيرة ، لها أياذ طويلة ، يجرفونه بواسطتها لكي يفصلوا الوسف (القشرة) الذى يلتحم به بقوة ، مما يؤدي الى تجريف كثير من الطين ، اما فى مصر العليا ، حيث لا يصنع السناج لنفسه وسفا ، فيكتفون بازالتة بواسطة مقشاة ويجمعونه فى قطعة قماش تبسط فوق الأرض .

وتختلف صنوف السناج فيما بينها سواء فى اللون أو الوزن أو المذاق ، بقدر ما تختلف فى درجة الجودة أى فى حجم كمية ملح النوشادر التى يحوىها ، فبعض أنواع هذا السناج تدخل فى عداد مالا يحوى ملح النوشادر البتة ، رغم صدوره عن مواد حيوانية ، وهذه الأنواع فيما يؤكد البعض تسمية للغاية ، أما أفضل أنواع السناج فهو ما يأتى من مصر السفلى وبخاصة من منوف وضواحيها الواقعة على فرع رشيد وكذلك من المنصورة والأماكن المحيطة بها على فرع دمياط . وهذه الأنواع من السناج تضرب الى الصهبة كما أنها ثقيلة الوزن وتحتوى على كمية ضئيلة من الطين ، وهى أقرب شبةا بالطين الدخن منها بسناج حقيقى ، ومذاقها لاذع للغاية ، ويلمح المرء فيها بسهولة ، وبخاصة فى المتنافيس منها خيوطا صغيرة من ملح النوشادر ، وتوفر هذه الأنواع كمية كبيرة من هذا الملح من صنف بالغ الجودة اذا ما اديرى عملية التصعيد على نحو طيب .

عن عملية التصعيد

يتم تصعيد ملح النوشادر فى قنينات زجاجية ملطخة بالطين حتى يضع سنتيمترات من فتحتها ، وحيث أن المساحة (من جسم القنينة) التى تركت للملاحظة يبردها الهواء بصفة دائمة فانها تبطن من الداخل بملح النوشادر ما ان يتم تصاعد الأخير بفعل الحرارة ، من السناج الذى يملأ اتساع القنينة ، وسنعرض تباعا لكل تفاصيل هذا العمل فى الفقرات التالية :

عن القنينات وكيفية صنعها

تصنع القنينات التى تستخدم (فى صناعتنا هذه) من زجاج أسود اللون ، بالغ الرداءة ، وان كان كافيا للاستعمال المخصصة هى من أجله .

ومنذ البداية ، أدى انخفاض ثمن النطرون ، بالإضافة الى وفرته ، الى تفضيل الزجاج على أية مادة أخرى فى صنع آنية التصعيد ، وقد حالت هذه الأسباب ، مع ندرة الوقود ، دون أن يحصل فن صناعة الزجاجات على تحسينات كبيرة ، ولهذا فان منتجاته ، حتى تلك المخصصة منها لاستعمالات الحياة العادية ، هى من نوع بالغ الرداءة ، بل ان القنينات المستخدمة فى المصانع التى تعيننا هنا ، أدنى من هذه بكثير ، كما أن هشاشة هذه الآنية قد تجل من نقلها عملية بالغة الصعوبة ان لم نقل مستحيلة ، ولهذا السبب يضطر أصحاب مصانع ملح النوشادر لتصنيعها فى مصانعهم الخاصة ، وان كان هذا الأمر لا يتسبب لا فى انفاقات كبيرة ولا فى حدوث الكثير من المضايقات . وتكفى مساحة مربعة الشكل ، يبلغ طول ضلعها نحو المترين كمكان لاقامة فرن الزجاجات (١) . وتحيط به أربعة جدران رئيسية سمك كل منها ثلاثة ديسمترات ، ويبلغ ارتفاعها نحو المترين ، وتتلاقى عند نهاياتها بقبة تتغل فرن الانصهار وأتون التحمية أو الانضاج .

ويشغل فرن الانصهار نحو ثلثى الارتفاع الكلى للمبنى ، أما الثلث الباقى فيضم فرن التحمية أو الانضاج ، ويشتمل الأول على موقد وحوض توضع فيه مباشرة المواد المراد صهرها ، وينفصل الموقد الذى يمتد بطول الفرن كله فى اتجاه ، وبطول ثلثه فى الاتجاه الآخر ، عن الحوض عن طريق حائط طوله متر ولا يعلو فوق سطح أرض الحوض الا ببضعة سنتيمترات ، فى حين يقوم الحوض فوق مصطبة مبنية تعلو فوق سطح أرضية المصنع بنحو ٨ الى ٩ سنتيمترات .

وتغطى فرن الانصهار قبة تستخدم فى الوقت نفسه أرضية لفرن التحمية ، وتعكس هذه القبة (أو تشع) الى الحوض لهيب الوقود ، الذى

(١) انظر الأشكال ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من اللوحة الثانية من الفنون والحرف ، وكذلك شرح هذه اللوحة .

يتكون عادة من سيقان الذرة وغاب البوص ، وتدخل نسبة من اللهب كذلك الى فرن التحمية عن طريق فتحة عملت فى منتصف القبة التى انتهينا من الحديث عنها .

اما المادة التى تصنع منها القنينات ، فهى خليط من النطرون مع مسحوق رملى تم اعداده تماما من قبل ، ويحصل عليه من مصانع الزجاج العادية . ويوضع هذا المسحوق الرملى على هيئة طبقات قليلة السمك داخل الحوض ، وتضاف اليها بعد ذلك كمية كبيرة من النطرون ، وذلك للاسراع بانصهارها .

ولكى يتم صنع قنينة ، يقوم العامل بانتزاع المادة اللازمة لهذا الغرض بواسطة عصاه ، وبعد ان يصل بهذه القطعة المنتزعة الى قطر يبلغ نحو ٢٤ الى ٢٧ سم فى الوقت الذى يظل هو يحتفظ بها داخل فرن الانصهار ، ينتهى بها الى فرن التحمية او الانضاج لتظل وسط النيران التى تتوغل الى داخل الفرن الاخير عن طريق الفتحة التى تم احداثها فى منتصف القبة السفلية ، وعندما تبلغ القنينة قطرا يبلغ ٤٠ الى ٤٥ سم يضعها العامل فوق الرمل الذى يغطى ارضية فرن او اتون التحمية، ثم يطرى العامل رقبة القنينة وبعد ذلك ، وبطريقة خفيفة فوق عصاه ، يفصل القنينة (عن العصا) ، ويحرص العامل دوما على ان يبلغ طول رقبة القنينة من ٤ الى ٥ سم وقطرها من ٤ الى ٧ . وتستغرق هذه العملية بكل مراحلها نحو خمس الى ست دقائق .

وحيث لايستطيع فرن التحمية ان يضم سوى اثنتين او ثلاث قنينات ، فان الواحدة من هذه الآتية لا يمكنها ان تمكث فى هذا الفرن لاكثر من ١٠ ١٥ دقيقة ، تجر بعدها بواسطة محجن حديدى الى خارج الفرن ، عن طريق فتحة تتسع للحذ الكافى عملت فى أحد جوانبه ، ولا يتم ابعاد هذه الآتية عن النار الا بشكل تدريجى مع تمريرها فوق حاجز يقع قريبا من النار ، لكنه لا يتلقى الحرارة الا عن طريق الفتحة المطلة على ممر القنينات .

وتتمك كل طريحة اربعيا وعشرين ساعة ، اى ان المادة لكى

تنصهر تستغرق اثنتى عشرة ساعة ، ثم تستغرق عملية نفخها بعد ذلك نفس المدة .

ونائج هذا العمل هو ماينبغى ان نتوقعه من عمل يتم انتاجه بادوات غير متطورة ، وعلى يد عمال قليلى المهارة ، ويأتى سمك القنينات غير متساو بدرجة كبيرة ، وهى كلها على وجه التقريب مشروخة بسبب تبريدها الذى يتم بشكل شبه فجائى ، وليس من النادر أن نرى قنينات بأكملها تسقط من تلقاء نفسها مفتتة ، بل قد يتم ذلك وهى ما تزال بعد فوق الحاجز ، ويقدر عدد مايتحطم منها بنحو العشر ، سواء اثناء عملية الصنع أو فى أثناء نقلها الى خارج المصنع أو كذلك عند دهكها بالطين ، وتجمع بعناية كل هذه الشقوق . لتضاف الى شقوق القنينات التى تم استعمالها ويلقى الجميع فى فرن الانصهار .

ولا تعود هذه القنينات على الصانع بعد دهكها بالطين بشكل تام الا بـ ١٠ الى ١٥ مدينى أى بنحو ٣٥ أو ٥٠ سنتيها ، اذ تساوى كل ٥ فرنكات ١٤٢ مدينى .

عن تلطيخ القنينات بالطين

لكى يتم استخدام هذه القنينات ، لابد ان تلطيخ بطبقة سميكة من الطين ، ويؤخذ هذا الطين من أرض مزروعة ، ويعجن فى حفرة ثم تضاف اليه كمية كبيرة من سيقان الكتان المهروسة بعد تخليلها من الجزء الأكبر من مشاقة الكتان التى تظل عالقة بها والتى تكون بمثابة عائق فى العملية التى نحن بصدها .

ويتم هذا الطلاء أربع مرات ، ولكى يتم حدوثه ، يؤتى بالقنينة أولا الى حافة الحفرة ، وتوضع بحيث تكون مفتحتها الى أسفل وفوق طبقة من الرماد المحمى ، عملت فى وسطه فجوة تكفى لاستقبال رقبة القنينة ، ويمر العامل فى البداية بقاع القنينة الذى يكون هو الأعلى ، بالاضافة الى أنه أقل أجزاء القنينة سمكا ، ليضع فوقه طبقة من الطين يصل سمكها الى نحو ١١ الى ١٢ مم ، ويتم ذلك دون تناسق ، وبعد هذا ترفع القنينة وتوضع فوق الأرض فى نفس الموقع حتى تجف فيه ،

الشمس ، وعندما يصبح الطين جافا بشكل جيد ، تحمل القنينة مرة أخرى لتكون قريبة من حفرة الطين وذلك لطلاء الجزء العلوى ، وتوضع فى هذه الحالة فوق قاعها وبذلك تكون رقبتها الى أعلى ، ويغطى بالطين كل الجزء الذى يبقى مكشوفنا بعد العملية الاولى فيما عدا رأس كرة يبلغ طول قطرها ١٩ الى ٢٠ سم ، بحيث تكون الرقبة هى المركز ، ولابد أن يظل رأس الكرة هذا عاريا (أى غير ملطخ بالطين) ، وعندما يجف هذا الجزء الجديد من الجلاء الطينى ، تؤخذ القنينة مرة تالفة ثم رابعة لتحصل على طبقة ثانية من الطين ، تثبت بها بالطريقة السابقة نفسها ، وتستغرق كل خطوة نحو دقيقتين الى ثلاث دقائق .

وعندما يتم طلاء القنينات ، فانها تصبح متينة ، ويمكن الاحتفاظ بها فى المخزن لوقت طويل على هيئة اكوام ، تتكون كل كومة منها من ثلاثة صفوف ، واذا ماحدث حادث طفيف ، كأن تثقب أو تتحطم رقبتها ، فإن القنينة لاتعد تالفة لهذا السبب ، بل يعالج الأمر بأن توضع على الثقب قطعة من الزجاج تغطى بالطين ، فاذا حدث هذا الثقب فى رأس الكرة (غير المطفى) فيكتفى بلصق شتفة من الزجاج اكبر قليلا من الثقب المشار اليه عندما توضع القنينة فى الفرن ، وحين تتكاثف الاجزاء الاولى من ملج النوشادر ، فسرعان ماتثبت هذه الشتفة على النحو المطلوب .

ملء القنينات

لا يتطلب ملء القنينات اتخاذ أى احتياطات خاصة ، وانما يكتفى بتنظيف نصف الكرة العلوى بعناية تم ندخل السناج الى القنينة بعد ذلك ، ولا يترك بها من فراغ الا مايكفى لتكون لب الملاح الذى لابد ان يملأ القنينة حتى أسفل الرقبة بنحو اربعة سنتيمترات عندما يستخدم السناج الغنى بالملاح ، ولاقل من ذلك قليلا عندما يكون السناج اقل ثراء به ، وفى الحالة الأخيرة يقل كذلك اتساع نصف الكرة الذى لايطلى بالطين .

ويهبز العامل القنينة عند ملئها بحرص وذلك لضغط السناج ، ولكى يتكون له فى جزئه العلوى سطح أفقى مستو .

وبعد ان تملأ القنينات على هذا النحو ، توضع بعد ذلك فى الفرن ، الذى نقدم فيها الى وصفا له :

(وصف مصر — م ٢٠)

عن قرن التصعيد

يتكون هذا القرن من أربعة جدران رئيسية يبلغ سمك الواحد منها ستة ديسيمترات ، تترك بينها فراغا مربع الشكل يبلغ طول ضلعه نحو المترين . ويبلغ ارتفاع هذه الجدران نحو ١٣ ديسيمترا فوق أرضية المصنع ، ومع ذلك فحيث أنها تبنى حول حفرة يبلغ عمقها سبعة ديسيمترات فإن ارتفاعها الفعلى يبلغ فى مجمله المترين على وجه التقريب ، وهناك باب يقع عند الواجهة الأمامية ، ويستخدم لادخال الهواء والوقود ولاخراج الرماد .

وفى العادة ، فإن جدارى الجانبين لايحتفظان بكل ستمكهما ، بل هما يرتقان بشكل تدريجى مع ارتفاعهما ، فى حين تظل الواجهات الخارجية على نفس حالها ، فى وضعها الرأسى بطريقة يصبح معها القرن ، من داخله ، وفى جزئه العلوى ، فى شكل متوازى أضلاع يبلغ طوله (فى اتجاه) من ٢٨ الى ٢٩ سم ، ويبلغ عرضه (فى الاتجاه الآخر) ٢٠ سم .

وتتكىء على الجدارين الجانبين ثلاث تقويسات ترتفع فى شكل عقد كامل ، ويبلغ سمك الواحدة منها نحو ٢٢ سم ، وتبنى موازية للجدران الأمامية والخلفية ، وهى تقسم نصف القرن الى أربعة مقاطع متساوية تظل فارغة ، ويحمل ظاهر هذه التقويسات جدارا صغيرا ، له السبك نفسه ، ويمتد بشكل أفقى الى نحو أربعة ديسيمترات تحت القبة العليا للجدران الأساسية ، ويشكل الجدران الأمامى والخلفى ، ولهما نفس الارتفاع ، تراجعاً الى داخل القرن ، وتخصص هذه التقويسات مع جدارى التراجع دعائم للقنينات عند المقاطع الفارغة والتى تحصل عن طريق هذه المقاطع الفارغة نفسها على تأثير حرارة النيران ، أما البروز الذى يتجاوز الأربعة ديسيمترات فى ارتفاع الجدران الرئيسية فوق التقويسات فيشكل سنورا يحيط بكل القنينات الموضوعة فوق القرن (١) .

ويصنع كل هذا البنى من طوب يلتصق ببعضه البعض بفعل طين عادى ، معجون بالماء ، ومخاط بنسبة تقرب نحو الربع من حجمه ، بالمح البحرى (٢) .

(١) انظر الأشكال ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ من اللوحة الثانية من الفنون والحرف ، مع شرحها .

(٢) تعد إضافة الملح البحرى الى « المونة » ممارسة شائعة فى مصر وهو أمر لم نستطع الوقوف على تقدير فوائده .

ولكل مصنع فى العادة بضعة أفران من هذا النوع ، وهى ببنى فى صف واحد أو فى صفين ، حسبما يسمح بذلك المحل ، وتضم هذه الأفران فواصل مشتركة ، لتتفل المبنى كله بعد ذلك سقيفة كبيرة ، تغطيها فى معظم الأحيان سقف النخيل .

صف القنينات فوق الفرن

توضع فوق كل فرن ، بصفة عامة ، أربع وعشرون قنينة ، بحيث يتكون كل صف من ست قنينات ، وتوضع هذه متقاربة مع بعضها البعض تقريبا شديدا ، ولكن دون أن تتلامس ، ويحرص العامل كذلك على ابتعادها عن الجدران ، وعن التقويسات التى تسندها ، وذلك بوضع قطع من الرماد المتماسك فيما بينها .

وبعد أن توضع القنينات ، تملأ الفراغات التى تتركها فيما بينها ، أنصافها العلوية . بقطع كبيرة من الرماد ، تغطي بقطع أقل حجما ، لينتهى الأمر بوضع طبقة من الرماد الناعم تعلو لتبلغ قاعدة رقبة القنينة ، كذلك يراعى أحداث فتحة يبلغ قطرها نحو الديسمتر ، فى كل واحدة من الزوايا الأربع للفرن ، تستخدم كمدخنة .

وتستغرق هذه العملية ، بدءا من ملء القنينات ، حتى اشعال النيران ، نهارا بأكمله .

تشغيل النيران

عندما يتم اعداد كل شئ ، على النحو الذى انتهينا من بيانه ، تلقى فى الفرن — وهو لا يضم أسياخا ولا مرمدة (مكان لاختران الرماد) — كمية من الأقراص تكفى للملء مايقرب من نصف سعته ، وبعد ذلك توقد النار فى الجزء المجاور للباب ، ويمتد الاشتعال ببطء ليشمل كل المساحة ، ثم يتوغل تدريجيا حتى يبلغ القاع ، وعندما تشتمل كل الكتلة ، يقفل الباب بشكل بكاد يكون تاما ، ويلاحظ أنه قد بدء فى سده بالطين قبل أن يدخلوا اليه الوقود ، وبهذه الطريقة لاتنتج سوى نار ضعيفة للغاية ، تتوغل فى بطء فى الآنية التى يتم تصعيد (مابها من سباج) ، ولا

ينزع هذا السد الطينى لباب الفرن الا عندما تصبح من الضرورى زيادة النيران ، وحينئذ يضيفون حسب الحاجة وقودا جديدا .

ولا توقد النار فى الفرن الا عند بداية الليل ، وحيث تستغرق عملية التصعيد ستين ساعة فانها لا تبلغ نهايتها ، على هذا النحو ، الا قرب صباح اليوم الثالث ، وعندئذ يتم استخداج لباب الملح فى النهار ، وهذا انسب عما لو اضطروا لفعل ذلك خلال الليل .

ولا تبدأ الحرارة فى الارتفاع قليلا الا قرب نهاية الليلة الاولى ، وفى هذه الفترة تصاعد من القنينات كمية هائلة من الأبخرة الرطبة والقاتمة ، مختلطة بكربونات النوشادر ، ولا يستطيع أى امرىء أن يظل للحظات فوق الفرن الا بشق الأنفس ، وبرغم ذلك نجد عاملا عليه أن يصعد كي يحطم قشرة ملح البارود ، التى تتكون على السطح العلوى للسناج ، وأحيانا قريبا من منشأ رقبة القنينة ، اذ قد تؤدي هذه القشرة ، باغلاقها كل المنافذ على الأبخرة ، الى اغلاق كل المسارب ، مالم يحطمها العامل بمسبار حديدى ، عندما تزيد صلابتها لأكثر مما ينبغى .

وعند نحو منتصف نهار اليوم الأول ، يصبح دخان القنينات أبيض اللون ، كما يقل هذا الدخان بشكل محسوس ، برغم أن النيران تكون قد بلغت عندئذ أقصى درجة تتطلبها العملية ، وهنا يكون السناج قد تخلص من الرطوبة ومن الأجزاء الدهنية التى يحتوى عليها وتكشف أجزاء القنينات التى لم تطل بالطين والتى كان يغطيها الرماد حتى ذلك الوقت . وتؤدي البرودة التى تلامس أنصاف الكرات الى تكون جزء من الملح المتصاعد والى أن يتكثف ، وان كان جزء كبير منه يظل هائما فى الجو على شكل بخار أبيض ، وفى الحقيقة فان لباب الملح لا يبدأ فى التكوين الا بدءا من هذه اللحظة بعد أن تكون قشرة السناج قد تبخرت فى جزء كبير منها بفعل الحرارة بمجرد أن تكون هذه الحرارة قد اختزقت كتلتها .

وفى اليوم التالى ، عند الصباح ، يتحسس رئيس المصنع ما ان الملح قد اكتسب صلابته المطلوبة ، وذلك بأن يطرق فوق أنصاف الكرات بضربات خفيفة ، وفى حالة تماسك الملح تكسر رقاب القنينات ولكن بدون انتزاعها .

وعند مساء اليوم نفسه ، تفحص مرة أخرى حالة لباب الملح ، فإذا
وجده جيد التماسك ، فانه يكسر القنينات دون أن ينتزع قطع الزجاج
كذلك ، فإذا ما صدر عن القنينة صوت يفيد بأنها جوفاء ، ينتظر العامل
لبعض الوقت حتى يصدع الزجاج . وعلى الرغم من هذه الاحتياطات ، فكثيرا
ما يحدث أن تؤدي الأبخرة التي تتكون في منتصف كتلة السناج الى انحباس
مسارب الأبخرة تحت لباب الملح .

وقد لاحظ المسيو لوروج أن رائحة لحمض الكبريتيك تنبعث قوية
عندما تكسر القنينات .

وتنتهى عملية التصعيد عادة عند نحو صباح اليوم الثالث ، ومع
ذلك فإذا لوحظ — بعد أن يتم اخراج عدة لبابات — أنها ليست بالقدر
الكافى (من التماسك) فان العمال يبدأون عملية تسخين أخرى
لبضع ساعات ، مع اضافة الوقود .

وعندما يتبين أن العملية قد اكتملت بشكل تام ، يبدأ العمال فى
انتزاع ملح النوشادر ، ولكى يتم ذلك تحطم القنينة أسفل كتلة الملح
المصعدة مباشرة ، وتنتزع أنصاف الكرات بدون مساس بالجزء
الباقى ، ثم تلقى كمية من الماء البارد على أجزاء الزجاج التى تبقى
ملتصقة بلباب الملح لتتحول الى شظايا ثم تنتزع هذه بسهولة ، ولكى تستبعد
المواد السوداء التى تكون بمثابة وساخات عالقة بسطح الملح الأبيض يضطر
العمال أحيانا لاستخدام بلطة صغيرة ، معقوفة وحادة ، أما اذا كانت
درجة التصاقها قليلة ، فيكتفى بمسحها ، أما اذا كانت تشوب الملح بقع
صفراء أو سوداء فان العامل يزيلها بقليل من الماء أو اللعاب ، وإذا
حدث أن ظهرت بلباب الملح أجزاء أقل تماسكا ، فانه تضغط قبل أن
تبرد بضربات مطرقة .

ويزن لباب الملح الذى يستخرج من كل قنينة ، فى العادة ،
أربعة أو خمسة أرطال .

ويعتمد بهاء ملح النوشادر ، كما تبيننا نحن ذلك جيدا ، على صنف
السناج وطريقة تشغيل النيران ، وهم يصنفون الملح ، تبعا لدرجة
بياضه الى ثلاث درجات ، وأن كان الفرق بين هذه الدرجات الثلاث ليس قاطعا .

لحد يحول دون وجود تقديرات تعسفية ، وأكثر هذه الدرجات نصاعة ، وهو مايسمونه المكرر ، يستخرج من المواد التى تظل فى وسط القنينات عندما لا يكون التصعيد قد تم بشكل مطلق ، وهو ما يحدث كثيرا . أما المواد التى يطلقون عليها اسم هدارى — أو حدارى — أو تلك التى يسمونها اولاد ، تبعاً لما يذكر المسيو لوروج ، فهى كرات بالغة التماسك تتكون وسط الرواسب السوداء والقابلة للتفتت التى تملأ القنينات ، وهم يحرصون على انتزاعها مباشرة بعد استخراج الملح ، وتصب فوقها على الفور كمية ضئيلة من الماء البارد لايثاق الأبخرة الوفيرة لموريات النوشادر التى تصدر عنها ، ونادراً ما تستخلص هذه المادة نقية ، اذ هم يخلطونها فى العادة بنسبة الثلث مع سناج جديد ، ويعتقد العمال أن هذا الخليط يعطى كمية أكبر من الملح عما لو صعد هذين العنصرين منفصلين . وبإذابة المواد الملحية التى يحويها هذا الهدارى — أو الحدارى؟ — نحصل على سائل به نسبة عالية من الحديد ، ومن الممكن أن يؤدى خلط هذه الكرات بسناج جديد يحتوى على كربونات النوشادر الى تولد كمية أكبر من موريات النوشادر . ومع ذلك فمن غير المحتمل أن تكون هذه الزيادة محسوسة جيداً .

وتشتعل الرواسب القابلة للتفتت بمجرد ملامستها للهواء ، وهى تفقد لونها الاسود بفعل احتراق الكربون ، متخذة اللون الرمادى أو النحاسى الفاتح ، وترمى هذه المواد ولا يحتفظ الا بفئات الزجاج التى يمكن صهرها مرة أخرى ، وترمى معه الأجزاء التى تحملت أقصى درجات الحرارة لأنها تكون قد ذابت والتحمت بالطين .

ويعطى السناج فى المتوسط نحو ١/٨ وزنه من ملح النوشادر ، أما اذا أخذنا فى الاعتبار تلك الكمية الهائلة التى تذهب بددا فى الهواء خلال عملية التصعيد ، وهى كمية كبيرة لحد أنها تظل تملأ أجواء المصنع على الدوام خلال هذه العملية ، بدخان بالغ الكثافة يكفى لتحريك سعف النخيل الذى يشكل السقيفة ، وكذلك لتغطية الملابس برماد وفير من موريات النوشادر ، فلسوف نلمس بوضوح أنهم لا يحصلون الا على نسبة ضئيلة من الملح الذى يحويه السناج بالفعل . وبغسل السناج ، وتصعيد الرواسب التى تنتج عن تبخر هذا الغسل ، حصل المسيو لوروج ، فى تجربة قام

بها — للحقيقة — على نطاق ضيق ، على كمية من الملح تساوى نصف وزن السناج المغسول . ومن المحتمل نتيجة لذلك ، أن يصبح بالإمكان إحداث تغييرات مفيدة على الأساليب المتبعة فى مصر .

وتقع أهم مصانع الملح فى المنصورة وبولاق ، وقد تابعنا تفاصيل هذا العمل فى هذا الموقع الأخير .

وينتج مصنع المنصورة سنويا ، وبه ستة أفران ، نحو ٦٠ الى ٧٠ قنطارا ، وقبل الحرب كان يباع كل مائتى رطل — أى كل قنطار — فى مقابل ١٠٠ بوظقة من ذوات التسعين مدينى .

ويبلغ عدد العمال الذين يحصلون على أجور طيلة العام ستة عمال ، ويستخدم بالإضافة اليهم ، تبعا للحاجة من ١٥ الى ٢٠ عاملا يجوبون القرى لشراء وجمع السناج (١٠٠) .

(*) انظر الباب الثانى ، الفصل الثامن ، ص ٢٢٧ ، الزراعة والصناعات والحرف والتجارة من تأليف المسيو جيرار ، وهو المجلد الرابع من الترجمة العربية الكاملة لوصف مصر . « المترجم »

(٣)

صناعة ديدج الجلود

بوديه ،

« العنوان الأصلي للدراسة هو : دراسة موجزة عن تجهيز
الجلود في مصر ، تأليف بوديه ، كبير صيانة جيش مصر ، وعضو
المجمع المصري ، والحائز على وسام الشرف » .

من المعروف أن فن تجهيز الجلود يعود إلى عصور ضاربة في القدم، وأن الناس في كل مكان ، وحتى من قبل أن تخطر ببالهم فكرة غزل الكتان أو القطن أو القنب أو زغب الحيوانات لصنع المنسوجات منها ، قد استخدموا الجلود كأردية لهم وفي عدد لا حصر له من الاستخدامات الأخرى .

كذلك ، فنحن نعرف أن الناس منذ عصر موسى كانوا بالفعل يصبغون الجلود باللونين الأحمر والبنفسجي، كما نعرف أن مكتبة برجام (**) في عهد آل أو مينوس (**) Eumènes كانت تغص بالكتب المؤلفة عن جلود الرقوق ، ولابد أن نستنتج من ذلك أن الفن الذي يهتم بأعداد الجلود، كان في ذلك العصر متقدما لدرجة بدأ البحث معها عن النافع والمناسب منه .

ومع ذلك فمِنذ آلت مصر إلى أيدي المسلمين ، نكس هذا الفن إلى طور الطفولة ، حيث تضاعف في هذه الأيام إلى مجرد أساليب بدائية ظلت على قيد الحياة بفعل التقليد ، باعتبارها تراثا موروثا ، تنفذ بشكل رديء بالغ الخشونة ، وإن كانت هذه الصناعة مع ذلك تنهض على أسس نفس المبادئ والتي نعمل نحن على أساسها ، والتي طورتها أوربا ، وبالإمكان أن نتعرف على ذلك إذا القينا نظرة عابرة على أساليب المصريين وكذلك على أساليبنا (١) .

(*) مدينة ايطالية تقع في سهل لمباردي (المترجم) .

(**) وهم ملوك برجام وقد حكم أو مينوس الأول من ٢٦٣ إلى ٢٤١ ق.م. والثاني من ١٩٧ إلى ١٥٩ ق.م. وكان متحالفا مع الرومان (المترجم) .

(١) قد يكون بمقدورنا أن نظن أن هؤلاء الذين اخترعوا في الأصل أساليب فن الدباغة كانوا يعرفون ، قدر ما نعرف ، طبيعة جلد الحيوانات، كما كانوا يعرفون كذلك مثلما نعرف ، أن العصارة اللمفاوية التي يكون الجلد متشربا بها ، بخلاف الدم، تتكون من مادتين متميزتين لابد أن نستخلص (أو نستبعد) أحدهما ، وهي جيلاتينية صرف، أما الأخرى ، وهي نسيج ليفي غير قابل للذوبان في المياه ، فلا بد لها ، في نفس الوقت أن تحصل في جزء كبير منها على تغيير لتصبح كما نقول نحن شائطة ومنكمشة ومتهيجة ، لتتحد بعد ذلك بالمادة الدابغة .

فن الدباغة

يعنى دبغ الجلود عند المصريين ، كما يعنى عندنا ، أن نشبعها بعنصر يسمى tannin (*) ، وتوجد هذه فى النباتات الخضراء (وتسمى القابضة ، أى التى تجعل انسجة الجلد تنقبض ، فيقل الإفراز أو النزف) وباتحاد هذا العنصر مع الألياف التى تشكل نسيج الجلود ، فإنه يجعلها تتخذ حالة نصف هيلاتينية ، بحيث ينتج عن ذلك جسم جديد أشد صلابة ، وأكثر مرونة (غير قابل للكسر) وأقل قابلية لثغاف المياه منه ، كما يكاد يكون غير قابل للتلف .

وقبل أن ندبغ الجلود يقتضى الأمر أن نغسلها أولا ، ثم نكشطها ، أما لكى ننتج مناطق عليه فى أوربا اسم الجلود الكثيفة أو السمكية ، فلا بد أن نقوم بنفخها .

وفى مصر ، كما فى كل البلاد ، تعنى العملية الأولى (وهى الغسيل) أن نغمر الجلود وأن ننقعها وأن ندوسها وهى فى مياه جارفة ، وأن نجعلها ترشح وأن نبسطها فوق حامل ثم نغسلها مرة أخيرة حتى نتخلص تماما من وشلها (أو نضحها) ومن دمائها ، ومن الوساخات التى تراكمت عليها فى الزرائب أو فى المذبح حتى تصبح مثشعبة بالماء .

أما العملية الثانية ، وهى الكشط ، فتقتصر فى مصر على واحدة من خطوات عدة تلجأ إليها أوربا ، ويتم بمقتضاها وضع الجلود فى محلول الجير حتى يمكن انتزاع زغبها (أو شعرها) بسهولة ، وحتى يمكن للعامل أن يزيله ، بينما تكون الجلود معلقة على الحامل ، بواسطة سكين دائرية الشكل ، لكنها غير قاطعة .

وتكتفى أوربا بطريقة الكشط بالجير بالنسبة لجلود البقر والعجول ، وهى الجلود التى تخصص لتصبح جلودا خشنة ، ويكتفى بها فى مصر كذلك بالنسبة لجلود الجاموس والثيران ، ذلك أن المصريين كما هو معروف لايسعون أبدا لكى يصنعوا من جلود هذه الحيوانات جلودا سمكية أو كثيفة . أما فى أوربا ، حيث يرغب الناس فى مثل هذه الجلود ، وفى أحسن شكل

(*) وهى مادة قابضة تؤخذ من قشر البلوط أو العنفسه أو غيرها ومنها جاءت كلمات tanner و tanneur و tannée بمعنى دبغ ودابغ ونزل المادة الدابغة المخ (المترجم) .

ممکن ، فانهم يفضلون ، للوصول بالجلود الى هذه الدرجة من الجودة ، كشط جلود الحيوانات الكبيرة وذلك بعد أن يغمروها فى سوائل لاذعة مثل منتوع الشعر أو مصل اللبن أو عصير الدباغة أو فى الناتج المائى والحمضى لتقطير الفحم الحجرى والترب (**) أو فى ماء أذيب به بعض من حمض الكبريتيك ، أو بعد تعريضها لدرجة معينة من التخمر ، ويتم ذلك بطيها وقد رشت بالملح أو بدفنها فى الزباله والفضلات الحيوانية أو بحبسها فى قبو ، تتعرض وهى فى داخله لنسار ناتجة عن احتراق ثفل الدباغة تكون نصف جافة ونصف رطبة ، وتنتج درجة حرارة تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ ° وتحدث دخاناً مشبعاً بالبخار يخترق مسام الجلود ، ويتخللها ويجعل شعرها أقل التحاماً بها ، وذلك بدون أن يتلفها أو يؤثر فيها هى لأكثر مما ينبغى .

وعندما تتم عملية السمط (ازالة الشعر) بوحدة من هذه الطرق ، تغسل الجلود وتكشط (أى تزال اللحوم العالقة بها) ، وعندئذ ، وهذا هو ما يحدث فى مصر ، تصبح الجلود ، بكل أنواعها ، معدة للذبح ، فى حين نظل الجلود ، التى تخصصها أوربا لانتاج ما يسمى بالجلود الكثيفة أو السمكية ، فى حاجة لأن تمر بعملية ثالثة تسمى بعملية النفخ ، وتحدث هذه إما بواسطة الجير ، اذا كان الكشط قد تم بهذه الوسيلة (أى باستخدام محلول الجير) ، وإما بأية وسيلة من تلك التى اتبعت لتنفيذ عملية الكشط ، اذا يمتلك الدباغون فى هذه البلاد ، لهذا الغرض حفرات جير يسمونها المثلثة Pleins أو أحواضاً توضع بها المحاليل اللاذعة أو الحمضية ، تتنوع درجات قوتها (أو مفعولها) ، يمررون فيها على التوالى تلك الجلود الى أن تكتسب درجة الانبساط أو التمدد المناسبة .

وتوجد لدى الأوربيين ثلاث طرق رئيسية يلجئون اليها فى عملية الدباغة ، فاما أن يبسطوا الجلود « على الناشف » داخل حفرات ، فوق طبقة من لحاء البلوط تحولت الى مسحوق بواسطة الرحى ، وأن يجددوا ذلك ثلاث مرات خلال ١٥ الى ١٨ شهراً ، مختصرين مع ذلك ، وفى بعض الأحيان هذه العملية ، فيعتمد بعضهم الى تسريب قليل من الماء شيئاً

(**) وهو تراب عضوى قابل للاشتعال ، يتكون من التحلل البطيء لبعض النباتات الطحلبية .

فشيئا داخل هذه الحفرات ، فى حين يعمد آخرون ، يريدون أن يوفروا على أنفسهم فى الوقت نفسه مشقة اتلاف الحفرات حين يستبدلون بالماء محاولات من الدبغة بالكمية التى كان من الممكن أن يستخدموها ، الى تقديم (استخدام) القشرة الثانية والثالثة من (لحاء الباط) بشكلها الطبيعى (بدون تحويلها الى مسحوق) .

واما انهم يخطون الجلود بشكل تتحول معه الى اجولة يملونها بالماء والمادة الدابغة ، ثم يغمسونها فى أحواض تحتوى كذلك على كمية من المادة الدابغة المذابة ، وتستغرق هذه الطريقة ، والتي يسمونها Chippage (*) مدة شهرين .

واما انهم — أخيرا — يدبغون جلود الأبقار فى خلال بضعة أيام ، وجلود الضأن فى خلال بضع ساعات وذلك بأن يغمسوها منعزلة (أى كل جلد بمفرده) فى حوض يحوى محلولاً قويا من المادة الدابغة .

لكن المصريين ليست لديهم سوى وسيلة وحيدة لدبغ جلود الثيران والأبقار والجمال والجاموس والماعز الخ ، يبدأونها بتغطية الجلود وهى لينية ، ممطوطة ومكشوفة ، بخليط من الملح ومسحوق حبات الخردل والسنت ، ثم بعد ذلك توضع ، وتنفض ، وتداس أو تهرس لعدد من الأيام تزيد أو تنقص تبعا لحجم الجلود وسمكها ، ويتم ذلك كله فى ماء أذيت فيه كمية مناسبة من نفس هذه المساحيق الملحية والقابضة .

وعندما تخرج الجلود من أحواض النقع هذه ، تبسط وتجفف ، ويدخل بعضها وهو ما يزال على هذه الحالة فى طور الاستعمال ، فى حين يمر بعضها الآخر بعملية التطرية أو التليين .

(*) الفعل Chiper فى اللغة الفرنسية يعنى خطف أو دبغ ، لذلك فقد يعنى هذا اللفظ الدباغة الخاطفة . (المترجم)

فن تطرية أو تليين الجلود

وتعنى هذه الخطوة اعطاء المرونة للجلود التى جعلتها عملية الدباغة يابسة ، وتمر كل الجلود التى تخضع لهذه العملية بين يدي « المطرى » ، وهو يعدها لهذا الأمر عن طريق تجهيزات مختلفة تتناسب مع الأغراض التى ستستخدم فيها هذه الجلود .

ولنأخذ جلود البقر على سبيل المثال ، ان العامل يعيد لهذه الجلود رخاوتها عن طريق مياه يسمى لأن تتشربها مع وطنسه الجلود وعركها بالأقدام ، ثم يعلقها فوق حمالة ويكشطها ويسوى حوافها ، ثم يجففها ويبسطها على نضد ، ويصب فوقها من ناحية الباطن (أو اللحم) زيتا يدلكه بيده ، ويفعل نفس الشيء من ناحية الوجه (أو الشعر) وان كان مايضعه هنا من زيت أقل كثيرا مما وضعه فى الناحية الأخرى ، ثم يعلق هذه الجلود حتى تتشرب هذا الزيت وبعد ذلك يدهسه ثم يغمره بالزيت من جديد ثم يدهسه أو يطؤه مرة أخرى ، ثم يزيل هذه الشحوم بواسطة محلول خفيف (غير مركز) من النطرون ، يضعها على وجه الجلد (أى الجهة التى بها الشعر) ، وذلك بقصد اعداده لى يأخذ اللون الأسود ، الذى يمنحه إياه على مرتين ، بواسطة محلول يتكون من اترية حمض الكبريتيك ومسحوق ثمار السنط ، داهسا الجلد فى كل مرة ، وبعد ذلك يعالج عيوبه ثم يضع طبقة من الزيت على وجهه .

أما الجلود المستعملة فى سن أمواس الحلاق المصرى فتصنع من سيور من جلود الثيران أو الجاموس ، المدبوغة والتى تليين بعد ذلك فى الزيت ، وتتقع هذه السيور لمدة ثمانية أيام فى زيت السكتان ، ثم لمدة ثمانية أيام أخرى فى زيت الزيتون ، ثم تداس بالأقدام ، وتلف حول نضد كى تكتسب المرونة المطلوبة ولكى تتشبع بالزيت .

لكننا نجهل ما ان كان هذا الصانع يستخدم فى بعض الأحيان ، بدلا من الزيت ، الدوك (شحم الأمعاء) أو الشمع ، اذا ما أراد اعداد الجلود الناعمة أو المصقولة التى يحتفظ لها بلونها الأصهب — ان كان حقا يعرف ذلك ، وما ان كان يعطى لجلود الأبقار والمجول ، مثلما يفعل دباغونا ، اللون الأحمر ، مقتربا من نفس أساليبنا وخطواتنا ، وذلك بأن يعالج

هذه الجلود بالشبة ، فى الحالة التى تكون عليها عند صبغتها باللون الاسود ، ثم بأن يدوسها وهى فوق طبقة الشبة ثم بأن يصبغها بخلاصة خشب البرازيل أو خشب الفرنامبوك موضوعة فى مياه الجير ، ثم بأن يجففها وأن يصقلها قبل وبعد غمرها بالزيت ، وبعد ذلك بأن يضع على المصفاة تلك الجلود التى يريد أن يكون الحبوب على وجهها (يجعلها محببة) ، ومع ذلك فليس العامل المصرى هو الذى يجهز الجلود التى تصنع منها ، فى مصر ، القرب التى تستخدم هناك اما لحمل مياه النيل الى بيوت الأهلىين ، واما لنقلها خلال الأسفار على ظهور الجمال ، واما لاحتواء العسل الأسود القادم من الصعيد ، وكذلك الزبد وزيت الزيتون والعسل الأبيض ، أى هذه السلع القادمة من تونس ومن مدن أخرى فى بلاد البربر ، اذ تصنع هذه الجلود فى مكة وجدة ، ولا يفعل المصريون سوى أن يخطوها ليصنعوا منها قريهم ، أما القرب بالغة الضخامة ، والتى لا بد من حملها فوق ظهور الجمال ، فتصنع من جلود الثيران ، وتستخدم فى صنع القرب الأثقل حجما جلود الماعز والتبوس ، وتحتاج هذه وتلك ، كى تعمرا طويلا لأن تمرا كل عام مرتين على الأقل ، بالعملية الآتية :

عندما يلاحظ أحد السفائين أن قريته قد اعتراها الانهاك ، فإنه يعلقها مع ابقاء فمها مفتوحا ، فتجف ، وعندئذ يدخل فيها خليطا من القطران وزيت الزيتون ، يبسطه بعناية بيده فوق نصف سطحها ، من داخلها ، ثم يقارب بين نصفيها ويدوسهما معا كى يتخللها هذا الخليط ، ثم تترك هذه القربة فى النهاية معرضة للشمس والهواء حتى تنتشر كل القطران الذى اعطى لها ولدرجة لانتلوث معها الأصابع بالقطران عند لمسها .

وتعمر قربة ما ، بهذه الوسيلة ، نحو خمس الى ست سنوات ، مع استعمالها يوميا .

وتوجد لدى المصريين كذلك ، بقصد اختزان الماء ، أنية صنعت بدرجة لا بأس بها من الحذق ، حتى أننا ظنناها ، دون أن نستطيع التأكد من ذلك ، مماثلة لانية صناع الأعمدة لدينا ، وتصنع هذه الانية من جلد مغلى فى الشمع ، وان كان ذلك يتم بقدر اقل من العناية ، برغم هذا .

ولدى المصريين كذلك جرار تكاد تكون من نفس الجلد ، لكنها صنعت على نحو خشن بعض الشيء ، وبستخدمها تجار الزيوت لاحتواء الزيت الذى يبيعونه بالقطاعى .

فن صناعة جلود السختيان (✽)

يصنع المصريون الجلود التى يخصصونها لصنع مايسميه الناس « بالركوب » بأكثر قدر من العناية والحذق ، وهذه هى جلود التيوس والخراف والماعز .

وتمر هذه الجلود على التوالى ، بعد معالجتها بالجير ، وبعد أن تكشط وتشدب بأحواض مليئة بالمياه كى تغمس فيها ثم تغسل وتداس بالأقدام ، وبعد ذلك تكشط وتغسل ، ثم يكشط وجهها بشكل عكسى ، وتداس بالأقدام ، ويسوى وجهها باتقان ثم تعلق كى يتساقط ما بها من ماء .

وبعد ذلك ، ولكى تتم تطرية الجلد ومطه بعد أن ايبسه الجير بعض الشيء ، يوضع فى نقيع مغلى من زبل الحمام حيث يدلك به بقوة ، وحيث يترك لعدة ساعات ، ومن ثم يغمس ، الواحد بعد الآخر فى محلول من نقيع العفصة ومسحوق ثمار السنط ، وبعد أن يترك متنوعا فى هذا المحلول لمدة تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ ساعة ، يداس بالأقدام لمدة ساعتين .

جلد السختيان الأحمر

عند اخراج الجلود التى يراد اعطاؤها اللون الأحمر من النقيع الذى استخدم فى دباغتها ، توضع لمدة يومين فى عقد من النخالة ، وبعد غسلها ، تمر بنقيع التين حيث تترك لتعطن وتظل متنوعة لمدة أربع وعشرين ساعة ، وفى نهاية هذه المدة ، يغسل كل جلد ثم يرش بالملح ، ثم يكسونها لعدة أيام ، فإذا ما استنشعرت أية بادرة تخمر فانهم يوقفونها بالقاء الجلود فى الماء ثم يغسلونها لسبع أو ثمانى مرات مختلفة ، وفى كل مرة تستخدم

(✽) وهى جلود الماعز مدبوغة وملونة (المترجم) .

(وصف مصر — م ٢١)

مياه جديدة ، ثم تبرم الجلود (تصنع منها لفافة) وتبسط ، ثم تدهن ثلاث مرات بواسطة قطعة من الاسفنج أو كرة من القطن ، على وجهها باللون الأحمر المعد من القرمزية والشبة .

وبعد أن تصبغ الجلود على هذا النحو ، تغسل ، وتبرم ، ثم توضع فى نقيع قابض ، مكوناته هى مكونات النقيع الذى استخدم عند بدء عملية الدبغ ، وبعد أن تمكث الجلود بهذا النقيع وقتا كافيا (١) ، يغسلونها ثم يبسطونها ، وبعد ذلك يدلكون مسطحها (من ناحية الشعر) بيد ممددة بزيت السمسم ، حتى تصبح لامعة ومصقولة .

جلد السخيتان الأصفر

لا تمر الجلود المخصصة لى تصبغ باللون الأصفر قط بنقيع النخالة والتين والملح ، ولكنها توضع مباشرة ، بعد عملية الدباغة الاولى ، فى نقيع ثان ، ومن هناك ، وبعد أن تغسل وتداس وتبرم أو تلف وتجفف بشكل جزئى ، تبسط لتحصل على طبقتين من صباغة صفراء تصنع من سائل هوخلبط من حبوب Avignon والشبة المصحونة ، ولابد أن يحرص العامل عند طبقة من الصبغة أن يطوى الجلد وجهها لوجه وأن تصف الجلود على هيئة أكوام حتى يتوغل فيها اللون ، وبعد ذلك تجفف الجلود وتسوى من الداخل (من جهة اللحم) ، ثم تصقل من ناحية الوجه بواسطة العصا .

السخيتان الأخضر

يحرص صانع جلود السخيتان المصرية على اخفاء نر اعداد اللون الأخضر ، لكننا نظن أن هذا اللون (أو هذه الصبغة) ليست سوى محلول الجزار (صدا النحاس) مذاب فى مياه حمضية بسبب ما بها من درديات حمض البوتاسيوم ، وربما أضيف الى ذاك قليل من صبغة النيل .

(١) يكتسب جلد السخيتان ، فى هذه النتعة الثانية الحبوب التى تصنع جماله الخاص والتى ليست سوى أثر من فعل (الكرمشة) التى تعترى بشرة أو أدمة هذا الجلد .

السختيان الأسود

يصبغ السختيان باللون الأسود بعد أن يمر بعملية النقع الأولى ، وذلك بخليط من أتربة أملاح حمضية (سلفات الحديد والنحاس و حامض الكبريتيك) ، يطلق عليها بلغة أهل البلاد اسم جاز ، بالاضيفة الى العفصة أو ثمرات السنط على شكل مسحوق ، وتكفى طبقة واحدة ، لذلك فلا بد أن يغسل الجلد على الفور خشية أن يحترق بالصبغة ، وعندما يصبح الجلد جافا ، يدلك وجهه بزيت الكتان (١) .

فن تجهيز الجلود على الطريقة الهنجرية (المجرية)

يقوم الصانع هنا بصنع جلد متين دون أن يلجأ فى اعدادة لا الى ماء الجير ولا الى المحلولات أو السوائل اللاذعة أو الحمضية ، ولا الى المادة القابضة (العفصة أو لحاء البلوط) ، وقد يحل الشبة والملح محل المادة الأخيرة ، ويمزج بهذا الجلد كمية هائلة من الودك أى شحم الأمعاء .

أما الأساليب التى تتبع فى هذا الفن فمجهولة تماما فى مصر ، اللهم الا اذا كانت الطريقة التالية تقدم لنا شيئا من التماثل مع هذه الأساليب .

يؤخذ جلد عجل وهو طازج ، ويبسط بحيث يكون الشعر الى أسفل ، ويوضع فوق ارض متربة لأحد الأفنية أو أحد الشوارع (٢) ، ويغطى الجلد بمزيج يتكون من نسب متساوية من الرماد وموريات الصودا منفصلة عن ملح البارود ، ولتأكيد وتسهيل ذوبان أملاح هذا المزيج واختراقه للجلد ، ولكى يكتسب الجلد فى الوقت نفسه نوعا من المرونة ، توطأ الجلود بالأقدام فى البداية ، ثم تترك معرضة للشمس ، ولضغط أقسام المارة وهم يعبرون .

وعندما ينفذ المزيج الذى يغطى الجلود أو يتبعثر ، فانهم يجددونه ،

(١) يقال انهم فى الشرق يستخدمون نبات الرلول ذا الأوراق آسية الشكل (وهو الريحان الشامى) Coriaria فى دبغ الجلود وصبغها باللون الأسود ، كما يقال بأن الجلود تدين لهذا النبات بخاصية تفوقها ، وان كنا لم نعرف قط ان هذا النبات ينتشر استعماله فى مصر ،

(٢) ليست الارصفة ولا الأفنية مرصوفة فى مصر (أى انها كلها متربة)

وحين يصبح الجلد بالغ الجفاف ، يستخدم ، وهو محتفظ بشعره ، كدواسات فى المدارس او المساجد (١) .

فن صناعة الرقوق

تُحصر الوسيلة المتبعة عادة فى صنع الرقوق فى وضع سائل كثيف من الجير المغلى عشية القيام بهذه العملية ، على الجلد وهو منبسط ، ثم يتم انتزاع الشعر منه بعد ساعتين من استمرار وجود الجير عليه ، وبعد ذلك يقلب لمدة ساعتين فى ماء الجير ، ويغسل جيدا ثم يبسط فوق سقيفة ، وبعد ذلك كله يكشط (لانتزاع اللحم والعروق) بعد رشه بجير مصبوغ ، ثم يغسل وهو فى مكانه بواسطة قطعة من الاسفنج ، ثم يجفف على الفور ، وبسرعة ، ثم يؤخذ كل جلد بمفرده لسكى ينزع لحاؤه او سطحه الخارجى بواسطة حديدة قاطعة ، وفى النهاية يصقل وتحدد علامات يتم القطع عندها ، وبعد ذلك يتم تسيخه لتصنع منه الاوراق .

ويحتمل الا يكون المصريون يتبعون هذا الأسلوب بتمامه ، وبطريقة تمكنهم من التزود بالرقوق الجميلة التى يستخدمونها فى الكتابة ، بل يحتمل انهم لا يصنعون الرقوق التى يستخدمونها فى هذا الغرض وان كان من المؤكد انهم يصنعون الرقوق الشائعة ، وتستخدم انواع كثيرة من الجلود ، مثل جلود الخيل والحمير من اجل صنع الطبول الضخمة التى تحمل على ظهور الجمال . كما تستخدم جلود الماعز والايتال السمرات لصنع الطبول الصغيرة ، وقد رأيناهم يصنعون اغطية غمد سيوفهم وخناجرهم على شكل رق وليس فى هيئة جلود محببة (٢) ، ويصنعون ذلك من جلود ارداف الحمير، وهم يصبغونها بعد تحبيبها بواسطة

(١) لهذا الاعداد المتبع فى مصر بالنسبة لجلود الثيران بعض تشبه بالإعداد الذى يتم عندنا بالنسبة لجلود العجول المستخدمة فى صنع حقائب الظهر أو حقائب الشغل والتى نسميها المعجول ذات الشعر *Veaux à Poils* . اذ تصفى دماء هذه الجلود ثم تكشط ، وتداس فى الشبة والملح البحرى مرتين مختلفتين ، وبعد ذلك توضع فوق حامل لتفتح وهى نصف جافة بواسطة السكين المستديرة .

(٢) الجلود المحببة هى نفسها الجلود المرشوشة بمسحوق خبواب الخردل بشكل خفيف .

مُثَقَّب ينتهى طرفه بنقرة صغيرة ، كما أن غرابيلهم (١) تصنع من سيور رق مصنوع من جلود الجمال والبغال ، كذلك شاهدناهم فى النهاية يستخدمون فى أغراض عدة نوعا من الرقوق يعرفون كيف يعطونه لونا أخضر بالغ الجمال وبالع الثبات فى الوقت نفسه .

فن دباغة الجلود الرقيقة

لا يقدم هذا الفن ، بالطريقة التى يتم بها فى مصر أى فرق (١) عن الدباغة كما وصفناها (اللهم فى أنه أكثر تطورا ، وهم هناك يعدون الجلود للكشط ، على نحو قريب مما نفعل نحن فى أوربا ، ثم يملونه ويطنونه بواسطة معجون النخالة ، وبعد ذلك يمررونه فى محلول الشبة ، ويبيضونه عن طريق وضعه فى سائل مغلّى يتكون من دقيق الحنطة وصفار البيض وجزء من محلول الشبة الذى لم يتشربه الجلد ، ثم يجففونه ويشدونهم .

أما الجلود التى يراد لها أن تظل بوبرها أو صوفها فتغسل ، وتسوى حوافها ، وتكشط ، وتوضع فى عجينة النخالة ، ثم تلمخ بالطين وتشبب ، وتغطى من ناحية اللحم بعجينة من الدقيق والشبة وصفار البيض ، وتغسل ، وتبسط ، وتجفف ، ثم تبلل ، وبعد ذلك تطوى طية واحدة ، وترص بعضها فوق بعض ، وتحمل بالأحجار (كتقالات) ثم تفتح لتوضع فوق حمالة ، وتسوى مرة أخرى ، وتجفف بحيث يكون الصوف هو المعرض للهواء ، وأخيرا تشذب .

ويمكن أن نعد جلود الكلاب من بين تلك التى يعدها المصريون بشعرها ، وهم هنا يسلخون الحيوان ، مع الاحتفاظ بالجلد كاملا ، كما نفعل نحن بجلود الأرانب ، ومع ذلك فحيث أننا لم نر هذا الجلد قط وهو مجهز ، وحيث أننا نعرف أنه يتخذ شكل الحقيبة ، وأنهم يستخدمونه ، فى شكله هذا ، فى احتواء الزئبق ، فأننا نرجح أنهم ، بعد أن يشببوه

(١) وهى ليست مثقوبة مثل الغرابيل لدينا بواسطة مجو (كسرة فسكون مفتحة) ، وهو أداة لانتزاع قطع (صغيرة) من المسادين والجلود . . الخ .

(أى يعالجونه بالشبة) على طريقة المرط (※) ، يرطبونه بالزيت بنفس الأسلوب المستخدم فى صنع الجلود الشهوآزیه .

ملخص

يتضح مما قلناه عن مختلف تجهيزات الجلود فى مصر :

١. — أن المصريين يستخدمون الماء ، ليس فقط لغسل الجلود ، وإنما كذلك للتخلص من الألياف التى تدخل فى تكوينها ، وكذلك لكى يخلصوا هذه الجلود من السوائل الحيوانية القابلة للتعفن ، والتى هى مترعة بها .

٢. — وأنهم يجعلون هذا الماء أكثر فاعلية واشد نفاذا عن طريق إضافة الجير الذى يعرفون ماله من خاصية فى منع تعفن الجزء اللينى ، وفى اكساب الماء صفات ننسبها الى ماؤدى اليه الجير من فقد الماء لمابه من أوكسجين .

٣. — وأنهم بعد أن يغسلوا ويمطوا ويكشطوا الجلود ، يعرفون على نحو قريب مما نعرف كيف يجعلونها يابسة اما بواسطة المادة الدابغة أو عن طريق الشبة والملح بل كذلك بمجرد عملية تجفيف بسيطة ، وأنهم يعرفون كيف يكسبونها المرونة إما باتباع أسلوب الدوس وإما بأن يدمجوا بها الشحوم ، كما أنهم فى النهاية يعرفون كيف يصبغونها .

كتب أخرى للمترجم

أولاً : فى مجال الأدب :

- ١- المطاردون (مجموعة قصص قصيرة) .
- ٢ - حكايات من عالم الحيوان .
- ٣ - المصيدة (مجموعة قصص قصيرة) .
- ٤ - موتى بلا قبور (مسرحية تأليف جان بول سارتر) .
- ٥ - السماء تمطر ماء جافا . .
- (رواية تسجيلية تتناول وقائع الوحدة المصرية السورية وانفصالها) .

ثانيا : فى مجال التاريخ :

- ١ - تطور مصر من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٠ ، تأليف مارسيل كولب .
- ٢ - فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية . تأليف أندريه ريمون .

ثالثا : الترجمة العربية الكاملة لموسوعة وصف مصر

تأليف علماء الحملة الفرنسية .

- ١ - المصريون المحدثون .
- ٢ - العرب فى ريف مصر وصحراواتها .
- ٣ - دراسات عن المدن والأقاليم المصرية .
- ٤ - الزراعة ، الصناعات والحرف ، التجارة .
- ٥ - النظام المالى والإدارى فى مصر العثمانية .

- ٦ - الموازين والنقود .
- ٧ - الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين .
- ٨ - الموسيقى والغناء عند المصريين المحدثين .
- ٩ - الآلات الموسيقية المستخدمة عند المصريين المحدثين .
- ١٠ - مدينة القاهرة - الخطوط العربية على عمائر القاهرة .

رابعاً : لوحات موسوعة وصف مصر :

- ١ - المجلد الأول والثاني للوحات الدولة الحديثة .
- ٢ - المجلد الأول من لوحات الدولة القديمة .

خامساً : من موسوعة وصف مصر :

(دراسات مختارة من الموسوعة فى كتيبات)

- ١ - كيف خرج اليهود من مصر القديمة .
- ٢ - مدينة الإسكندرية .
- ٣ - مدينة رشيد .

تحت الطبع

- مقياس الروضة .
- القاهرة المملوكية .
- بقية مجلدات لوحات موسوعة وصف مصر .
- بقية الدراسات المختارة من موسوعة وصف مصر .